

أصفياء الله

سيرة تحليلية لبعض أصحاب الإمام الحسين

فوزي آل سيف

أصفياء الله

سيرة تحليلية لبعض أصحاب الإمام الحسين عليه السلام

فوزي آل سيف

الطبعة الأولى
١٤٤٦-٢٠٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بعد أن منّ الله ووفَّق وتمت سلسلة النبي والعترة في ١٤ كتابًا، وطُبعت في كربلاء بواسطة دار الوارث التابعة للعتبة الحسينية المقدسة، وفي بيروت بواسطة دار المحجة البيضاء، فكّرت في أن أكمل ما يمكن تسميته بـ «مجموعة كربلاء أو قضايا الحسين» ويفترض أن تضم هذه المجموعة، كتاب «أنا الحسين بن علي» وهو مطبوع في سلسلة النبي والعترة، وكذلك كتاب «من قضايا النهضة الحسينية؛ أسئلة وحوارات» وهو أيضا مطبوع في خمس طبعات، والسادسة هي طبعة دار الوارث بشكل منفرد، ويفترض أن تضم هذه المجموعة أيضا زيارة الناحية المقدسة للإمام الحسين عليه السلام، وهو قيد الطباعة حين كتابة هذه السطور، كما تضم أيضا شخصيات وأبطال كربلاء من شهدائها الأصفياء ونسائها المؤمنات، وهو الكتاب الذي بين يديك في قسم الرجال والشهداء. ويأتي بعده حول النساء الطاهرات.

ويبقى كتاب أسأل الله أن يعين على إكماله وقد يكون اسمه

«عصبة الإثم» وهو يلاحق السيرة المظلمة لقتلة الحسين والشركاء في دمه الطاهر، ودوافعهم التي انتهت بهم إلى ارتكاب تلك الجريمة.

فإذا اكتملت هذه المجموعة فإنها ربما تضيف إلى المكتبة الإسلامية شيئًا في التعريف بقضية الإمام الحسين عليه السلام من جهات متعددة. أسأل الله التوفيق لذلك.

هذا الكتاب لا يتطرق إلى ترجمة لكل الشهداء الحسينيين وإنما يقدم نماذج من سيرتهم العطرة لتكون محل اقتداء وتأسٍ نتعلم فيها منهم كيف يكون دين الله أهم من حياتنا.

يهمني أن أشكر في هذه المقدمة جميع من ساعد في إعداد هذا الكتاب، وأخص بالذكر أخي الفاضل الشيخ عبد العزيز المرهون، فقد بذل جهدًا طيبًا مشكورا فيه، سهّل عليّ فيه إنجازه، أسأل الله أن يسهل له جميع أموره بفضله وكرمه.

فوزي بن المرحوم محمد تقي آل سيف

تاروت القطيف

١٠/ ١٢/ ١٤٤٥هـ.

.

المَدْخَل

- مَقَامَاتُ أَصْحَاب الحُسَيْن (عليه وعليهم السَّلام).
- عَدَدُ أَصْحَاب الحُسَيْن (عليه وعليهم السَّلام).

مقَامَاتُ أصحَاب الحُسَيْن

روي عن الإمام عليّ بنِ الحسين زين العابدين عليه السلام أنَّه سمع أباه ليلة العاشر من المحرّم قد خطب في أصحابه فقال: «اللَّهمَّ لكَ الحَمْدُ أَنْ أَكْرَمْتَنَا بالنُّبوّة وعَلَّمْتَنَا القُرْآن وجَعَلْتَ لنَا أَسْماعاً وأَبْصَارًا وأَفْئِدَةً ولَمْ تَجْعَلْنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ، أمَّا بعد فَإنِّي لا أعلمُ أَصْحَاباً أَوْفَى ولا خَيْراً مِنْ أَصْحَابي ولا أَهْلَ بَيْتٍ أبَرَّ مِنْ أَهْلِ بيتي، فانْصَرِفُوا رَحِمَكُمُ الله وتَفَرَّقُوا في سَوَادِ هذا اللَّيْلِ، وهَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُم فاتَّخِذُوهُ جَمَلا، ولْيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُم بيَدِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بيتي، لَيْسَ عَلَيْكُم منّي ذِمَام»[1].

وقد نقل هذا النصَّ المؤرخُ محمَّد بن جرير الطبري (ت ٣١٤هـ) عن أبي مِخْنف[2] وهو بدوره رواه عن عبدِ الله بن شِرَيك

(١) تاريخ الطّبري، ج٤ ص٣١٧.

(٢) قال فيه النجاشي: فهرست اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، ٣٢٠: لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سالم الأزدي الغامدي، أبو مخنف، شيخ أصحاب الاخبار بالكوفة ووجههم، وكان يسكن إلى ما يرويه، روى عن

العَامِريّ(١) عن الحَارِث بن حَصِيْرَة عن الإمام زين العابدين عليه السلام، وهو يكشف عن المنزلة العالية الّتي حازَهَا أصحاب الحسين عليه السلام.

ويتساءل الناظر إلى هذا الخطاب: كيف نفهم قول الإمام الحسين عليه السلام «فإنّي لا أَعْلَمُ أَصْحَاباً أوفى ولا خَيْراً من أصحابي»؟ مع أنه قد أدرك أصحاب جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأبيه أمير المؤمنين، وأخيه الحسن عليهما السلام، بل غيرهم حيث أنه ينفي علمه بأي أصحاب سواء أدركهم أو لم يدركهم كمن يأتون في الأزمنة اللاحقة؟

ولتمهيد جواب ذلك نقول: أنه عليه السلام لا يُرِيْدُ نَفْيَ عِلْمِهِ بهكذا أصحاب يكونون أفضل من أصحابه، وإنّما المعنى في قوله: (لا أَعْلَم) أي: أنه لا يُوْجَد! إذ هناك فرق بين كلام المعصوم عليه السلام وكلام غيره

جعفر بن محمد عليه السلام. وقيل: إنه روى عن أبي جعفر عليه السلام ولم يصح. وصنف كتبا كثيرة، منها: كتاب المغازي، كتاب السقيفة، كتاب الردة. وذكر نحو ٢٥ كتابا من كتبه التاريخية. وفي الوقت الذي وثقه ومدحه رجاليو الإمامية فقد ذمه وضعفه غالبًا رجاليو مدرسة الخلفاء ويظهر أن ذلك راجع إلى أن الأخبار التي نقلها لو تم توثيقه فإنها تهدم الكثير من الأسس التي تعتمد عليها هذه المدرسة. ولكن لإحاطته بالأخبار وتوسعه فيها، فإنه لا يمكنهم الاستغناء عنه مع ذلك..

(١) عبد الله بن شريك العامري: روى عن علي بن الحسين، وأبي جعفر عليهما السلام، وكان عندهما وجيها مقدما قاله النجاشي.
وقال السيد الخوئي: روى في تفسير القمي فهو ثقة. راجع المفيد من معجم رجال الحديث للجواهري. أقول: ولا يضر النص هذا رواية العامري إياه عن الحارث بن حصيرة (حضيرة) المردد بين أشخاص فيهم المجهول، لاشتهار الخطبة بين الفريقين.

من النَّاس في هذه الجهة. فلو سئل غير المعصوم عن مضمون حديثٍ مثلا. قد يُجيب أنَّه لم يعثر على حديث بهذا المضمون، مع أنه قد تكون هناك أحاديث ولكنّه لم يطلع عليها، ولم يقف على مصادرها، ولكن لو كان هذا التعبيرُ صادرًا من نبيّ أو إمام معصوم أو كتابٍ من الكتب السّماويّة فالأمر مختلف، ذلك أن قولَه: «لا أَجِدُ» معناه أنه لا يُوجد أصلاً، كما في قوله تعالى مخاطبًا نبيَّه محمّدًا صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ**﴾[1]، إذ لو كان موجوداً لكان عِلْمُهُ عند النَّبي وعند الإمام المعصوم، وكذلك حين يُسْأَل الإمام مسألةً فيجيب: «ما وجدتُ هذا في كتابِ الله» فالمعنى من قوله: (ما وجدتُ) أي أنّه لا تُوجد هذه المسألة في كتاب الله أصلاً، لا أنها موجودة لكنه لم يجدها أو يعثر عليها[2].

وبناءً على ذلك فإن معنى قوله عليه السلام: «لا أَعْلَمُ أَصْحَاباً أوفى ولا خَيْراً من أَصْحَابي» أنَّه لا يُوْجَد أصحاب أفضل من أصحابه. وهنا قد يتعزز الإشكال؛ فهل أن أصحاب الحسين عليه السلام أفضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وهل هم أفضل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام؟ خصوصًا أن بعض هؤلاء قد حاز مكانةً عاليةً وثناءً

(١) سورة الأنعام آية (١٤٥).

(٢) مثلما ورد في كتاب الغارات، ج ١/ ١٧٧ للكوفي، من: إن امرأتين أتتا عليًّا عليه السلام عند القسمة إحداهما من العرب والأخرى من الموالي، فأعطى كل واحدة خمسة وعشرين درهما وكرا من طعام، فقالت العربية: يا أمير المؤمنين إني امرأة من العرب وهذه امرأة من العجم؟! فقال علي عليه السلام: إني والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلا على بني إسحاق.

عظيمًا، وقد ورد بذلك حديث النبي من الفريقين.

أما الجواب الأساس: فإنه يظهر أنَّ القياس هنا هو قياسُ كتلة مقابل كتلة، أو مجموع الأصحاب هنا مقابل مجموع الأصحاب هناك. وليس القياس بين كل فرد من هؤلاء وكل فرد من أولئك. مع أنه يمكن دعوى ذلك في بعض أصحاب الحسين وأنصاره.

وهذا يشبه ما هو موجود في العرف حيث تقول: إن هذا الفريق الرياضي أفضل من الفريق الآخر، فالنظر هنا إلى الفريق ككلّ مقابل ذلك الفريق الآخر كمجموعة، ولكن قد يكون في الفريق غير الأفضل فرد هو أفضل من بعض لاعبي الفريق الأفضل. ولكن بحساب المجموع لا يؤثر هذا في كون الفريق الآخر هو الأفضل.

فالقياس في النص السابق عن الإمام إنما هو عن أصحابه كمجموعة بالقياس إلى أصحاب النبي أو الإمام علي كمجموعة. وقد أشرنا إلى أنه يمكن دعوى أن بعض أصحابه عليهم السلام هم أفضل من أصحاب النبي وعلي كأفراد.

على أن أفضلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم على سائر البشر لا يلزم منها أن يكون أصحابه أفضل من سائر الناس أو الأصحاب! وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه أتباع مدرسة الخلفاء عندما تصوروا أن أصحاب النبي هم أفضل الناس لأنهم صاحبوا أفضل الناس!

فلو أردنا عمل مقايسة بين المجموعتين (ككتلة) بين أصحاب النبي وأصحاب الحسين؛ حتى نقف على أوجه التفاضل سوف

نجد الكفة مائلة لصالح أصحاب الحسين:

◄ الأوَّل: الثبات على المواقف وفي المعارك

كانت نسبة أصحاب الرسول ﷺ، بالقياس إلى أعدائهم الكفار هي الربع فصاعدا؛ في الغالب ففي غزوة بدر مثلا كان عدد المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، وكان عدد جيش قريش ألفَ رجلٍ بنسبة الثلث.

وفي أحد كان عدد الكفار نحو ثلاثة آلاف، وكان المسلمون في أول الأمر نحو ألف، قيل ثم صاروا سبعمائة. بنسبة الربع أو الثلث.

وفي حُنين ذكروا أن عدد الكفار قرابة خمسة وعشرين ألفاً في حين كان المسلمون نحو اثني عشر ألفاً بنسبة النصف تقريباً.

ومع هذا كله فقد انهزم المسلمون في معركة أحد، بل وفي حُنين مع إعجابهم بكثرتهم ولم تغن تلك الكثرة عنهم شيئًا وتعرضوا لتوبيخ الله سبحانه[1] قرآنًا يتلى منذ نزول الآيات ليومنا.

وأما نسبة أصحاب الحسين عليه السلام إلى جيش بني أمية فلا تكاد تُذكر لقلتها ومع ذلك صمدوا وباعوا ربهم جماجمهم وتسابقوا إلى الموت في نصرة سيدهم.

فبينما كان جيش الأمويين ثلاثينَ ألفاً،[2] فإن أكثر ما قيل في

---

(١) ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ التوبة: ٢٥.

(٢) يظهر ذلك من روايات معتبرة عن الأئمة عليهم السلام منها ما عن الإمام الحسن عليه السلام كما في الأمالي، للشيخ الصدوق، ص ١٧٧: «لا يوم كيومك يا أبا عبد الله،

جيش الإمام الحسين عليه السلام أنه يزيد عن المئة، وهناك قول بأنَّهم اثنان وسبعون، وقول آخر أنهم بلغوا اثنين وثمانين، وقد ذكر الشيخ الكرباسي[١] أنهم بلغو الثلاثمائة لكنَّه يصرّح في الأثناء أنَّه قد يكون اسم بعض الأصحاب مختلطاً مع اسم غيره.

وعلى كل تقدير تبقى النّسبة عالية، فمئة ومئتان وثلاثمائة في مقابل ثلاثين ألفاً تكون نسبة واحد إلى مئتين أو واحد إلى ثلاثمائة!

فشتان بين (أصحاب النبي) ونسبتهم لعدوهم واحد إلى ثلاثة ومع ذلك انهزموا لا يلوون على أحدٍ والرسول يدعوهم في أخراهم[٢]، وبين قوم كانت نسبتهم واحدًا إلى ثلاثمائة ومع ذلك ثبتوا وأدوا حق سيدهم في موقف عق فيه الوالدَ الولدُ!

لا شك أن المقارنة بين هذه المقدمة وتلك النتيجة في كل من الفئتين ستنتهي لصالح أصحاب الحسين.

◄ الثَّاني: انعدام نسبة النجاة

كان احتمال النَّجاة بالنسبة لأصحاب الحسين يساوي صفراً، بينما احتمال النَّجاة في مَنْ خَرَجَ مع رسول الله يساوي في كثير من

يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أنهم من أمة جدنا» ومثلها رواية عن الإمام زين العابدين في تعداد أشد الأيام على رسول الله كذلك في الأمالي ص٥٤٧ «ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنهم من هذه الأمة»..

(١) دائرة المعارف الحسينية: الشيخ محمد صادق الكرباسي.

(٢) ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَىَ أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ آل عمران: ١٥٣.

الحالات خمسينَ بالمائة، وكانوا يحتملون إمَّا أنْ يُقتلوا أو يُهزموا أو ينتصروا ويبقوا على قيد الحياة، ومن يكون هكذا فإن ثبت على أمل النصر والغنائم أو لا أقل من السلامة، فإنَّ ثباته أمر طبيعي.

أما لو كانت المعركة لا يحتمل فيها النَّجاة أبداً بل مصير من يقاتل هو الموت فيها، إما لأجل إخبار الحسين عليه السلام إياهم حيث أخبر أصحابه بأنَّهم يُقتلون ولا يبقى منهم أحد. أو بالنظر إلى المقاييس العادية وبحساب نسبة الجيشين لبعضهما.

لا ريب أنَّ مَنْ يُقْدِمُ على المعركة الفدائيَّة والاستشهاديَّة الَّتي لا يوجد فيها احتمالٌ للنَّجاة يختلف اختلافاً كبيراً عمَّن يرى نسبة النَّجاة والبقاء لديه عالية، ومع ذلك فإنَّ أصحاب الحسين عليه السلام ثبتوا ومضوا واستمرّوا ولكنّ أصحاب النَّبي الذين يحتملون النَّجاة كانوا يولُّون الأدبار كما أشار القرآن الكريم إليه.

◄ الثالث: الثّبات في نصرة الحقّ

رخّص الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه في ليلة العاشر من المحرّم، أن يتركوه وأخبرهم أنّه لا تثريب عليهم فلا مسؤولية شرعيَّة ولا مسؤوليَّة أدبيَّة «لَيْسَ عَلَيْكُم منّي ذِمَام»[1] أي حجة وأنَّني لن أذمَّكم حتَّى وإن قام أحدكم فتركني وذهب لأهله، فأنتم في حلٍ من بيعتي، ولم يكتفِ عليه السلام بهذا بل أعطاهم خطَّة للانسحاب

(١) تاريخ الطبري، ج٤ ص٣١٧.

والخروج فقال: «وهَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُم فاتَّخِذُوهُ جَمَلًا»(١)، إذا كان يخشى أحدكم أَنْ يُعْرَف حين خروجه فلا يراه أحد، أو كان يستوحش من الخروج وحده فليأخذ بيد أحدٍ من الرّجال «ولْيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُم بيَدِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بيتي»(٢)،ومع ذلك وقفوا هذا الموقف العظيم الَّذي نقله التَّاريخ واستمرّوا على ذلك إلى الأخير.

بينما في الطرف المقابل (أصحاب رسول الله) أمر رسولُ الله عمه العبَّاس بن عبد المطلب في يوم حنين أن يصيح بهم وقد كان معروفاً بأنَّه جهوري الصّوت، فوقف في سفح الجبل ونادى بهم: «يا مَعْشَرَ السَّمُرَة يوم الحديبية، ويا أَصْحَابَ سورة البقرة»(٣) يا أيهّا المسلمون، هذا رسول الله حيّ، ولا يزال على قيد الحياة، فيئوا إليه ولكن لا مجيب.

وهكذا الحال أيضاً بالنّسبة إلى غزوة أحد حين فرّوا من المعركة حتى قال رسول الله ﷺ: «لَمُقَامُ نَسِيبَة بنت كعب الأنصاريَّة خيرٌ من مُقَام فلان وفلان»، حيث فرّوا وانهزموا وتركوا رسول الله ﷺ مُحَاصَرًا وحده، في حين أنَّ (نَسِيْبَة) كانت تدافع عنه، ومَنْ ثبت معه كان عددًا محدودًا.

وفي المقابل وجدنا أنَّ أصحاب الحسين قد رُخّص لهم في

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) كتاب المغازي: الواقدي ٣/ ص ٨٩٨.

الانصراف والذّهاب ورفع عنهم المسؤوليّة الشرعيّة والأدبية ومع ذلك ثبتوا. هذه المواقف وأمثالها تجعل أصحاب الحسين عليه السلام خيراً وأفضل. وينطبق هذا الكلام أيضاً على أصحاب أمير المؤمنين وأصحاب الحسن عليهما السلام، وأفضليّتهم عليهم راجعة إلى الوجوه الَّتي ذكرناها.

◄ أصحاب الحسين لا يُحْدِثون أَمْرًا إلا بإذنه

وممَّا يكشف عن أفضليّة أصحاب الحسين عليه السلام أنّهم لم يُخالفوا الحسين عليه السلام ولم يتقدموه في شيء أبدًا، في حين أنَّ أصحاب رسول الله فعلوا ذلك، في مواضع متعددة في حياته كما تشير لذلك سورة الجمعة والحجرات والكثير من الروايات التي يبدأها صلوات الله عليه بقوله «ما بال أقوام»، بل حتى بعد مماته، ويكفيك في هذا ما ذكر في الحديث المشهور «إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[1].

وأمَّا أصحاب الحسين عليه السلام فمع حماسهم الشديد لنصرته إلا أنهم كانوا لا يتقدمون أمره ويكفيك ما قاله حبيب بن مظاهر الأسديّ ليلة العاشر: «واللهِ لولا انْتِظَارُ أَمْرِهِ لَعَاجَلْتُهُم بسَيْفِي هَذهِ اللَّيْلَة»[2].

---

(١) البخاري: ٢٢٩٠: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ: سُحْقًا، سُحْقًا، لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي». .

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص ٤٠٧ ٤٠٨.

أصحابُ الحسين القُدْوة الحَسَنَة

بقي أن نشير لنقطة مهمة وهي أن تعظيمنا لهؤلاء الأصحاب وذكرنا إياهم لا ينبغي أن يبقى في حدود الجانب النظري من تكريمهم، وإنما له بعد تربوي وأخلاقي يمتد إلى حياتنا، وذلك هو إمكانيّة الاقتداء بأصحاب الحسين عليه السلام، فإنه قد يكون أقرب إلى النّفس البشريّة من الاقتداء بالمعصوم!

وتوضيح ذلك: أن جانب العصمة الموجود في المعصومين عليهم السلام، قد يتخذ ذريعة من قبل البعض لعدم الاقتداء بهم! فإذا قيل للشابة: لماذا لا تقتدينَ في سلوكك بفاطمة الزَّهراء عليها السلام؟، ولماذا لا تعيشينَ كما عاشت؟ تقول لك: فاطمة الزَّهراء امرأة معصومة مسدَّدة من قبل الله وحركاتها إلهيَّة ربانيَّة، فأين أنا وأين هي؟! فتتذرع بحاجز العصمة، وهكذا حين يقال للرجل: لماذا لا تقتدي بالإمام الحسين عليه السلام؟، سيجيبك: إنه عليه السلام إمامٌ معصومٌ مُطهّرٌ من كُلّ رجس ومسدَّد من قبل الله، أنَّى لي أن أقتدي به وأقتفي أثره؟، فيضع حاجز العصمة.

أمَّا بالنسبة لأصحابه فإنهم ليسوا معصومين، حتى يتعلل الأشخاص بهذه العلة في عدم الاقتداء بهم. فتكون الحجَّة على المخاطَب أكبر.

عَدَدُ أصْحَاب الحُسَيْن

◀ أسباب اختلاف عدد أصحاب الحُسَيْن

يقف الباحث في النَّهضة الحسينيَّة على اختلافٍ واضح بين المؤرخين فيما يذكرونه من عدد أصحاب الحسين عليه السلام، ونعتقد أن هذا الاختلاف طبيعيٌّ، وهو عائدٌ لعدَّة أسباب:

◁ الأوّل: الإحصاء التَّقديري للعدد

ويعتبر هذا السبب من أهمّ هذه الأسباب، وقد أشار إليه المرحوم الشّيخ محمّد مهدي شمس الدين في كتابه (أنصار الحسين) حيث ذكر أنَّ مَردَّ الاختلاف في عدد أصحاب الحسين هو أنَّ هذه الأعداد جاءت من أشخاص قاموا بإحصاء نظريّ وتقديريّ[1].

---

(١) أنصار الحسين عليه السلام، ص ٤٣. الشيخ محمد مهدي شمس الدين: «من المؤكد أنه لا سبيل لنا إلى معرفة العدد الحقيقي لأصحاب الحسين عليه السلام، من استشهد منهم ومن لم يرزق الشهادة، وذلك لان المستندات المباشرة لهذه المسألة، وهي روايات شهود العيان، مختلفة في التقدير. وهي، بطبيعة الحال، غير مبنية على الاحصاء، بل مبنية على الرؤية البصرية والتخمين كما تقضي بذلك طبيعة الموقف».

ويختلف الاحصاء التقديري من شخص لآخر، فلو سألتَ المصلّين في مسجدٍ معيَّن، عن عدد الحضور في المسجد؟، فسوف يجيبك كلُّ فرد بعددٍ مختلف عن الآخر، مع أنَّهم موجودون في نفس المكان ونفس الوقت، وإنما اختلفوا في تحديد العدد لأنَّ إجابتهم كانت تقديريَّة.

◁ الثَّاني: تقدير الأعداد في أوقات مختلفة

والسبب الآخر لاختلاف العدد فيما ذكره المؤرخون أن تقدير الأعداد كان في أوقات مختلفة، وهو يؤدّي إلى اختلاف العدد، فقد يكون أحدهم قدَّر العدد لمَّا وصل الحسينُ إلى قرب القادسيّة حيثُ قال: لمَّا وصل الحسين إلى قرب القادسية ورأى الحرّ بن يزيد الرّياحي قد أقبل، فمال الحسينُ مع أهله وثِقْلِه ومعهم (١٤٥ رجلاً)،[١] بينما يكون شخص آخر قد قدَّر العدد في صبيحة يوم عاشوراء فنراه يقول: لما أصبح الحسينُ يوم العاشر صَفَّ أصحابه وكانوا (٨٢ رجلاً)[٢].

إن من الواضح أنه كما كان معسكر الأمويين تتغير أعداده وتتنامى بحسب وصول المَدد، كذلك كان يتغير معسكر الإمام الحسين عليه السلام، زيادة ونقصًا منذ خروجه من مكة إلى كربلاء، بل في كربلاء من اليوم الثاني إلى يوم العاشر وقت حدوث المعركة.

---

(١) مثير الأحزان، لابن نما الحلّي، ص ٥٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب، لابن شهرآشوب، ج٤ ص٩٨.

◁ الثَّالث: اختلاف جهة حساب الأعداد

فإنّ البعض يحسب العدد باعتبار كونهم شهداء كما في زيارة الناحية المقدسة (التي ذكرت الشهداء وقتلتهم)، وبعض آخر يحسب عموم الرّجال الذين كانوا في كربلاء، حيث أنَّ هناك عددًا من العترة والأنصار لم يُسْتَشْهَدُوا، وهذا يؤثر في النَّتيجة، وهناك من لا يعدُّ الخدم والعبيد.

◄ هل يُعْقَل العدد القليل لأنصار الحسين عليه السلام؟

أثار بعض الباحثين إشكالاً على العدد المعروف لأصحاب الحسين مفاده: أنَّه لا يعقل أنَّ عدد أصحاب الحسين عليه السلام هو (٧٠) أو (١٠٠) أو (١٤٥) أو (١٥٠)، بل لا بد أن يكون العدد أكبر بكثير ممَّا ذُكر، حتَّى قال بعضهم: إن العدد ٧٠ سقط منه اثنان من الأصفار أو واحد، فينبغي أن يكون العدد (٧٠٠٠) أو (٧٠٠) على الأقل! وقدم هؤلاء بعض الوجوه التي تؤيد كون العدد بهذه الأرقام، منها:

أولاً: إن مكانة الحسين العظيمة في نفوس المسلمين، تجعل من الطبيعي أنه عندما يفجّر ثورة يتبعه المئات إن لم يكن الألوف، ويمثل هؤلاء بزماننا المعاصر وأنه لو خرج خطيب من الخطباء لاتبعه المئات! فهل يعقل أن يخرج الحسين ابن بنت رسول الله، وهو الإمام المعصوم، فلا يخرج معه إلا العدد القليل من أهل بيته وسائر الأنصار؟

ثانيًا: يضيف هؤلاء: كيف أنَّ الدولة الأموية تجهّز (٣٠ , ٠٠٠) مقاتل على أقلّ التقادير مقابل (٧٠) أو (١٠٠) أو (١٥٠)، هذا غير معقول!، فإذن لابد أن يكون عدد أنصار الإمام الحسين عليه السلام أكبر بكثير من العدد المشهور.

◄ **ونجيب على هذا الإشكال بجوابين**

الأوَّل: الجواب النّقضي:

وهو أنَّ هذه الحالة ليست الأولى الَّتي نشهد فيها هذا المشهد فلو ذهبنا إلى واقعة الغدير، فإن أقلَّ ما قيل إنَّ عدد الحضور فيها كان (٢٠) ألف، وبعضهم قال: (١٠٠) ألف.

وبنفس طريقة الاستبعاد نقول: قد سمع هؤلاء العشرون ألفًا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلزامَه النَّاس بولاية أمير المؤمنين، بل طُلب منهم أن يبايعوا الإمام في (١٨ ذي الحجة)، فأين كان هؤلاء حين وفاة رسول الله الَّتي كانت (٢٨ صفر) ولم يمضِ سوى سبعين يومًا على الحادثة، فكمْ مِن هؤلاء اعترض على إزاحة الإمام في قضية السقيفة؟

إن الذي نقله لنا التاريخ هو أنَّ الَّذين اعترضوا على الخليفة الأوَّل عندما قام للخطبة، كان عددهم (١٢) شخصًا معروفين بأسمائهم ومحددين بأشخاصهم.

ونسأل كم هي نسبة (١٢) إلى (٢٠ , ٠٠٠)؟! أما إذا قلنا أن

عدد السامعين كان فوق هذا فالأمر يكون أشد إشكالًا.

فكون الحسين نهض ولم يكن معه إلا سبعون من الأنصار ليست قضية منفردة منعدمة النظير، بل لها نظائر كواقعة الغدير، مع وجود الفارق بين القضيتين، أنصار الحسين ذاهبون للموت والقتل، بينما كان الامر في واقعة الغدير مجرد اعتراض، ومع ذلك لم يعترض إلا (١٢ شخصًا).

ونظيرها الآخر فيما بعد هذه الفترة التاريخيَّة، في مثال الإمام الصَّادق عليه السلام فلا ريب أنَّه كان محبوبًا من كلّ أبناء الأمّة، حتَّى من غير شيعته، بل كان بعض أئمّة المذاهب من تلامذته، لكن أين كانت هذه الأُمَّة حينما اغتال المنصورُ العباسيُّ الإمامَ الصَّادقَ عليه السلام؟ وكم منها خرج مندّدًا بهذا الفعل؟

هذه الأمّة هي نفسها تلك الأمّة الّتي شهدت الغدير ولم تعترض، وهي الّتي عَلِمَتْ بنهضة الحسين عليه السلام ولم تنصره.

الثّاني: الجواب الحَلّي:

والحلُّ يكون بالتّفريق بين التّعاطف القلبيّ والموقف العمليّ، فتجد النَّاس بمشاعرهم القلبيَّة بعشرات الآلاف، ولكن عندما يتطلب الأمر موقفًا عمليًا تختلف الأمور وخصوصًا إذا احتاج إلى التضحية.

بل قد لا يحتاج الموقف للتضحية ومع ذلك تجد الموقف العملي

سلبيا، فإن الإمام علي عليه السلام استنشد النَّاس وهو في الرّحبة، وكان حاكمًا في تلك الفترة – أي: أنَّه لا خوف ولا تقية – وقال: مَنْ مِنْكُم سَمِعَ حديث الغدير؟ فليقم، فما شَهِدَ منهم إلا أفراد قلائل(١).

إذن هناك فرقٌ بين المشاعر القلبيَّة بين أنْ أُحِبَّ الإمام عليًّا وأحِبَّ الإمام الحسين، وبين أن أتخذ موقفًا عمليًّا، لقد (نصح) بعض أصحاب النبي الإمام الحسين أن يرجع عن حركته وقد يكون منطلق هذا الموقف محبة قلبية!

ولذلك نستعيد ما قلناه في موضوع سابق حول مقام أصحاب الحسين وقوله عنهم «فإنّي لا أَعْلَمُ أَصْحَاباً أوفى ولا خَيْراً من أَصْحَابي»، حيث اتخذوا مواقف عملية، تحركوا من خلالها في ميدان الثبات حتى بلغوا غاية الشهادة. نعم تنقل بعض الروايات التاريخية أن عدد منساير الحسين في طريق خروجه من مكة ربما بلغوا ألفًا، ولكن لما تبين لهم أن الأمر فيه شهادة وليس غنائم انسحبوا، وبقيت الصفوة التي وصفت بما سبق ذكره.

والكلام هو نفس الكلام في قضية مسلم بن عقيل، فما دامت القضيّة مجرد بيعة ويحتمل من ورائها الحصول على وظيفة وعطاء فنحن معك ونبايعك، أمَّا إذا انقلب الأمر حيث جاء والٍ شرسٌ كابن

(١) مسند أحمد (٣٢/ ٥٦ ط الرسالة): «جمع علي رضي الله عنه الناس في الرحبة، ثم قال لهم: أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم ما سمع، لما قام، فقام ثلاثون من الناس» وفي تاريخ دمشق أنهم ثلاثة عشر.

زياد، وستكون هناك مواجهة مع جيش بني أميَّة فهم ليسوا معه.

فإذن نحن شهدنا حالات متعدّدة في تاريخ المسلمين تشبه ما حدث في كربلاء، فهناك فرقٌ بين ما يُحِبُّه الإنسان بقلبه ويتعاطف معه نفسيًّا، وبين ما يقوم به عمليًّا.

وبناء على ما تقدم نعتقد أن ما ذكره بعض الباحثين آنفا، ونظر إليه بعض المتلقين على أنه قراءة جديدة في عدد الأصحاب لا يستقيم بحسب الدليل، فإنه لا شاهد عليه من نقل تاريخي معتبر فضلا عن الروايات المعتبرة عن المعصومين، وإنما يقوم على أساس استبعاد أن يكون أصحاب الحسين بهذا النحو من القلة، وقد تبين لك أن هذا الاستبعاد بالإضافة إلى أنه لا يمكن أن يكون تأسيسًا لفكرة تاريخية، فهو كذلك ليس مستغرَبًا لوجود نظائر كثيرة له[1].

(١) منها ما ذكر في الكافي ٨/ ٣٣:من أن هناك من بايع الإمام عليًّا واستنهضه لحقه وإزالة الظلم الذي لحق به، وتقول الرواية إنهم كانوا ٣٦٠ رجلا، فطلب منهم أن يبكروا صباح اليوم التالي محلقين (علامة الاستعداد للقتال) عند أحجار الزيت خارج المدينة، فما وافاه في اليوم التالي غير خمسة أشخاص!

.

القسم الأوَّل

- الطَّالبيِّون.
- آل عقيل بن أبي طالب.
- آل جعفر بن أبي طالب.
- آل عليّ بن أبي طالب.

طالبيّون أم هاشميّون؟

يُقَسّمُ الباحثون أنصار الحسين عليه السلام إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: الهاشميّون[1].

القسم الثاني: غير الهاشميّين.

ويمكن أن يُناقش هذا التّقسيم بعدم دقته، وأن الصحيح هو عنونته بالطالبيين وهم قسم من الهاشميين، فإن غير الطالبيين لم يشاركوا الحسين في نهضته وشهادته.

إنَّ الهاشميّين هم المنسوبون إلى هاشم والد عبد المطلب وجد العبّاس والحمزة وأبي طالب وآخرين ممّن لم يبقَ منهم إلا هؤلاء.

والذين حضروا كربلاء من الهاشميّين تحديداً هم بعض آل أبي

(١) دائرة المعارف الحسينية؛ معجم أنصار الحسين (الهاشميون) ج ٣ / للشيخ محمد صادق الكرباسي. وكذلك صنع المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين في كتابه أنصار الحسين / ١٢٨، لكنه فيما بعد جعل المقابلة بين الطالبيين والعباسيين لبيان تفوق الفئة الأولى ٢٠٥.

طالب، فلم يذكر في أنصار الحسين عليه السلام اسم أي شخص من أبناء العبّاس بن عبد المطلب أو أحفاده مع أنَّه خلَّف عدداً كبيراً من الأبناء بلغوا اثني عشر ابنًا (وقيل ١٠) والأحفاد وهم أكثر من هذا بكثير، وكانوا موجودين في سنة ٦١هـ.

ولا يذكر فيهم غيرُ عبد الله بن عبَّاس الذي اقترح على الإمام الحسين عليه السلام أن لا يخرج من أرض مكة، وأن لا يذهب إلى العراق؛ لأنَّ أهل العراق سوف ينكثون عهدهم وسوف يفعلون به كما صنعوا بأبيه وأخيه من قبل!

ولم يبقَ من أولاد حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله أحدٌ إلى زمن واقعة كربلاء، وكان قليل العقب فلم يشاركوا فيها، فالحمزة هاشميّ وله أدوار مهمة في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن لا مشاركة لأحد من أبنائه فضلا عن الأحفاد، حيث لم يذكر له أحفاد أصلا.

والّذين شاركوا في كربلاء من بني هاشم هم خصوص آل أبي طالب حصراً، كأبناء عقيل ابن أبي طالب وأحفاده، وأبناء جعفر بن أبي طالب، وأبناء عليّ بن أبي طالب كالعبَّاس وإخوته، وكذلك أحفاد أمير المؤمنين من أبناء الحسن المجتبى عليه السلام، والإمام الحسين. فالهاشميّون المعنيّون في كربلاء هم آل أبي طالب حصرًا.

بل حتى في الطالبيين لم يكن شرف الشهادة حاصلا للجميع، فإن أبناء محمد بن الحنفية وهو من أبناء أمير المؤمنين فهو طالبي،

ولكن لم يكن أحد من أبنائه في كربلاء، ولولا كونه في المدينة (عيناً للحسين كما قيل) لخرج منها صفر اليدين.

ومن هنا فجعل العنوان دائرا مدار الهاشميين (١) غير صحيح. فلا يصح أن نقول: (الهاشميّون من أنصار الحسين عليه السلام).

ولعلَّ هذا من كرامة الله للرّجل العظيم أبي طالب مؤمن قريش الّذي حمى النّبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم، وضحَّى بكلّ شيء من أجل حفظ الرّسالة، فقد اختصَّه الله واختصّ أبناءه (عليًّا وجعفر) بأن يكونوا أنصاراً لدين الله ورسوله، وأحفاده بأن يكونوا أنصارًا للإمام المفروض طاعته على البشر وهو الإمام الحسين عليه السلام في حين قد حُرِمَ من ذلك باقي أقارب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بني هاشم.

وسنواصل الحديث عن بعضهم فيما يأتي من الصفحات.

---

(١) لعل شيوع هذا العنوان راجع إلى المقابلة التي تحصل بين الهاشميين والأمويين.

آل عقيل بن أبي طالب

◄ من هو عقيل بن أبي طالب؟

عقيل هو الابن الثَّاني من أبناء أبي طالب، حيثُ كان طالبٌ هو الأكبر، وبه كُنّي والده حتى غلبت كنيته هذه اسمه، وهو عمران.

وطالبٌ هذا لم يُعلم خبرُه، فقد خرج من مكة ولم يرجع، فاختفى أثره في الطَّريق في أوائل بعثة الرَّسول، فلا يوجد عندنا معلومات عن هذا الرَّجل، ثمَّ مِنْ بعده يأتي عقيل ثمَّ جعفر ثمَّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

◄ هل بين كل واحد منهم 10 سنوات؟

يتردَّد كلام في بعض الكتب[1]؛ أنَّ بين كلِّ واحدٍ من أبناء أبي

(١) جمهرة النسب ص ٣٠ ابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ) «كان بين طالب وعقيل عشر سنين؛ وبين عقيل وجعفر عشر سنين؛ وبين جعفر وعليّ عشر سنين». ويظهر أنه أول من قاله ثم نقله عنه ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) في الطبقات الكبرى، وابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) في الاستيعاب، وهكذا أخذ طريقه إلى كل من

طالب عشر سنوات، فالمشهور أنَّ بين طالبٍ وعقيلٍ عشر سنوات، وبين عقيلٍ وجعفر عشر سنوات، وبين جعفر وعلي عشر سنوات، وبالتالي يفترض أن يكون بين عقيل وأمير المؤمنين عشرون سنة.

هذا ما جاء في بعض الكتب لكنَّه محل تأمُّل وتساؤل، وهذا ما دعا بعض المحقّقين ومنهم المرحوم السيّد جعفر مرتضى العاملي إلى عدم قبول هذه الفكرة، وإنه لا يوجد بين عقيل وعليٍّ فاصلة عشرين سنة، واستشهد على ذلك بما نقله عن البلاذري في أنساب الأشراف والمسعودي في مروج الذهب وإنَّما هي بحسب رأيه لا تزيد عن ثلاث عشرة سنة، وتخلّلها إنجاب نساء وجعفر أيضاً. على أن هذا التوقيت في أنَّ فاطمة بنت أسد (رضوان الله عليها) لا

تحدث عن عقيل بن أبي طالب أو جعفر، وفي مصادر الإمامية فقد ذكره الشيخ الصدوق رحمه الله في كتابه الخصال ص ١٨١ هكذا «حدثنا الحسن بن محمد بن يحيى العلوي رضي الله عنه قال: حدثني جدي قال: حدثنا الحسين بن محمد قال: حدثنا ابن أبي السري قال: حدثنا هشام ابن محمد بن السائب، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كان بين طالب وعقيل عشر سنين، وبين عقيل وجعفر عشر سنين، وبين جعفر وعلي عليه السلام عشر سنين». وينهي الرواية لابن عباس، غير أن رجاليي مدرسة الخلفاء يضعفون أبا صالح (باذام) إما بشكل كليٍّ أو فيما رواه عن ابن عباس خصوصًا. والبعض يحتمل أنه أبو صالح البصري وقد وثقوه، فهو في أحسن الأحوال مردد بينهما.

وأما في مدرسة أهل البيت فلم أجد ترجمة له، لكن الكثير منهم نقل أقوال رجاليي مدرسة الخلفاء في تضعيفه، واستدل بها، كما صنع العلامة الاميني في الغدير ٥/ ٢٢٠ حيث جعله في سلسلة الكذابين الوضاعين. على أنه لو تم النقل يكون عن ابن عباس ولنا أن نقبله أو نرده.

تنجب إلا على رأس كلّ عشر سنوات تمامًا أمر غريب لم يعرف له سابقة ولا لاحقة!

عقيل لم يكن كأمير المؤمنين عليه السلام في سبقه إلى الإسلام لكنَّه أسلم وشارك في بعض الحروب، ونقل المؤرخون أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نَفَلَه بعضَ الأشياء من قتله لبعض الكفّار، أي أنَّه بارز الكفار فقتلهم فنفله وأعطاه خاتمه وسيفه وسلبه حق الكافر. «وعُدّ ممّن ثبت مع النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين، كما أنه شهد صفّين والجمل والنّهروان مع أمير المؤمنين عليه السلام»[1].

(١) نقله الشيخ الأحمدي في كتابه: عقيل بن أبي طالب ص ٤٩، عن كتابي الاستيعاب وتهذيب التهذيب.

عقيل بن أبي طالب عَالِمُ الأنساب

اشتهر عقيل على مستوى واسع عند العرب أنَّه كان يَعْرِفُ الأنساب ويَعْرِف تَبَعًا لذلك محاسن القبائل ومثالبها، يعني: الملّفات السّوداء في كلّ قبيلة، لذلك كان يُخشى من لسانه، فإذا أراد أَحَدٌ أن يوجّه كلامًا سيّئًا إليه يَخْشَى منه أن يفتح ملّفات جدّه وآبائه، ولهذا استشاره أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في خطبته لأمّ البنين.

◄ وَقْفَاتٌ في حياة عقيل بن أبي طالب

◁ الوقفةُ الأولى: حَادِثَةُ الحَدِيْدَةَ المُحْمَاة

وهي حادثة مشهورة بينه وبين أمير المؤمنين عليه السلام عندما وضع عليه الحديدة المحماة بعدما طلب منه عقيلٌ الأموال يقول عليٌّ عليه السلام: «والله لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وقَدْ أَمْلَقَ - حَتَّى اسْتَماحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً - ورأيتُ صبيانَه شُعْثَ الشُّعور[١] غُبْرَ الألوان[٢] مِنْ فَقْرِهم كأنَّما

(١) شُعْث: جمع أَشْعَث، وهو من الشَّعَر المتلبِّدُ بالوسخ.

(٢) والغُبرْ - بضمَّ الغين -: جمع أَغْبرَ، متغيرِّ اللَّون شَاحِبُهُ.

سُودِّتْ وُجُوهُهُم بالعَظْلَم[1]، وعَاوَدَني مؤكِّدا، وكَرَّر عليَّ القَوْلَ مردّدًا، فأَصْغَيْتُ إليهِ سَمْعِي فظَنَّ أَنِّي أبيعُه دِيْنِي وأَتَّبعُ قِيَادَه[2] مُفَارقًا طَريقي، فأحميْتُ له حديدةً ثمَّ أدنيتُها مِنْ جِسْمِه ليَعْتَبِرَ بهَا فضَجَّ ضجيجَ ذي دَنَف[3] مِنْ ألمِهَا، وَكَادَ أن يحترقَ من مِيْسَمِهَا[4]، فقلتُ له: ثكلتك الثَّواكل يا عقيل»[5].

وخلاصة القضية أنَّ عقيلًا أحاط به دَيْنٌ ثقيلٌ، وكان كثيرَ العيال، والنساء ولم يكن ثريًّا فجاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وطلب منه المال فقال له: انتظر حتَّى يخرج عطائي وأنا أعطيك، قال: ما قَدْر ما يبلغ عطاؤك حتَّى يكفيك نفسك وأهلك ويزيد فتعطيني إيَّاه؟

«وَكَانَا يَتكَلَّمَانِ فَوْقَ قَصْرِ الْإِمَارَةِ مُشْرِفِينَ عَلَى صَنَادِيقِ أَهْلِ السُّوقِ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: إِنْ أَبَيْتَ يَا أَبَا يَزِيدَ[6] مَا أَقُولُ فَانْزِلْ إِلَىَ بَعْضِ هَذِهِ الصَّنَادِيقِ فَاكْسِرْ أَقْفَالَهُ وَخُذْ مَا فِيهِ!

فَقَالَ: وَمَا فِي هَذِهِ الصَّنَادِيقِ؟ قَالَ: فِيهَا أَمْوَالُ التُّجَّارِ!

قَالَ: أَ تَأْمُرُنِي أَنْ أَكْسِرَ صَنَادِيقَ قَوْمٍ قَدْ تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ وَجَعَلُوا فِيهَا أَمْوَالَهُمْ؟

---

(١) العَظْلَم – كزَبْرَج –:سوادٌ يُصبغ به.
(٢) القِيَاد: مَا يُقَادُ بِهِ كالزِّمَام.
(٣) الدَّنَف – بالتحريك –:المرض.
(٤) المِيْسَم – بكسر الميم وفتح السين –: المكواة. .
(٥) نهج البلاغة ٢/ ٢١٧.
(٦) كنية عقيل.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: أَ تَأْمُرُنِي أَنْ أَفْتَحَ بَيْتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ فَأُعْطِيَكَ أَمْوَالَهُمْ وَقَدْ تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ وَأَقْفَلُوا عَلَيْهَا وَإِنْ شِئْتَ أَخَذْتَ سَيْفَكَ وَأَخَذْتُ سَيْفِي وَخَرَجْنَا جَمِيعاً إِلَى الْحِيرَةِ فَإِنَّ بِهَا تُجَّاراً مَيَاسِيرَ فَدَخَلْنَا عَلَى بَعْضِهِمْ فَأَخَذْنَا مَالَهُ! فَقَالَ: أَ وَسَارِقًا جِئْتُ؟ قَالَ: تَسْرِقُ مِنْ وَاحِدٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَسْرِقَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً»(١).

وقد حصلت تلك الحادثة من تقريب الحديدة المحماة بعد هذا كما يظهر.

◁ اعتقادٌ خاطِئ

هناك قسم من النَّاس يعتقد ما دام الشَّخص ينتمي لبني هاشم فإنَّه من أفضل النَّاس وأورعهم، وهذا الاعتقاد ليس صحيحًا، نحن نعتقد أنَّ هناك صفوة اختارها الله عزّ وجلّ لشريعته ولعقيدته ولإرشاد النّاس وهم محمّد وآله عليهم السلام، وهؤلاء لا يُقاس بهم أحد، أمّا غيرهم فليس الأمر كذلك، فلا يُقَاسُ عقيل مثلا بأخيه عليّ عليه السلام أبدًا.

◁ الوقفة الثّانية: ذَهَابُ عقيلٍ لمعاوية

من الأمور التي تحتاج لتفسير؛ ما يذكر أنّه ذهب لمعاوية بن أبي سفيان، واستفادته من أموال معاوية بن أبي سفيان، والسّؤال: هل هذه الحادثة تُسْقِطُ عقيلًا من الميزان؟

الجواب: كلا، للأسباب التَّالية:

---

(١) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ١/ ٣٧٦ بتصّرف.

الأوَّل: ذهاب عقيل إلى الشَّام على الرَّأي الأصح كان بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام وليس قبل شهادته، فبعدما اسْتُشْهِدَ الإمام عليّ عليه السلام، وأصبح معاويةُ مسيطرًا على كلِّ البلاد وأصبحت الأمور بيده، كان عقيلٌ لا يزال ملحوقاً بالدّيون وبحالته الماديّة الصَّعبة، ولم يستطع الخروج منها، ومعاوية كان يرغب في أن يأتي إليه عقيل حتَّى يستفيد منه في عدّة أمور:

١) كان يريد أن يُخرج منه كلمة مدح له، وأنَّه أفضل من أخيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنَّ عليًّا لم يُعطه، بينما هو أعطاه.

٢) أن يُحْسَبَ عقيلٌ على معاوية ويتكلّم بما يناسب المقام.

لكنَّ عقيلًا لم يحقّق لمعاوية ما كان يرغب فيه، فكان إذا سأله معاوية: أنا خيرٌ أو أخوك عليّ؟، كان يجيبه: عليٌّ خيرٌ لي في دِيْنِي، وأنت تُعطيني من دنياك[1]، فلم يستطع معاوية أن يخُرج من عقيل تصريحًا مضادًا لأخيه وإن كان بعضٌ كالجاحظ، نسب لعقيل بعض الكلام الّذي لا يتوقع صدوره منه[2].

بل صدر منه كلام مزعج في مثالب معاوية وأصحابه، فقد دخل ذات مرّة على معاوية وكان معه عدد من أصحابه كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وغيرهم، وبعد أن كشف له مثالبهم، ووصل الدور لمعاوية نفسه، فقال له: يكفيك أن تعرف من هي

---

(١) يُنظر: بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج ٤٢ ص ١١٦.

(٢) يُنظر: العقد الفريد، للأندلسي، ج ٣ ص ٦٩.

حمامة! وقد ذكر النسّابون أنها كانت من جداته وهي من ذوات الأعلام في الجاهليّة[1].

نَعَم أعطى معاويةُ عقيلًا مبالغَ ماليّة سَدَّد بها ديونه، وكان هذا غاية عقيل في ذهابه، وإن كان الذهاب هذا غير مستحسن عند بعض الشيعة. ويرى مؤرخون أنَّ ذهابه كان بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام كما صرَّح به ابن أبي الحديد المعتزليّ في شرح نهج البلاغة[2]، وأنَّه بعدما كُفَّ بصره في أواخر حياة أمير المؤمنين، فهو بحكم المضطر لذلك فإذا كان لا يستطيع في الأحوال العادية كسب المال وتأدية الدين، فمع كونه كفيف البصر سيصبح أمره أكثر حرجًا.

◄ عقيلُ ناصرُ النّهضة الحسينيّة

يُنقل عن رسول الله مدحُه لعقيل، وأنَّه يحبُّ عقيلًا حُبَّيْن حبًّا لذاته، وحبًّا لحبّ أبي طالب له، فعن ابن عبّاس قال: «قال عليّ عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله، إنَّك لتحبّ عقيلا؟، قال: إي والله إنّي لأحبُّه حبَّين: حبًّا له، وحبًّا لحبّ أبي طالب له، وإنَّ ولده لمقتول في محبّة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلّي عليه الملائكة المقربون، ثمّ بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتَّى جرت دموعه على صدره، ثمّ قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي»[3]، فولده مسلم بن عقيل وسائر أبنائه الآخرين سوف يكونون أنصاراً للإمام

(١) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج ٤٢ ص ١١٢.

(٢) شرح النهج، لابن أبي الحديد المعتزلي، ج١٠ ص٢٥٠.

(٣) الأمالي، للشيخ الصَّدوق، ص ١٩١.

الحسين عليه السلام، وهذا الأمر هو الذي شرَّفه، ورفع درجته ومنزلته أكثر من سائر الهاشميّين، حيث إنَّ عدد أولاده من الشّهداء في كربلاء خمسة، وهم الّذين كانت ترثيهم زينب بنت عقيل:

عَيْنُ جُودي بعَــبْرةٍ وَعَوِيْلِ وانْدُبي إنْ نَدَبْتِي آلَ الرَّسُولِ
سِــتَّةٌ كُلُّهــم لِصُلــبِ علي قَدْ أُصِيبُوا وخَمْسَةٌ لعَقِيْلِ[1]

---

(١) النزاع والتخاصم، للمقريزي ص ٢٩. ويلاحظ وجود اختلاف وتباين في نقل العدد بين المؤلفين سواء في الذين هم لصلب علي عليه السلام أو لعقيل.

مُسْلِمُ بنُ عَقِيْل سَفِيْرُ الحُسَيْنِ وثِقَتُه.

جاء في رسالة الإمام الحسين عليه السلام لأهل الكوفة: «أمَّا بعدُ فإنِّي بَاعِثٌ إليكم أَخِي وابنَ عمِّي وَثِقَتِي مِنْ أهل بيتي فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله»[1].

أمُّه قيل إنَّ أمَّه نَبطية تُسمَّى (عُلَيَّة)[2]، ولا يذكر التاريخ شيئًا مفصَّلًا عنها إلا أنّ معرفتنا أنَّ عقيلًا كان مستشارًا لأخيه عليّ بنِ أبي طالب في أمر نكاحه من أمِّ البنين، يقتضي أن يتخيَّر من النّساء ما يُناسب شأنه وشرفه وما يتوقع منها من الإنجاب، حيث كان عالِمًا بالأنساب وعالِمًا بالمناقب والمثالب في القبائل العربيّة، ومن كان كذلك يفترض منه أن يتخيَّر من النّساء بالذّات لقضية النّكاح والاستيلاد على نحو الزَّواج لا على نحو التَّسرّي، فيكون اختيارُه على أسس وإن كنَّا لا نعرفها الآن.

---

(١) الإرشاد، للشيخ المفيد، ج ٢ ص ٣٩.

(٢) المظفر؛ عبد الواحد؛ سفير الحسين مسلم بن عقيل ص ٧. .

وبذلك تُردّ الرواية الّتي تذكر أنَّ أمَ مسلم ابن عقيل جارية أهداها له معاوية وهذه الرّواية مشتهرة وتذكر أحيانًا في كتب الإماميّة كما يذكرها المدائني.

◄ بين معاوية وعقيل

روى المدائني قال: قَالَ معاويةُ يومًا لعقيل بن أبي طالب: «هَلْ من حاجةٍ فأقضيها لك؟، قال: نعم، جَاريةٌ عُرِضَتْ عَلَيَّ وَأبى أصحابُها أن يبيعوها إلا بأربعينَ ألفًا، فأحبَّ معاويةُ أن يُمازحَه، قَالَ: ومَا تصنعُ بجاريةٍ قيمتُها أربعونَ ألفًا وأنت أعمى، تجتزئ بجاريةٍ قيمتُها خمسون درهمًا، قال: أرجو أن أطأها فتلدَ لي غلامًا إذا أغضبتَه يضرب عنقك، فضَحِكَ معاويةُ وقال: مازحناك يا أبا يزيد، وأمر فابْتِيْعَتْ لهُ الجارية الَّتي أولد منها مسلمًا رحمه الله، فلمّا أَتَتْ على مسلم ثمانيَ عشرةَ سنةً وقد مات عقيل أبوه، قال لمعاوية: يا أمير المؤمنين إنَّ لي أرضًا بمكان كذا من المدينة، وإنّي أُعطيت بها مائة ألف، وقد أحببتُ أن أبيعَكَ إيَّاها، فادفع إليَّ ثمنها، فأمر معاويةُ بقبضِ الأرضِ وَدَفَعَ الثَّمن إليه، فبلغ ذلك الحسينُ عليه السلام فكتب إلى معاوية: «أمَّا بعدُ فإنَّك اغتررتَ غُلامًا من بني هاشم فابتعتْ منه أرضًا لا يملكها، فاقبضْ منَ الغلامِ مَا دَفَعْتَه إليه وارْدُدْ علينا أَرْضَنا»، فبعث معاويةُ إلى مسلم فأخبره ذلك وأقرأه كتاب الحسين عليه السلام وقال: ارْدُدْ علينا مالَنَا وخُذْ أَرْضَكَ فإنّك بِعْتَ مَا لا تَمْلِك، فقال مسلم: أمَا دون أن أضرب رأسك بالسَّيف فلا، فاستلقى معاوية ضاحكًا يضرب برجليه وقال: يا بُنَيَّ هذا والله كلامٌ قاله لي أبوك حين ابتعتُ له أمَّك، ثمَّ كتب إلى الحسين عليه السلام:

إنِّي قد رَدَدْتُ عليكم الأرضَ وَسَوَّغتُ مسلمًا ما أخذه، فقال الحسين عليه السلام: أبيتُم يا آلَ أبي سفيان إلا كرمًا»[1].

◄ نقاش في رواية المدائني

إنَّ في هذه الرِّواية أَخْطَاء تاريخيَّة ومضمونيَّة واضحة إضافة لكونها مرسلة وهي:

أوَّلا: من الواضح أنَّ الرواية سِيْقَتْ من أجل إظهار بني أميَّة ومعاوية على أنَّهم ذوو فضلٍ وحِلْمٍ وكرم، فعقيلٌ يطلب من معاوية جاريةً بقيمة أربعين ألف ويعطيه إيَّاها، وحين قال له عقيل أُنجبُ منها غلامًا يضرب عنقك إن أغضبتَه يستلقي لشدَّة ضحكه فهو حليم ومتسامح.

ثانيًا: المراسلات القائمة بين الإمام الحسين عليه السلام وبين معاوية من جهة، وبين مسلم بن عقيل وبين معاوية من جهة أخرى للدرجة الَّتي جعلت مُسْلِمًا يقصد الشَّام ليبيع معاوية أرضًا لم يشترها أحدٌ في المدينة، ولم يُعهد أنَّ علاقةً من هذا النَّوع كانت بين بني هاشم والخلافة الأمويَّة.

ثالثًا: قول الإمام الحسين عليه السلام في ذيل الرّواية: «أبيتُم يا آل أبي سفيان إلا كرمًا»، مدحٌ لآل أبي سفيان وهو الّذي كان معروفًا ببخله الشَّديد حتَّى أنَّه نقل في صحيح البخاري أنَّ هندًا بنت عتبة قالت: يا رسول الله إنَّ أبا سفيان رجلٌ شحيح لا ينفق عليّ وعلى

---

(١) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج ٤٢ ص ١١٦ - ١١٧.

وُلدي، أ فيجوز أن آخذَ من أمواله دون أن يعلم، فقال لها: خذي بالمعروف، فكيف يمدح الإمام الحسين عليه السلام مَنْ اشتكت زوجتُه بخلَه وشُحَّه عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إذن هذه الرّواية لا تُشير إلى أنَّ معاوية أعطى لعقيلٍ جارية أنجب منها مُسْلِمًا، لأنَّها لم تكن جاريةً، وإنَّما امرأة من النَّبط وهم قومٌ من الأقوام مثل بربر المغرب والنّوبة الَّذين تزوَّجَ منهم الأئمَّة فيمَا بعد.

رابعًا: قد ذكرنا في صفحات سابقة أن عقيلًا إنما ذهب بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية في الشام لكي يستعينه في قضاء دين عليه، فهل أن من عليه دين بعشرات آلاف الدراهم يتحرك في شراء جارية قيمتها أربعون ألفًا؟

خامسًا: ما سيأتي في عنوان ولادة مسلم ابنه، فإنه بناء على الرواية السابقة المكذوبة ستكون ولادته بعد هذه السفرة وبعد أخذ الجارية، وعلى الأقل ستكون في سنة ٤١هـ، وهذا على تمام المخالفة فيما سيأتي من البحث بأدلته.

وأنه كيف تصح هذه الرواية مع وجود أخبار تؤكد مشاركته في معركة صفين؟ فهل شارك فيها قبل ولادته؟ وقبل ذهاب أبيه إلى الشام؟ وزواجه المزعوم بأمّه التي اشتراها له معاوية؟

◄ ولادته

تزوَّج عقيلٌ من عُلَيَّة وأنجبتْ له مُسْلِمًا، وقد اختُلف في سنة

ولادته على ثلاثة أقوال:

الأوَّل: وُلِدَ ما بين السَّنة السَّابعة أو الثّامنة للهجرة، فيكون عمره عند شهادته ثلاثًا وخمسين سنة كما يَستقرب ذلك السَّيِّد المقرَّم.

الثَّاني: وُلِدَ في السنة الثانية والعشرين للهجرة، فيكون عمره عند شهادته ثماني وثلاثين سنة، ويفنّد هذا القول اشتراكه في معركة البهنسا[1] عام (٢١هـ).

الثَّالث: وُلِدَ في السَّنة الثانية والثلاثين للهجرة، ولا يمكن الاعتماد على هذا القول أيضًا؛ لأنَّ المعلومَ تاريخيًّا أنَّ مسلم بن عقيل شارك في صفِّين، وكان قَائدًا على جهةٍ من الجهات، ومعركة صفّين كانت في سنةٍ سبع وثلاثين أو ثمانٍ وثلاثين للهجرة، فيكون عمر مسلم على هذا القول أربع أو خمس سنوات، وهذا أمرٌ غيرُ طبيعي أن يكون قائدًا في المعركة وهو في هذا السّن.

◄ زوجته وأولاده

تزوَّج مسلم بن عقيل في ريعان شبابه من رقيَّة بنت الإمام عليّ عليه السلام حيث قال بعض المؤرخين: إنَّ للإمام عليّ عليه السلام رقيَّتَيْن رقيَّة الكبرى ورقيَّة الصُّغرى، ونحن نعتقد أنَّها رقيّةٌ واحدة وهي الَّتي تزوَّجها مسلم بن عقيل، وأنجبتْ له خمسة ذكور وابنتَيْن، وغالبًا ما يردُ الذكر الكثير لابنته حَمِيْدَة أو حُمَيْدَة، والأكثر شيوعًا

---

(١) مدينة في محافظة المنيا في مصر، تم فتحها أيام الخليفة الثاني.

عند العرب التَّصغير.

كانت حميدةُ مع أمِّها في الطَّريق إلى كربلاء حيث وصل خبر مقتل مسلم بن عقيل، فأجلسها الإمام الحسين عليه السلام في حجره ومسح على رأسها كما يُنقل في كتب التاريخ.

◄ بطولاته في الحروب

شارك مسلم في حروب أمير المؤمنين عليه السلام، ويُذكر له دورٌ خاصٌّ في معركة صفين؛ لأنَّ الإمام عقد له رايةً ضِمْنَ اثنتي عشرة راية، وممَّن عقد لهم رايات الإمام الحسن والإمام الحسين ومحمد ابن الحنفيَّة، وكلُّ مَنْ تُعْقَدُ له راية يكون قائدًا على فرقة، لأنَّ عدد المقاتلين كان كبيرًا جدًا.

ويَذكر له بعض مؤرخي مدرسة الخلفاء حضورًا في زمان الخليفة الثاني في معركة البهنسا، ويَذكرون له دورًا مهمًا فيها، وهذا القول لا يصح إلا إذا قلنا إنَّ ولادته كانت مبكّرة أي في السّنة السّابعة أو الثّامنة، أمَّا لو قلنا إنَّها في السَّنة الثانية والعشرين فهذا لا يستقيم حيث لا يمكن أن يشارك في المعركة وهو بعد لم يُولد، فالقدر المتيقّن أنَّه شارك في صفّين، وكان له دورٌ بارزٌ وخِبْرَةٌ عسكريَّة وقاتل فيها قتالا شديدًا.

◄ دوره في النّهضة الحسينيَّة

أهمُّ ما يُذكر عنه مشاركتُه في النَّهضة الحسينيَّة من خلال سَفَارته للإمام الحسين عليه السلام، حيث اختاره للسَّفارة بينه وبين

أهل الكوفة، ويبدو من مجريات التَّاريخ أنَّ مُسْلِمًا كان ممَّن خرج مع الإمام الحسين من المدينة إلى مكة المكرمة، حيث إنَّ بعض الهاشميين- وبعضهم من جملة شهداء كربلاء- لم يخرجوا مع الإمام الحسين عليه السلام من المدينة وإنَّما التحقوا به عند خروجه من مكَّة متّجهًا إلى العراق مثل أبناء عبد الله بن جعفر كما سيأتي.

ويظهر أنَّ مسلم بن عقيل خرج مع الإمام الحسين عليه السلام في وقت مبكّر، ولمَّا بقي الإمام الحسين في مكة وجاءته كتب أهل الكوفة، وكانت على دفعات وتكاملت عنده في حوالي النَّصف من شهر رمضان أو قبله من سنة ستين للهجرة، وقيل إنَّ آخرها كان قد جاء به عابس الشَّاكري الّذي تُذكر له بطولة، وكان يعرف بأسد الأسود، وعلى إثر ذلك فكَّر الإمام الحسين عليه السلام وخطّط للسَّيطرة على الكوفة والاستجابة لطلب هؤلاء.

◄ رسائل المخلصين

كان قسم من رسائل أهل الكوفة هي من الشّيعة الخُلّص أمثال مسلم بن عوسجة، وحبيب بن مظاهر، ومسلم بن كُثَيْر، والمسيَّب بن نجبة الفزاري، وسليمان بن صرد الخُزَاعيّ، وهم فيما بعد إمَّا شهداء كربلاء، وإمَّا شهداء ثورة التَّوابين وهؤلاء الشّيعة أرسلوا رسائلهم نيابةً عن قبائلهم.

◄ رسائل الغنائم

ومن بين تلك الرسائل ما كان أصحابها يفتشون عن المغنم نتيجة تصوّرهم أنَّ السُّلطة ستكون بيد الإمام الحسين، وسيُعطي

مَنْ سَانَدَه المواقعَ والمناصبَ العليا، من أمثال الحجَّار بن أَبْجُر وشَبَث بن رِبْعِي، وعمرو بن الحجاج الزبيدي، فكتبوا رسائلهم بعبارات بليغة وقويَّة بأن يُعَجِّل الإمام الحسين القدوم إلى الكوفة، وكان الغرض تقديمَ يدٍ عند الإمام الحسين لا أكثر.

◄ دوافع توّجه الحسين للكوفة

لَمَّا وصلتْ هذه الرّسائل شكَّلت أحدَ الدَّوافع عند الإمام الحسين للتَّوجه إلى الكوفة، وهنا ينبغي الالتفات إلى أنَّ نهضة الإمام الحسين وحركتَه لم تكن بسبب استجابته لرسائل أهل الكوفة الَّذين دعوه للقدوم ثم غرّوه وخدعوه، وقد يُركّز بعض أتباع مدرسة الخلفاء على هذه الفكرة، لكنها غير صحيحة؛ لأنَّ الإمام الحسين عليه السلام قالها منذ البداية: «إنَّما خَرَجْتُ لطلبِ الإصلاحِ في أمَّة جدّي أُريدُ أَنْ آمرَ بالمعروف وأنهى عن المنكر»، حيث بدأ حركته في السَّابع والعشرين من رجب من سنة ستين للهجرة، وحينها لم تكن هذه الرَّسائل قد أُرسلت، وهي إنَّما تكاملت في النّصف من شهر رمضان في السَّنة ذاتها، فيكون بين بداية الحركة الحسينيّة وهذه الرّسائل ما يقارب ثلاثة أشهر، فهي لم تكن الدَّافع والمُحَرّك الوحيد لقدومه إلى الكوفة.

◄ رسائل واحتجاج

هذه الرَّسائل كانت أحد دوافع الإمام الحسين للقدوم إلى الكوفة وقد استفاد منها في الاحتجاج السّياسي وإحراج الخصم،

حيث إنَّ قسمًا من الَّذين انضمُّوا لمعسكر الإمام الحسين عليه السلام في ليلة العاشر- وإن كانوا آحادًا-كان على إثر احتجاجه عليهم بتلك الكتب والرّسائل: «ألَم تَأْتني كُتُبُكم، ألَم تكْتبُوا إليَّ أن قد أينعت الثِّمار واخضَرَّ الجناب»، فهذا الاحتجاج بالإضافة لعوامل أخرى قدح في ذهن الحرّ الرّياحي فكرة تغيير موقفه فهو لم يجد جوابًا لسؤال الإمام عليه السلام إذا كنتم لا تريدونني فلماذا دعوتموني؟

◄ سفير الحسين

لما تكاملت الكتب اختار الإمام الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل ووصفه في رسالته لأهل الكوفة بأنَّه «أَخِي وابن عمِّي وثِقَتِي مِنْ أهلِ بيتي»، فهو بمنزلة الأخ لا بمعنى النَّسب، بل كما قَال النَّبيُّ للإمام عليّ عليهما السلام (أنت أخي)، فلا تُحْمَل على ظاهر الأخوَّة بل تُحْمَل على المعنى العام للأخوَّة من القُرْبِ والمُعَاضَدة، ويمكن التَّرقي في المعنى إلى مرتبة أعلى فنقول بمعنى المشابهة باستثناء ما يُستثنى مثل العصمة والإمامة، فالإمام يريد أن يقول إنَّ مسلم بمَحَلّ نفسي وهو ثقتي من أهل بيتي(١).

◄ تزكية وتوثيق

زوَّد الإمام الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل بهذه الرِّسالة وبُثّتْ هذه الرّسالة في أوساط الكوفة، وكان غرض الإمام الحسين عليه السلام

---

(١) قد يُسأل سؤال هل أنَّ مسلم بن عقيل أفضل من أبي الفضل العبّاس أو عليّ الأكبر؟، والجواب: إنَّ هذه الجملة لا تتولّى بيان الأفضليّة، بل هي في مقام بيان أنَّ مسلمًا من ثقات الإمام الحسين عليه السلام.

من توثيق مسلم بن عقيل والمبالغة في تزكيته أن لا يواجه اضطرابًا حول سفارته، وعزوفًا عن بيعته وهو ما حدث فعلًا، فكانت بيعته سهلةً وسلسةً جدًّا؛ لأنَّ النَّاس ينظرون لبيعته وكأنَّها بيعةٌ للإمام الحسين عليه السلام فبايعه ثمانيةَ عَشَرَ ألفًا كما نُقل في فترة قصيرة.

◄ المختار الثّقفي وأزمة التّصريح

وعلى العكس ما حصل مع المختار الثّقفي فمِنْ أشدِّ المشاكل الّتي واجهها المختار الثَّقفي في مجتمع الكوفة هي مشكلة التّفويض والتصريح، لأنَّ الإمام السَّجاد عليه السلام كان يرى أنَّه ليس من الصَّالح أن يُعلن عن ارتباط المختار به، إمَّا لجهة سياسيَّة والموقف من بني أميّة، أو لأنَّه ستحصل بعض الإشكالات التَّفصيليَّة في أعمال أنصار المختار فيما بعد، فالإمامُ لا يريدُ أن يتحمَّل تلك الأخطاء، أو لأسبابٍ أخرى، فلم يُصَرِّح الإمام السجاد عليه السلام كالتَّصريح الَّذي صرَّحَه الإمام الحسين عليه السلام في حقّ مسلم بن عقيل، لذلك واجه المختار مشكلةً كبيرةً، واستطاع الزُّبيريُّون والأمويُّون أَنْ يضربوا على هذا الوتر، فهو لا يُؤيّد من قبل أهل البيت عليهم السلام لولا أنَّ محمَّد بن الحنفية سأل الإمام زين العابدين عليه السلام عن موقفه تجاه المختار فرَدَّ الإمام زين العابدين عليه السلام عليه بجوابٍ عام «يا عم لو أَنَّ عبدًا زنجيًّا تَعَصَّب لنا أهلَ البيت، لوَجَبَ على النَّاس مؤازرته، وقد وَلَيْتُك هذا الأمر، فاصنع ما شئتَ، فخرجوا وقد سمعوا كلامَه وهم يقولون: أَذِنَ لنا زين العابدين عليه السلام ومحمد بن الحنفيَّة»[1]،

(١) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج ٤٥ ص ٣٦٥.

فجواب الإمام فيه موافقة من جهة، وعدم تحمل كامل المسؤوليَّة من جهة أخرى.

◄ رحلة مسلم بن عقيل

في الخامس عشر من شهر رمضان خرج مسلم بن عقيل من مكَّة مرورًا بالمدينة لزيارة النّبيّ فاستأجر دليلينِ من المدينة وغادر معهما إلى الكوفة، ووصل إلى الكوفة في الخامس من شهر شوَّال حيث استغرقت رحلتُه عشرين يومًا، وهذه الفترة أكثر من المعتاد فالعادة أن يُقْطَع هذا الطَّريق في اثني عشر يومًا، وكحدٍّ أقصى في أربعة عشر يومًا، ويرجع ذلك ربما لبقائه في المدينة يومًا أو أكثر، أو ما قيل إِنْ صحَّتِ الرواية إنَّ الدَّليلينِ اللذين كانَا معه لم يستطيعا إكمال الطَّريق معه، بعد أن ضَلّا الطَّريق ونفد ما عندهم جميعًا من الماء فلم يتمكن من أخذهما معه، ولا أن يبقى هو معهما لأنَّه سيتلف، فقالا له: اذهب من هذا الطَّريق وقد تنجو بحشاشة نفسك.

◄ بيعة الكوفيين

وصل مسلم بن عقيل إلى الكوفة في الخامس من شهر شوال[1]، وأقبل الكوفيّون لمبايعة مسلم بن عقيل حتَّى بلغ عددهم ثمانية عشر ألفًا، وهو أمر ليس بالسَّهل، ولكن لأنَّ الوضع العام بالنّسبة للشيعة كان مستقرًا، وقد يكون لوضوح سفارة مسلم

(١) ومن اللَّطيف أنَّ إدارةَ مسجد الكوفة جعلت هذا اليوم يومًا للاحتفاء بمسلم، وإقامة الندوات والمؤتمرات فهو اليوم الَّذي شرَف فيه هذا البطل الطالبي الكوفة.

ووكالته من جهة الإمام الحسين عليه السلام ثمَّ المدح والثَّناء عليه الَّذي جاء في رسالته إلى الكوفة.

◄ في أيِّ دارٍ نزل مسلم؟

وقع الخلاف بين المؤرخين في أيِّ دارٍ نزل مسلم ويُذكر قولان في المقام:

الأوَّل: نزل في دار المختار الثَّقفي:

القائلون إنَّه نزل في دار المختار ينظرون إلى أنَّ هذه الدَّار كانت آمنة، باعتبار أنَّ المختار هو زوج ابنة النّعمان بن بشير الأنصاريّ والي الكوفة، وهذه القرابة ستوفّر لمسلم شيئًا من الحماية، فلن يُقْتَحمَ عليه المنزل ولن يُهَاجَم لهذا الاعتبار.

الثاني: نزل في دار مسلم بن عوسجة الأسديّ:

القائلون إنَّه نزل في دار مسلم بن عوسجة لما له من دور مهم وبارز، حيث كان مسلم بن عوسجة بوَّابة مسلم بن عقيل، فكلُّ مَنْ يريد البيعة أو الوصول إلى مسلم ابن عقيل يجب أن يستأذن من مسلم بن عوسجة، فقيل إنَّه نزل في داره لهذا الاعتبار.

◄ تطورات وانقلاب

نتيجةً لمجموعة من الأعمال والتّدبيرات العسكريَّة والسياسيَّة والإعلاميَّة الَّتي قامت بها السلطة الأمويَّة وعبيد الله بن زياد خصوصًا، حصلت مواجهاتٌ عسكريَّة وكان نتيجة الهجوم على

قصر الإمارة سقوطَ عددٍ من الشهداء، بعضهم من أعيان الشّيعة في الكوفة فبقي مسلمٌ وحيدًا فريدًا، حتَّى قيل إنَّه لم يكن معه في اليوم الأخير إلا ثلاثون رجلًا، وبعد الصَّلاة لم يكن معه أحدٌ يدلُّه على الطَّريق فخرج من المسجد وظلَّ يمشي حائرًا في أزقّة الكوفة، لا يمكن أن يقصد البيوت المعروفة في الكوفة؛ لأنَّها أصبحت تحت الرقابة، كما حصلت مداهمات لبعض البيوت، لذلك لم يرجع مسلم إلى البيوت الَّتي كان فيها، ولم يَشَأ أَنْ يقصدَ بيوتَ كبار الشّيعة لهذا السَّبب، فساقه الأمرُ أَنْ وقف على باب دار طوعة وهي امرأة صالحة كانت جاريةً للأشعث ابن قيس وكانت خيرًا منه ومن أبنائه، رزقها الله نصرة الحسين في صورة نصرةِ سفيره مسلم بن عقيل، فأَجَارَت المطلوب الأوَّل للسُّلطة الأمويَّة، ووقفت هذا الموقف القويَّ رغم إمكان اعتذارها منه، ولو بحجَّة الحفاظ على حياتها ونفسها، أو بحجَّة عدم وجود رجلٍ في الدَّار، ولكنَّها اختارت ما عند الله عزَّ وجلَّ ووُفِّقَتْ في ذلك توفيقًا كبيرًا، وهنا الفرق بين موقفها الَّذي أدخلها الجنّة فرافقت الأنبياء، وموقف ابنها بلال الَّذي ساقه إلى الجحيم فرافق الأشقياء.

◄ منهجيَّة الباحث في الوصول إلى المعرفة الحقَّة

هُناك بعض الباحثين أو المؤلفين قد تكوَّنت لديه فكرة مُسبقة وهي أنَّ أهل الكوفة هم أهل الغدر والخيانة، فيُحاول أن يُثبّت الأحداث بحيث تنتهي إلى نفس المعنى المرسوم في فكره مُسبقًا، وأحيانًا العكس قد ينطلق الباحث أو المؤلّف وربما الخطيب من

فكرة أنَّ أهل الكوفة كانوا أبطالاً ومخلصين ولكنَّ الظُّروف قد تغلَّبت عليهم فيُحاول تبرئة المجتمع بأكمله.

ونعتقد بخطأ كلا المنهجين، والصَّحيح هو أَنْ يأتيَ الباحثُ مُتجرّداً لكي يرى الوقائع كما حدثت ثمَّ ينتهي إلى نتائجها، من غير أن يكون مأسورًا بتبرئة هذا المجتمع ولا إدانته، وقد يُلاحظ أن نمط الكتابة الرسميَّة الأمويَّة والعباسيَّة يتمحور حول فكرة أنَّ أهلَ الكوفة هم أهل الخيانة، ضمن اتجاه نسبة الخيانة للشيعة عمومًا وأنَّ الوفاء لا يجري في دمهم، فيسوق المؤلِّف أو المؤرّخ الأحداث ضمن هذا الاتجاه، وقد يأتي أيضاً مَنْ يُؤَلِّف في ضمن الاتجاه الآخر المُعاكس له.

ما هي المُهمّة التي أُرسل من أجلها مسلم بن عقيل إلى الكوفة؟

كانت مُهمّة مسلم بن عقيل في الكوفة استطلاعيَّةً، بمعنى أن يَسْتكْشِف أحوال مَنْ راسلوا الإمام الحسين عليه السلام وجديتهم في مواقفهم التي أعلنوها في رسائلهم للإمام معربين عن انتظارهم لقدومه، وأنَّهم لا يشهدون مع الوالي جُمُعَتَه ولا جَمَاعَتَه، فإذا رأى مُسلم أنَّ الواقع الخارجيّ للمجتمع الكوفيّ كما ذكروا في كتبهم، كتب إلى الحسين أن يقْدِمَ، وقد أنجز مسلم بن عقيل هذه المهمّة قبل شهادته بثلاثة أو أربعة أيَّام.

عندما جاء مسلم بن عقيل إلى الكوفة نزل في بيت المختار الثَّقفي على رأي، وفي بيت مسلم بن عوسجة على رأي آخر كما تقدَّم، وأخذ يجمعُ الأنصارَ ويُبايعُه النَّاس، وحين استوثق مسلم من النَّاس وبلغ

من تعاهد معه آلاف، وقد اختلفوا في عدد مَنْ بايعه، بين مَنْ قال: (١٢ ألف) وبين مَنْ قال: (١٨ ألف)، حيث إنَّ هذا العدد يُشَكِّلُ قُوَّةً شعبيَّةً واسعةً، عندها كتب مسلم بن عقيل إلى الإمام الحسين أنَّ الرائد[١] لا يخُلف أو لا يُكَذِّب أهله، وقد جئتُ إلى الكوفة والنَّاس في انتظاركَ وقد بايعني الكثير من النَّاس[٢]، وقيل إنَّ مَنْ حَمَلَ هذا الخطاب إلى الإمام الحسين عليه السلام هو عابس الشَّاكري الَّذي أصبح فيما بعد من شُهداء كربلاء.

◄ والي الكوفة النعمان وموقفه من مسلم

النعمان بن بشير أنصاريٌّ، وهو من القِلَّة الذين تحالفوا مع بني أميّة، حيث إنَّه شهد معركة صفّين إلى جانب معاوية، وكافأه معاوية على ذلك بأن عَيَّنَه والياً على الكوفة، وربما لم يكن النُّعمان رجلاً صِدَاميًّا، لذلك عندما سمع عن خبر قدوم مسلم بن عقيلٍ إلى الكوفة وأنَّه يجمع الأنصار، لم يشأ الاصطدام به لا سيَّما أنَّ مسلم لم يَظْهَر منه منذُ اليوم الأوَّل أنَّه جاء بعمل عسكريّ انقلابيّ.

في خِضَمّ هذه الأحداث قامت مجموعةٌ من أولياء بني أميّة مثل شمر بن ذي الجوشن، وعمر بن سعد، وعمر بن الحجاج الزبيدي، وكُثيّر بن شهاب بإرسال رسالة عاجلة إلى يزيد بن

---

(١) الرائد هو رسول القوم في المناطق الصحراوية ليبحث عن وجود الماء في تلك المناطق، ويُشترط أن يكون صادقاً لكي لا يُهلك من أرسله.

(٢) ونصّ الكتاب: «إنَّ الرَّائد لا يكذب أهله، وَقَدْ بايعني من أهل الكوفة ثمانيةَ عشر ألف رجلٍ، فاقْدِمْ، فإنَّ جميع النَّاس معك، ولا رأيَ لهم في آل أبي سفيان». يُنظر: الأخبار الطّوال، للدينوري ص ٢٤٣.

معاوية في الشَّام تتضمّن الإنكار على النّعمان بن بشير وأنَّه رجلٌ ضعيفٌ أو يَتَضَعَّف ولا يقدرُ على إدارة الكوفة[١] فإذا كانت لك حاجةٌ في الكوفة فأرسل عليها واليًا من وُلاتك[٢]، فقام يزيد بن معاوية باستدعاء سرجون[٣] لاستشارته في أمر النُّعمان بن بشير وقدوم مسلم بن عقيل إلى الكوفة، فقال له: لو بُعِثَ أبوك معاوية حيًّا هل كُنتَ تقبل رأيَه؟، قال: نعم، فأخرج له كتابًا زعم فيه أنَّ عُبيد الله بن زياد والٍ على الكوفة وقد كان ابن زياد حينها واليًا على البصرة وقال: هذا رأي معاوية، مات وقد أمر بهذا الكتاب ومعناه أن قُم بضمّ المصرين (البصرة والكوفة) له، حيث إنَّه قادرٌ على ضبط الأوضاع، لأنَّه شخص صداميّ واقتحاميّ وهو في سن الشّباب ٣٢ سنة[٤]، بخلاف النّعمان فهو رجل كبير في السّن ولا

---

(١) تعتبر الكوفة من المناطق التي أُسس نظامها السلطوي تحت الإدارة الأمويّة، فهي من سنة ٤٠هـ إلى سنة ٦٠هـ (عشرون عاماً) تحت الإدارة الأمويّة، فأنشأت فيها الشرطة والجند وبيت المال وأصبح النّظام الاجتماعيّ والماليّ والإدارة العامة لشؤون النّاس وتعيينهم في المناصب المختلفة كُلّها تحت سيطرة النّظام الأمويّ.

(٢) ونصّ الكتاب: «أمَّا بعد: فإنَّ مسلم بن عقيل قد قَدِمَ الكوفة، فبايعته الشِّيعة للحسين بن علي، فإنْ يكن لك في الكوفة حاجة، فابعث إليها رجلا قويًّا، يُنَفّذُ أمرَك ويعملُ مثل عملك في عدوِّك، فإنَّ النَّعمان بن بشير رجلٌ ضعيفٌ أو هو يتضعّف». يُنظر: الإرشاد، للشيخ المفيد، ج ٢ ص٤٢.

(٣) سرجون رجل مسيحي لم يُسْلِم، كان من زمن معاوية بن أبي سفيان المستشار الأوَّل والمُتنفّذ في القرار الإسلاميّ بشكل غير مباشر خلال فترة حكم معاوية.

(٤) كان عُمُر يزيد بن معاوية آنذاك ٢٨ سنة، وكان لا يتقبّل عبيد الله بن زياد لأنَّه كان يخشى أن يكبر منصبه وبالتّالي يطمع في الخلافة، لكنَّه اضطر إلى أن يقبل برأي سرجون في تعيينه والياً للكوفة. يُنظر: الإرشاد، للشيخ المفيد، ج ٢ ص٤٢.

يرغب في الاصطدام والمواجهات الحادّة، وبالفعل قام يزيد بن معاوية بإرسال ولاية الكوفة إلى عُبيد الله بن زياد وأمره بالتّعجيل فيها ووصل إليها قبل شهادة مسلم بن عقيل.

◄ أعمال عُبيد الله بن زياد في الكوفة

أوّلًا: عَزَلَ عُبيد الله بن زياد النَّعمانَ بن بشير بمجرد قدومه إلى الكوفة، وبدأ بحملة اعتقالات واسعة شملت كُلَّ مَنْ يُحْتَمَل أَنْ يكون لديه أيُّ قوَّة، كما طالت هذه الحملة أيضاً رؤوس الشّيعة أمثال: سُليمان بن صُرَد الخُزاعيّ، والمسيَّب بن نُجبة الفزاري، وعبد الله بن وائل التَّيمي، ومُسلم بن كُثيّر، والمختار الثَّقفي، وهانئ بن عروة.

ولأوَّل مرَّة في تاريخ الكوفة قام عُبيد الله بن زياد بمداهمة البيوت وانتزاع الأشخاص المطلوبين من الدّاخل بقوة السّلاح، والَّذي كان مصيرهم إمَّا الاعتقال أو القتل أوكِلاهما كما فعل بميثم التّمار، وهذا بطبيعة الحال أشاع جوًّا عظيمًا من الرُّعب ليس فقط في صفوف عامة النَّاس، وإنَّما أيضاً عند كبار الشَّخصيات ممَّا اضطر مجموعة من شيعة أهل البيت عليهم السلام للاختفاء عن الأنظار، إمَّا بمبادرةٍ منهم لحماية أنفسهم حتَّى ينتظروا ما ستؤول إليه الأمور بعد ذلك، أو أنَّ مسلم بن عقيل أشار عليهم بذلك أمثال مسلم بن عوسجة وحبيب بن مُظاهر الأسديّ، وذلك على إثر ما يتمتّع به عبيد الله بن زياد من السُّمعة الشَّرسة الَّتي سبقت مَقْدَمَه إلى الكوفة، والأعمال العنيفة الَّتي قام بها حين قدومه كالَّذي أعلنه حينما قَدِمَ إلى الكوفة

بأنَّه «برئت الذّمة ممَّن رأيناه بعد العَتَمَة» أي: مَنْ يخرج بعد صلاة المغرب والعشاء يُقتل بلا نقاش.

ثانيًا: عَمِلَ على تفعيل نظام (العُرفاء) الَّذي ابتكره الأمويُّون وطبَّقه عُبيد الله بن زياد في الكوفة، وهو نظامٌ قائمٌ على تقسيم الأحياء لكُلّ حيّ قبيلة معيّنة (مِذْحج - مُرَاد - كِنْدَة - حَضْرَمَوْت - مُضَر) وكُلّ قبيلة لها عدَّة رؤساء يعرفون بالعرفاء، ويكونون - من خلال استلامهم للرواتب من الدولة- مسؤولين عن ضبط أفراد القبيلة، فإذا غاب أحدهم يبحث عنه وإن كان مطلوباً للدولة يُسلّمه، كما أنَّ عبيد الله بن زياد أعلن عن براءة الدَّولة ممَّن لم يكن في محلّ عِرافته، أي في غير الإطار الجغرافيّ والسّياسيّ الَّذي حدَّده، وبالتَّالي من الممكن أن يتعرَّض للاعتقال وربما القتل، وهذا النَّظام هو مزيجٌ من نظام الاستخبارات والشَّرطة في وقت واحد، وبه يكون قد تجسَّس على كافَّة أفراد المجتمع، وأيضاً فعل ابن زياد نظام المخابرات الفرديّ الَّذي يتجسَّس فيه على أفراد هو يُعيُّنهم ويتقصَّدُهم، وبالتَّالي يكون قد عرف ابن زياد الخريطةَ العامَّةَ للكوفة ولأنصار مسلم بن عقيل.

◄ نموذج تفعيل ابن زياد لنظام المخابرات الفرديّ

عندما جاء عبيد الله بن زياد إلى الكوفة أخذ يتحسَّس ويسأل عن مكان مُسلم بن عقيل، فأخبروه بأنَّهم لا يعلمون شيئًا عن مكانه، ربما يكون في بيت المختار أوفي بيت مسلم بن عوسجة، وربما في بيت هانئ بن عروة، وربما يكون في مكان آخر، فدعا شخصًا يُقال له: (مَعْقِل)، وهو كان قد قَدِمَ معه من البصرة، فأعطاه مبلغًا

من المال يُقَدَّر بثلاثة آلاف درهم، وأمره بالذَّهاب إلى مسجد الكوفة وتحديد مَنْ هو الأكثر صلاةً مِنْ أفراد الشّيعة، ليتقرَّب منه ويخْبِره بأنَّه من موالي ذي الكِلاع الحِمْيري[1] من الشَّام، ومن أولياء أهل البيت ومُحبيّ عليّ بن أبي طالب، وقد قَدِم إلى الكوفة ليلتقي بمسلم ويسلمه بعض الأموال.

ومضى معقل في مهمته ورأى مسلم بن عوسجة تنطبق عليه تلك الصفات، ومع أن ابن عوسجة شكّ فيه أول الأمر، ولم يُعِرْهُ اهتمامًا، لكنه مع مجيئه في اليوم التالي وإصراره أخذه ابن عوسجة إلى مسلم بن عقيل، وظل هذا يحضر كل يوم إلى مجلسه ويتعرف على من يحضر إليه، حتى لقد قيل إنَّه لمَّا انتقل مسلم من مكانه إلى مكان آخر، أوصل خبره إلى عبيد الله بن زياد!

ثالثًا: فَعّلَ عُبيد الله بن زياد الخطوط المنحرفة والشَّخصيات المصلحية في القبائل المناصرة لمسلم بن عقيل، بعد تصفية وقتل الشخصيات المستقيمة كما فعل زياد والده عبيد الله من قبل في حِجْر بن عَدِيّ الكِنْدِي الذي كان يعد الرئيس الاجتماعيَّ والشَّخصيَّة البارزة في قبيلة كِنْدَة، وفي الوقت ذاته قام بنو أُمَيَّة بإبراز شخصيتين: محمَّد بن الأشعث الكِنْدِي، وأخيه قيس بن الأشعث وأعطاهما بعض الصلاحيات والأموال لكي يتمكّن كُلٌّ منهما من التأثير في القبيلة، ويستقطبون أبناءها.

---

(١) باعتبار أن حمير وأهل اليمن معروفون بمحبة علي بن أبي طالب.

كذلك في قبيلة مِذْحَج الَّذي كان رئيسهم الاجتماعيّ هانئ بن عروة المرادي وكان عمره آنذاك قد تجاوز التّسعين، قام بنو أميَّة بتقريب وإبراز شخصية شُرَيْح القاضي[١] وهو مِذْحَجي إلى الدولة والسُّلطان، واستعمله عُبيد الله بن زياد في التَّغطية على خِدَاعه وكَذِبه، وذلك عندما قَدِمَ المِذْحَجِيُّون لاستنقاذ هانئ بن عروة عندما سمعوا أنَّ ابن زياد قد اعتقله، وقد أصرُّوا على ابن زياد أن يكشف لهم عن حال هانئ، فاستعمل ابن زياد شُرَيحًا القاضي الَّذي كان له صِفَةٌ دينيَّة -باعتباره قاضيًا- وقَبليَّة - باعتباره من كبار قبيلة مِذْحَج- فأمره بالخروج للمِذْحَجيّين لكي يكذبَ عليهم علنًا ويطمئنهم زُوراً بأنَّ هانئًا لا بأس عليه، وقد استدعاه الأمير لبعض شأنه وحينما ينتهي يعود إلى بيته فوراً، في حين أنَّ شُرَيْحًا قد رأى عبيد الله بن زياد وهو يجرح وجه هانئ بقضيبٍ من حديد! وهذا يُبيّن مدى شراسة ابن زياد عندما أخذ في التَّحاور مع هانئ قائلاً له: أتتك بحَائنٍ[٢] رِجْلاه فقال له هانئ: لا أفهم، فقال ابن زياد: لا تفهم أتيتَ بمسلم بن عقيل في بيتك، وجعلتَ له حماية، وجمعت له الرّجال وظننتَ أنَّ هذا يخفى عَلَيّ، فقال هانئ: ما فعلتُ[٣]، فقال له: بل فعلتَ وخرج

---

(١) شرُيح القاضي هو قاضي القضاة في الكوفة حيث إنَّه كان في سلك القضاء منذ زمن الخليفة الثَّاني إلى زمن يزيد بن معاوية، ومات سنة ٧٠هـ أي من سنة ٢٥هـ إلى سنة ٦٥هـ وهو يُقاضي بهذه العقليَّة الّذي تكذب على النّاس علنًا.

(٢) حائن بمعنى قريب الموت يُقال: قَرُب حَيْنُه.

(٣) بالفعل هانئ لم يفعل ذلك، لأنَّه لم يدعُ مسلماً، وإنَّما مُسلم هو مَنْ غيرّ مكانه، وانتقل من دار المختار أو من دار مسلم بن عوسجة إلى دار هانئ بعدما جاء عبيد الله بن زياد.

عليهم مَعْقِل الَّذي اتخذه ابن زياد جاسوسًا، ومن خلاله تعرَّف على مكان مسلم ورآه عندما انتقل إلى دار هانئ ابن عروة، فقال له هانئ: إنَّ مسلمًا قد اعتصم واستجار بي، ولا يليق بي أن أطرده من داري، فهدَّده عبيد الله بن زياد بالقتل، فقال له هانئ: إذن تَكْثُر البَارِقَة[١] حولك، فقال له: ويحك بالبارقة تهدّدني (أهروريٌّ سائر اليوم)[٢]، فقام له وأخذ قضيبًا من حديد وضرب بها وجهه وشَتَرَ عينَه.

◄ الجوّ العام في الكوفة

كانت الأجواءُ في منطقة الكوفة مشحونةً بالخوف والرّعب، وذلك على أثر إشاعة كِذْبَةِ (جيش الشام)[٣]، بأنَّه على مسافة قريبة من الكوفة لكي يمتنع النَّاس عن القيام بأيّ حركة مُضادة لابن زياد ومُناصرة لمسلم بن عقيل، فإنَّ هذا التَّخويف بجيش الشَّام قد يكفل لابن زياد هدوء الكوفيّين.

وأكثر من ذلك كانت البوّابات الكُبرى لمنطقة الكوفة مُغلقةً،

---

(١) البارقة هي السّيوف، ومِذْحَج هي القبيلة ذات العدد الأكبر المسلّح في الكوفة.

(٢) يُقال إنَّ عبيد الله بن زياد لم يكن فصيح اللّسان. وقصده إنك حروري يعني من الخوارج!

(٣) عُرف جيش الشّام مُنذ زمان أمير المؤمنين عليه السلام الَّذي وصفه بقوله: «وقد نُبأت أنَّ أَخَا غامد قَدْ وردتْ خَيْلُه الأنبار وأزال خَيْلَكم عن مسالحها، ولقد بلغني أنَّ الرَّجلَ منهم كان يدخلُ على المرأةِ المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزعُ قُلبها وقَلائدَهَا ورُعثها، ما تسلمُ منه إلا بالاستعطاف والاسترحام» أي: أنَّ هذا الجيش عُرف بإغارته على أيّ قرية من القُرى فيفتك بتلك القرية ويقتل الرّجال ويسفك الدماء وينتهك الحُرمات ويسرق الأموال ومن ثم يُغادر.

والسّكك الرئيسية لا تخلو من رجال ابن زياد لتفقُّد وتفتيش مَنْ يدخل ومَنْ يخرج، وحظر التّجوال كان حُكماً سائداً، ومَنْ يُخالف ذلك يتعرّض للاعتقال أو القتل في بعض الحالات، وقد جرى ذلك لشخصٍ غريبٍ عن الكوفة جاء للمُطالبة بدَيْنٍ له على شخص كوفيّ واعتُقل، وجيء به إلى ابن زياد فأمرهم بضرب عنقه، فقال لهم: عَلامَ تضربون عُنقي؟ ومع أنه أخبرهم بأنه إنما جاء للكوفة ليتقاضى دَينًا له على أحد الكوفيين إلا أن ذلك لم يشفع له في منع قتله.

وفي هذا الجوّ المرعب قام أيضاً أصحابُ المصالح من الأمويّين أمثال عمرو بن الحجاج الزبيدي، وشمر بن ذي الجوشن بنصب خمس رايات أمان في خمس مناطق متفرّقة في الكوفة؛ لكي يلجأ إليها من يُريد النَّفاذ من المحاسبة، وإعلان أنه ليس من أنصار مسلم بن عقيل.

بما سبق من وسائل، فقد أنصار مسلم بن عقيل القدرة على المبادرة والحركة، لا سيَّما أنَّ مسلمًا لم يأتِ بغرض الانقلاب العسكريّ، بل هو غير ممكن لابن عقيل في مثل الكوفة[1] وفي تلك المدة من مجيئه؛ فهي تدار منذ عشرين سنة بإدارة أُمويَّة قد أحكمت فيها جميع المجالات السياسيَّة والاجتماعيَّة والماليَّة.

---

(١) إنَّ النّظام القبلّي الّذي كان سائدًا في ذلك الوقت في الكوفة كان يمنع الفرد من أن يتخذ قراراً منفرداً، ولا بدَّ له من انتظار رأي رئيس القبيلة، فإذا كان رُؤساء القبائل قد اُستبدلوا بمتحالفين مع ابن زياد أمثال شريح القاضي وأسماء ابن خارجة الفزاري فلا يكون لحركة مسلم إلا النَّاصر القليل.

وانتهى هذا الوضع في الكوفة بأن سُلبت القدرة من كبار الشّيعة الَّذي اعْتُقِلَ قسمٌ منهم، والقسم الآخر اضطروا إلى الاختفاء لكي يظهروا فيما بعد في كربلاء، وتِباعاً لهذا الوضع كانت نهاية مسلم بن عقيل ذلك المصرع الأليم الَّذي تحدَّثتْ عنه الرّوايات مِنْ أنَّه لجأ إلى دار طوعة مُنفرداً، وبعد ذلك أُخِذَ مكتوفاً إلى ابن زياد «فأمر ابن زياد رجلًا شاميًّا أن يصعد به إلى أعلى القصر ويضرب عنقه ويرمي رأسه وجسده إلى الأرض فأصعده إلى أعلى القصر وهو يسبح الله ويهلّله ويكبره ويقول اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا وكذبونا وتوجه نحو المدينة وسلم على الحسين وأشرف به الشامي على موضع الحذائين وضرب عنقه ورمى برأسه وجسده إلى الأرض»[١].

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، المقرم، عبد الرزاق المقرم، ص ١٦٦.

بقية الشهداء من آل عقيل

ومن أبناء وأحفاد عقيل بن أبي طالب الذين استشهدوا في كربلاء وجاء التسليم عليهم في زيارة الناحية المقدسة (زيارة الشهداء) التالية أسماؤهم:

١/ السلام على جعفر بن عقيل، لعن الله قاتله بشر بن خوط الهمداني.

٢/ السلام على عبد الرحمان بن عقيل، ولعن الله قاتله وراميه عمر بن أسد الجهني.

٣/ السلام على القتيل بن القتيل، عبد الله بن مسلم بن عقيل، ولعن الله راميه عمرو بن صبيح الصيداوي.

٤/ السلام على محمد بن أبي سعيد بن عقيل، ولعن الله قاتله لقيط بن ياسر الجهني.

وقد ذكر المؤرخون والباحثون أسماء أخر من آل عقيل مشيرين إلى أنهم استشهدوا في كربلاء، منهم:

٥/ علي (الأكبر) بن عقيل؛ ذكر شهادتَه الشيخ المظفرُ في كتابه سفير الحسين[١]، وعزاه إلى مقاتل الطالبيين وبحار الأنوار.

٦/ عون بن عقيل؛ ذكره أيضا المظفر في شهداء كربلاء[٢]، ونقل ذلك عن ابن شهراشوب والمجلسي في البحار.

٧/ ومحمد بن عقيل، وبعد أن وصفه المظفر بأنه (هو ومسلم) من فقهاء آل عقيل وأعلام التابعين ذكر أنه استشهد مع الإمام الحسين عليه السلام[٣].

٨/ ومحمد بن عبد الله بن عقيل، أمه أم هاني بنت أمير المؤمنين عليه السلام، استشهد في كربلاء كما أشار إليه الشيخ النقدي في كتابه[٤].

٩/ وجعفر بن محمد بن عقيل، كما أشار إليه الشيخ المظفر أيضًا[٥]، وينقل عنه رجَزٌ حين خرج للقتال.

وقد انتهى المظفر إلى أن العقيليين الشهداء في كربلاء هم سبعة عشر (١٧) تسعة لصلب عقيل وفيهم مسلم وثمانية أحفاد[٦].

---

(١) المظفر: سفير الحسين ص ٢٢.
(٢) المصدر نفسه ٢٧.
(٣) المصدر نفسه والصفحة.
(٤) الأنوار العلوية، الشيخ جعفر النقدي، ص ٤٤٩.
(٥) سفير الحسين ٢٩.
(٦) المصدر نفسه والصفحة.

وهذا العدد من الشهداء الصلبيين لعقيل يتفق مع ما نقل من الشعر على لسان احدى العقيليات:

عين جــودي بعبرة وعويل   واندبي إن ندبتِ آل الرسول
تســعة كلهــم لصلب علي   قد أصيبوا وتســعة لعقيل

آل جعفر بن أبي طالب

جاء في زيارة النّاحية أنَّه خاطب الشُّهداء من أبناء عبد الله بن جعفر فقال: «السَّلام على محمَّد بن عبد الله بن جعفر الشَّاهِدِ مَكَانَ أبيه والتَّالي لأَخِيْه ووَاقِيْه ببَدَنِه، لَعَنَ اللهُ قاتلَه عَامِرَ بنَ نَهْشَل التَّميميّ، السَّلام على عون بن عبد الله بن جعفر الطَّيّار في الجِنان، حليفِ الإيمان ومُنازِل الأقران النَّاصح للرَّحمن، التَّالي للمثاني والقرآن، ولعن اللهُ قاتلَه عبد الله بن قُطبة النّبهاني»[1].

◄ **وَقْفةٌ مع زيارة (النّاحِيَة)**

في البدء لابد أنْ نشير إلى أنّ هناك زيارتين تعرفان بزيارة الناحية:

الأولى: زيارة النّاحية المقدسة المشهورة المنسوبة للإمام الحجّة (عجّل اللهُ فرجه) والتي تبدأ بالسلام على الأنبياء والرسل ثم تصف مصيبة كربلاء وأحوال الإمام الحسين عليه السلام قبل خروجه إليها[2].

---

(١) المزار، محمد بن جعفر المشهدي، ص ٤٩١.

(٢) وقد ذكرها ابن المشهدي في كتابه المزار في أعمال يوم عاشوراء، يراجع كتابنا الخاص عن زيارة الناحية المقدسة لمن أحب التفصيل.

ويُطلق لفظ (الناحية) على الأئمّة المعصومين الهادي والعسكريّ والحجّة عليهم السلام، وهذا يكشف عن أنّ الوضع في زمان الإمام الهادي فصاعداً كان حرجًا إلى الحدّ الّذي تكون فيه محاذير ومشاكل عند نسبة الخبر أو الزّيارة إلى الإمام بشكل مباشر، ولهذا كان يقال عند رواية الحديث أو الزّيارة: (خرج من النَّاحية)، أي الإمام المعصوم، وقد ورد بهذا المعنى مشيرًا إلى الإمام الهادي في بعض المواضع وبالنّسبة للإمام العسكريّ في مواضع أخرى، وأما بالنّسبة للإمام المهديّ فقد ورد كثيراً.

الثانية: تسمّى بزيارة (النَّاحية) أيضًا، وهي تختص بالسلام على شهداء كربلاء وذكر قتلتهم وتبدأ بالسلام على علي الأكبر (السلام عليك يا أول قتيل من نسل خير سليل من سلالة إبراهيم الخليل، صلى الله عليك وعلى أبيك، إذ قال فيك: قتل الله قوما قتلوك.) ثم تعطف على ذكر بقية الشهداء من الأسرة الطالبية (١٦ شهيدا بالإضافة للإمام الحسين عليه السلام) وذكرت من الأنصار مصرع وقتلة باقي الشهداء وهم (٥٧ شهيدا) ومجموعهم يكون (٧٣) وبالطبع فإن هؤلاء لم يكونوا كل أنصار الحسين الذين استشهدوا معه.

ويدور نقاش حول (الناحية) التي صدرت منها هذه الزيارة، فهل المقصود بها الإمام علي الهادي عليه السلام بمقتضى تاريخ الخبر الذي فيها وهو سنة (٢٥٢هـ) والذي يتناسب مع تاريخه حيث كان هو الإمام عليه السلام (استشهد سنة ٢٥٤هـ) وأيضا لجهة أن الكثير من الزيارات والمعارف التي احتوتها كزيارة الجامعة الكبيرة، والزيارة

الغديرية وغيرهما قد صدرت عن الإمام الهادي عليه السلام، فهذه مثل تلك الزيارات، وقد اعتمد عليها كل من بحث في أصحاب الحسين وأنصاره. أو أن هذا العدد فيه تصحيف وأن حقيقته (٢٦٢هـ) وبالتالي فهي عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) والذي صارت إليه الإمامة بعد أبيه العسكري.

وهذه الزّيارة ليس بها توصيفٌ للمقتل، وإنَّما فيها السَّلام على عددٍ من شهداء كربلاء ومن جملة مَنْ وردت أسماؤهم في هذه الزيارة أسماء ابْنَي عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

◄ جعفر بن أبي طالب عليه السلام

أما جعفر بن أبي طالب المعروف بـ(الطَّيَّار) فهو ناقل الإسلام إلى الحبشة[١] والرَّاعي للرعيل الأوَّل المهاجر للحبشة، والّذي خرج من مكة المكرمة فرارًا بدينه، حيث اختاره النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ليكون قائد المهاجرين، وكان قد تقدَّم إسلامه في أوائل البعثة، وعندما كان النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي متّجهاً إلى الكعبة وإلى يمينه يُصلّي أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أشار أبو طالب إلى ابنه جعفر وقال له: «يا بنيّ صِلْ جناحَ ابنِ عمّك»[٢]، أي: ما دام عليٌّ وقف عن يمين النّبي فقِفْ أنت عن شماله حتَّى يكون النَّبيُّ كطيرٍ له جناحان.

وهذا الموقف كان أوّل ظهورٍ لإسلام جعفر وإلّا فإنَّه يُفترض أن يكون قد قَبِلَ دعوةَ النَّبي، وقد تحدَّث النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جعفر

(١) تجد ترجمة وافية عن إيمانه وهجرته وشهادته في كتابنا أعلام الأسرة النبوية.
(٢) الغدير في الكتاب والسّنة والأدب، للشيخ الأميني، ج٧ ص٤٧٩.

كثيراً ومن جملة هذه الأحاديث المهمّة أنَّه كان يخاطبه ويقول له: «أشبهت خَلْقي وخُلُقي»(١)، ولذلك يَعُدّ المسلمون عامةً جعفر بن أبي طالب من جملة مَنْ شَابَهَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صورته، بالإضافة إلى أنَّه كان يُشْبِه النَّبي في أخلاقه، وكان يُكَنَّى بأبي المساكين لشدَّة حنوّه عليهم وعطفه على الفقراء.

أنجب جعفر بن أبي طالب ولده عبد الله في الحبشة قبل الوصول إلى المدينة وكان عمره حينها ما بين سبع إلى ثمان سنوات كما قيل، واستشهد جعفر بن أبي طالب في معركة مؤتة.

◄ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام

بعد استشهاد جعفر أولى رسولُ الله عبدَ الله بن جعفر وإخوته وأخواته عنايةً خاصَّة واهتماماً كبيرًا ودعا لعبد الله بن جعفر أن يبارك الله له في صفقة يمينه ولعموم أولاد جعفر بأن يخلف الله عليهم أحسن الخلف حين قال: «اللَّهمَّ اخلُفْ جَعفَرًا في أهلِه، وبارِكْ لعبدِ اللهِ في صَفقةِ يَمينِه»(٢)، وقد يكون من مظاهر استجابة دعاء النّبيّ لعبد الله بن جعفر أنّه كان في طول حياته واسعَ اليد لديه ملاءة من المال، وكان معطاءً حتّى كان يسمّى ببحر الجود، وقد تعاهد بينه وبين نفسه أن يسأل الله من فضله وأن يوسّع على غيره، حتّى قيل: إنَّه في أواخر عمره ضاق به الأمر وضاقت يده شيئًا ما لأنّه عُمِّر وقد وصل به العمر إلى حدود الثّمانين ولما وصل به العمر

(١) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج٢٢ ص ٢٧٦.
(٢) فضائل الصحابة، للنسائي، ص١٩.

إلى هذا الحدّ خاطب ربه سبحانه وتعالى: «يا ربِّ لقد عوّدتني أَنْ تنعم عَلَيَّ وقد عوَّدتُ خلقَك أن أَعطيهم فإن قلَّ فضلك عَلَيَّ فاقبضني فقد صارت يدي ضيِّقة، وبالفعل بقي مدَّة قليلة وتُوفِّيِّ على أثر ذلك، وقد يكون هذا لصدقه مع ربّه»[(١)].

كان عبد الله بن جعفر صِهْرَ أمير المؤمنين عليه السلام على ابنته زينب الكبرى بطلة كربلاء، وقد تزوّج إلى جانبها زوجاتٍ أُخريات أيضًا، إحداهنّ الخَوصاء مِنْ بَكْر بن وائل، وقد كان ولداه محمد وعون من جملة شهداء كربلاء.

والملاحظ أنَّ عبد الله بن جعفر كانَ كثيرَ العيال حيثُ كان له عشرون ولدًا من الذّكور، ولكنَّ المعروف منهم هذان الشّهيدان اللَّذان رافقَا الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء واستشهدا بين يديه، أحدهما اسمه محمَّد والثاني اسمه عون، وعلى المشهور أنَّ عون هو ابنُ العقيلة عليها السلام، وقد وقع الخلاف في الأكبر منهما، هل هو عون أم الآخر محمّد؟!

◄ عبد الله بن جعفر يؤيّد نهضة الحسين

من الواضح أنَّ عبدَ الله بن جعفر كان يؤيّد نهضة الحسين عليه السلام ويعتقدُ بإمامته، ويشير إلى ذلك ما فعله مع بعض غلمانه وهو أبو

---

(١) لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، ج ١ ص ٣٦٥علي بن زيد البيهقي: «ضاقت يد عبد الله بن جعفر، فصلى الجمعة في مسجد رسول الله عليه السلام وقال: اللهم إنك عودتني عادة جريت عليها، فإن انقضت مدة عادتي فاقبضني إليك وتوفني مسلماً وألحقني بالصالحين. فمات في الجمعة الأخرى».

اللّسلاس وذلك بعدما رجعت السيدة زينب مع ركب السَّبايا إلى المدينة، ومن الطبيعي أن تكون علائم الحزن حاضرة في بيت عبد الله بن جعفر وقد استشهد من أبنائه اثنان، فقال ذلك الغلام: هذا ما لقينا من الحسين! فصرخ عبد الله بن جعفر في وجهه وورماه بالحذاء وانتهره قائلا: يا ابن اللخناء، أ للحسين تقول هذا؟! والله لو شهدتُه لأحببتُ ألا أفارقه حتى أقتل معه، والله إنَّه لِمَّا يسخي بنفسي عنهما ويعزّيني عن المصاب بهما أنّهما أصيبا مع أخي وابن عمّي مواسيَيْنِ له، صابرين معه، ثمَّ أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله، عزَّ عليَّ مصرع الحسين، إن لا أكن آسيت حسيناً بيدي فقد آساه ولديّ»[1]، يعني إنَّ الحسيَن جديرٌ بأَنْ أشاركَه بنفسي ولكنّي لم أتمكّن من ذلك فيكفيني أنَّ اثنينِ من أبنائي اسْتُشْهِدَا بين يديه.

◄ عون ومحمَّد ابنا عبد الله بن جعفر

قد استشهد من أبناء عبد الله بن جعفر في كربلاء اثنان؛ محمَّد وعون، وعون هو ابن السيدة زينب وهو الَّذي وَقَعَ محَلاً للسَّلام عليه من قبل الإمام عليه السلام في زيارة الناحية كما وقع السلام على أخيه محمد التالي له وقيل إن أمه الخوصاء.

وهنا نشير إلى أنَّ هناك مزاراً خارج كربلاء بمسافة يقصده الزائرون، ويرى بعض الباحثين المحققين أنّ هذا القبر لا يرتبط بعون ابن العقيلة زينب عليها السلام، وذلك لأنَّ عون دُفن كسائر الأصحاب في منطقة الحَائِر الحسيني بجانب الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) تاريخ الطبري، ج ٤ ص ٣٥٧.

والمنفردون ثلاثة: حبيب بن مظاهر، والحرّ الرياحي، وأبو الفضل العباس، أما باقي الأنصار والأصحاب فقد دفنوا في هذه المقبرة (مقبرة الشّهداء)، والتي عادةً يُسلَّم على الشّهداء فيها ومن جملتهم أيضاً ابنا عبد الله بن جعفر.

أمَّا عون الّذي له مرقد خارج كربلاء والّذي اشتهر عند النَّاس أنَّه ابن السيدة زينب، إنّما هو لسيدٍ حسنيّ كما يقول الباحثون والمحقّقون وهو من أحفاد المجتبى عليه السلام، كان يسكن هناك وكان معروفاً بالصَّلاح والعلم، وقد قُبِض في ذلك المكان فدفن فيه.

والابن الآخر لعبد الله بن جعفر محمَّد ابن الخوصاء الوائليَّة وهو من شهداء كربلاء وله رجزٌ معروف في كربلاء، وكان قتاله وكذلك أخوه عون قتالًا حسنًا، وقد قَتَلَ عونٌ تسعةَ عشرَ رجلا، وقتل أخوه محمَّد قريباً من هذا العدد، وكانت نهاية أمرهما أن اسْتُشْهِدَا بين يدي سيّد الشهداء الحسين عليه السلام.

والمستفاد من القرائن التاريخيّة أنَّ محمَّدًا وعونًا لم يخرجا مع الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة المكرمة، وإنَّما التحقا بالإمام الحسين عليه السلام بعد خروجه من مكة في طريقه للعراق، حيث إنَّ قسمًا من مناصري وأصحاب الإمام الحسين عليه السلام خرجوا معه من المدينة، ويبدو أنَّ السيدة زينب عليها السلام كانت كذلك بناءً على بعض المرويّات، وقسمٌ آخر لم يكونوا معه من المدينة إلى مكة ولم يلتحقوا به في أوَّل الأمر، وإنَّما التحقوا به في طريقه للعراق ومن جملة أولئك

كما يقول المؤرخون أولاد عبد الله بن جعفر، عون وأمُّه زينب العقيلة، ومحمَّد وأمُّه الخوصاء الوائليَّة، وقيل إنَّهما حملا رسالة من والدهما عبد الله بن جعفر إلى الإمام الحسين عليه السلام، وإذا صحَّ هذا الخبر فهذا يعني أنَّ عبد الله بن جعفر لم يكن موجودًا في مكّة حال وَرَدَها الحسين، ولكنَّه كان حريصاً على الحسين عليه السلام، وعلى ما سيؤول إليه أمره، ولو تأمّلنا في الزيارة التي ذكرناها في البدء والّتي هي من إمامٍ معصوم والّتي يُفترضُ أَنْ يُعتنى بها عنايةً خاصَّة لأهمّيتها[1] حيث يقول الإمام الهادي مسلِّماً عَلَىَ محمَّد: «السَّلام

(١) وتكمن أهميّة هذه الزيارة والزيارات المشابهة لها من عدَّة جهات:
الجهة الأولى: كونها رابطة بين الإنسان الموالي وبين أهل البيت عليهم السلام يتمكّن من خلالها التَّعرف على مقاماتهم ومنزلتهم عند الله تعالى.
الجهة الثّانية: كونها مصدرًا من المصادر التاريخيّة يمكن من خلالها إثبات بعض الحقائق التاريخيّة، فهي تخبرنا عن قتلة شهداء كربلاء، إضافة إلى أنَّها تشرح بعض ما جرى في المعركة من أحداث كزيارة النَّاحية المنسوبة للإمام الحجّة (عجَّل الله فرجه الشَّريف)، نجدها تُبيّن كيف حدثت بعض الأحداث؟، فضلاً عن وصف حالة التّفجع فيها كقوله: «وَأَسْرَعَ فَرَسُكَ شَارِداً إِلَى خِيَامِكَ، قَاصِداً مُحَمْحِماً بَاكِياً، فَلَمَّا رَأَيْنَ النِّسَاءُ جَوَادَكَ مَخْزِيّاً، وَنَظَرْنَ سَرْجَكَ عَلَيهِ مَلْوِيّاً، بَرَزْنَ مِنَ الخُدُورِ، نَاشِرَات الشُّعُورِ، عَلى الخُدُودِ لاطِمَاتُ، وبالعَوِيلِ دَاعِيَات، وبَعْدَ العِزِّ مُذَلَّلاَت...» فهذه العبارات مثلاً تحكي حَدَثًا من أحداث يوم عاشوراء، وتؤيد القول الّذي يقول: إنَّ النسوة خرجن قبل مصرع الحسين عليه السلام، وقبل حَزِّ الرأس الشَّريف، وذلك لأنَّ هناك قولين بين المؤرخين:
الأوَّل: أنَّ زينب ومَنْ معها من النّساء قد خرجن من الأخبية وذهبن إلى الإمام الحسين بعد أنْ احتُز رأسه الشّريف وبعد أن هجمت الخيل.
الثاني: أنهن خرجن قبل ذلك ورأين اللّعين شمر بن ذي الجوشن جالسًا على صدر الحسين عليه السلام مستدلّين على ذلك بما ورد في زيارة النَّاحية.

على محمَّد بن عبد الله بن جعفر الشَّاهِدِ مَكَانَ أبيه»، وفي هذا إشارة إلى ما ذكره عبد الله بن جعفر حين قال لغلامه اللّسلاس: أنّه «وإنْ عزَّ عَلَيَّ أن لا أشارك الحسين في كربلاء، لكنّي قد جُدتُ بولدَيَّ لنصرته»، فهذه العبارة تُثبت المعنى المذكور في الزّيارة وهو أنَّ محمَّدًا شَهِدَ مَكَانَ أبيهِ حيث إنَّه كان ينبغي أن يكون هناك نائبٌ عن والده في كربلاء، فكان محمّد هو النّائب الشّاهد مكان أبيه.

ثمّ يقول: «والتَّالي لأَخيه» وهذا المعنى قد يُلْحَظُ بلحاظين:

الأوَّل: بلحاظ تُلُوّه لأخيه في التّرتيب الزّمني في القتال، فقد كان عونٌ أوَّل مَنْ قَاتَل ثُمَّ تلاه أخوه محمَّد.

الثَّاني: بلحاظ تُلُوّه لأخيه في المنزلة والعظمة والشّأن، وهذا يُنْبِئُ على أنَّ عون ابن السيدة زينب درجتُهُ أعلى من درجة أخيه لو تَحَقَّق هذا المعنى، فالتَّالي مرَّة يُفهم منها أنَّه التَّالي له في زمن القتال، ومرَّة أخرى يُفهم منها أنَّه التَّالي له في المنزلة.

إذن إذا ثبت أنَّ زيارة النَّاحية وردت عن الإمام المعصوم عليه السلام، فإنها ستكون مصدرًا تاريخيّا يثبت لنا أنَّ النّساء خرجن بهذه الكيفيّة وذهبَن لمدافعة الشّمر قبل مقتل الحسين وقبل حزّ رأسه الشّريف. ولتفصيل هذه المعاني يمكن للقارئ مراجعة كتابنا: زيارة الناحية المقدسة للإمام الحسين عليه السلام.

كذلك بالنّسبة لزيارة النّاحية المنسوبة للإمام الهادي أو غيره عليهما السلام، فعندما يُسَلِّم على أحد الأنصار، ويذكر بعض صفاته وأوضاعه، فإنَّ قول المعصوم هذا يُعَدُّ مصدرًا في بيان بعض صفات هذا الشَّهيد والكشف عن شيءٍ من مقاماته، والتعرّف على كيفية قتاله ومَنْ الذي قتله؟، فضلاً عن الارتباط به.

ثمَّ يقول: «وَوَاقيه ببَدَنِه» وهذا يعني أنَّ محمَّدًا سَاهَمَ في الدِّفاع عن أخيه عون، أو يُقْصَدُ به الدِّفاع عن الحسين عليه السلام، فكلا الأمرين متصوّر.

ثمَّ يبيِّن الإمام في الزِّيارة مَنْ كَانَ قاتله، حَيْثُ يقول: «لَعَنَ اللهُ قاتلَهُ عَامِر بن نهشل التَّميمي».

ثُمَّ يُرْدِفُ السَّلام على محمَّد بالسَّلام على أخيه عون، فيقول: «السَّلام على عون بن عبد الله بن جعفر الطَّيَّار في الجِنان، حَلِيْفِ الإيمان ومُنازِلِ الأقران النَّاصحِ للرحمن»، والنَّصح معناه الإخلاص لله، ولا يُتصوَّر هنا في معنى النصح أن ينصح الله، فهذا ليس منطقياً، فالنصح كلمة تعني الإخلاص لأنَّ الإنسان عندما يَعِظُ شخصاً يكون مُخْلِصاً لله في نُصْحِهِ له فإنَّه يُسَمَّى ناصحاً، فـ «النَّاصح للرحمن» تعني المخلص للرحمن.

ثُمَّ يقول: «التَّالي للمَثَاني والقرآن»، وهذا من خصائصه فإنَّه كان يتلو آيات القرآن الكريم بحيث كان له إقبالٌ على القرآن وتلاوته.

ثُمَّ يقول: «لعن اللهُ قاتلَه عبدَ الله ابنَ قُطبة النَّبهاني» ويسمى باسم آخر وهو ابن قطنة، وعلى كلا الاسمين، فإنّه من أهل جهنّم لأنَّه قَتَلَ مجاهداً إلى جنب الحسين على وجهٍ خاصّ، ومن أهل البيت بالمعنى العام[1].

---

(١) الحديث عن أهل البيت تارةً يكون في دائرة المعصومين، وتارة في دائرة أعمّ وهم الّذين يقتربون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فالذين هم في دائرة المعصومين لهم

لم يكن عبد الله بن جعفر في كربلاء لأسباب متعدّدة، ولكن عوَّض ذلك بأن كان ابناه محمَّد وعون في كربلاء، وذُكر في كتب المقاتل أنَّ عبدَ الله بن جعفر أرسل إلى الإمام الحسين عليه‌السلام من باب الشّفقة عليه والرأفة به، أن لا يذهب للعراق لأنَّهم أهلُ غدرٍ، وكان لسان رسالته لسان شفقة وعطف على الحسين عليه‌السلام (١).

حق الولاية ولهم حق الإمامة، ولهم حق الطاعة، ولا يمكن أن يصل إليهم أحد، وأما الّذين يكونون في دائرة أعمّ في أهل البيت فلهم حق المودّة والمحبّة لقرابتهم من رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم. للتفصيل راجع كتابنا: أعلام من الأسرة النبوية.

(١) حيث جاء في كتاب الفتوح، لابن الأعثم الكوفي، ج٥ ص٦٧: «وانتقل الخبر بأهل المدينة أنَّ الحسين بن علي يريد الخروج إلى العراق، فكتب إليه عبدُ الله بن جعفر: بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي، من عبد الله بن جعفر، أما بعد! أنشدك الله أن لا تخرج عن مكّة، فإني خائفٌ عليك من هذا الأمر الَّذي قد أزمعتَ عليه أن يكون فيه هلاكُكَ وأهل بيتك، فإنَّك إن قُتِلْتَ أخاف أن يُطْفَأَ نور الأرض، وأنت روح الهدى وأمير المؤمنين، فلا تعجّل بالمسير إلى العراق فإنّي آخذٌ لك الأمان من يزيد وجميع بني أميّة على نفسك ومالك وولدك وأهل بيتك، والسَّلام».

آل عليّ بن أبي طالب

كم عدد أبناء عليّ بن أبي طالب عليه السلام في كربلاء؟

تختلف الإحصائيَّات التي تتحدّث عن أبناء أمير المؤمنين عليه السلام وعن عددهم في كربلاء، وهذا راجعٌ لعدَّة أسباب منها:

السبب الأوَّل: تعدّد ذكر الشَّخصيَّة:

حيث يُذكر الشَّخص في بعض النّصوص بكنيته، وفي بعضها الآخر باسمه، ممَّا يؤدي إلى اشتباه الأمر على الباحث بين أن يعتبرها شخصيَّة واحدة، أم هما شخصيتان مختلفتان.

السبب الثّاني: تعدّد سيناريوهات مقتل الشخصيّة الواحدة:

فقد تكون الشخصيّةُ واحدةً، ولكن يجد الباحث اختلافًا كبيرًا بين النّصوص التاريخيّة في كيفيّة جهادها ومقتلها يوم كربلاء، لذلك نظرا لاختلاف طريقة القتل قد يأتي بعض الباحثين فيما بعد ويقول: هناك شخصان، أحدهما أكبر والآخر أصغر، حيث ذكروا مثلا وجود العبَّاس الأصغر والعبَّاس الأكبر، خلافا لما هو المشهور

والمعروف، لماذا؟

لأنَّه قد ذُكر اسم العبَّاس وطريقةُ مقتله وذُكر قاتله في بعض الكتب بنحو مختلف عن المعروف والمعهود، فيضطر الباحث - بناءً على الاختلاف في القاتل وكيفية القتل - أن يقول: إنَّ هناك شخصين باسم العبَّاس، فنفترض أنَّ أحدهما هو الأكبر والآخر هو الأصغر، ولا سيَّما إذا ذَكَرَت بعض الكتب التَّعدد أيضًا.

فلهذين السَّببين قد تجد شيئا غير قليل من الاختلاف في ذكرهم وفي عددهم، ولهذا بعض الباحثين في هذا الجانب أوصل أسماء أبناء أمير المؤمنين الّذين المباشرين الّذين استشهدوا في كربلاء إلى عدد قد يكون كبيرا جدًّا وهو ١٧ شخصًا، علمًا أنَّ هذا العدد لا يشمل الأحفاد - أي: أبناء أمير المؤمنين عليه السلام بالواسطة -، وهذا يعتبر رقمًا كبيرًا.

لأنَّه نجد في الأشعار القديمة كما تقدَّم ذكره أنَّ زينبَ بنتَ عقيل بن أبي طالب عندما كانت ترثي الشهداء من إخوتها وبني إخوتها وشهداء أهل البيت عليهم السلام تقول في شعرها:

عَيْنُ جُودي بعَــبْرةٍ وَعَوِيْلِ ... وانْدُبي إنْ نَدَبْتِي آلَ الرَّسُولِ

سِــتَّةٌ كُلُّهــم لِصُلــبِ عليّ ... قدْ أُصِيبُوا وخَمْسَةٌ لعَقِيْلِ(١)

وهنا حصل اختلاف في صدر البيت هل هم ستَّة أم تسعة؟، وفي عجزه هل خمسة أو سبعة؟

(١) شرح إحقاق الحق، للسيد المرعشي،ج ٢٧ ص ٤٩٢.

وسوف نتعرّض في هذه الصّفحات لخمس شخصيَّات من أبناء أمير المؤمنين عليه السلام المباشرين، لنبيَّن أنَّ الأسرةَ الّتي كانت تدافع عن الإسلام في كربلاء هي الأسرة الطالبيَّة كما تقدَّم سواء في صورة أبناء عقيل بن أبي طالب، أو في صورة أبناء جعفر بن أبي طالب، أو في صورة أبناء عليّ بن أبي طالب، فالجامع المشترك بين هؤلاء هو والدهم حامي النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومؤمن قريش وهو أبو طالب عليه السلام.

◄ أبناء عليّ بن أبي طالب عليه السلام في كربلاء

◁ الأول: أبو بكر بن عليّ بن أبي طالب

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تزوَّج من الحرائر ما بين سِتّ إلى سبع نساء، وبطبيعة الحال لم يكن يجمع بين أكثر من أربع نساء، لأنه لا يحلّ للإنسان المسلم أن يجمع أكثر من أربع نساء بعقد دائم، وأمير المؤمنين ليس مستثنى من هذه القاعدة، الاستثناء الوحيد في هذه الحالة كان لنبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان يُسوَّغ له العقد والزّواج بأكثر من أربع نساء في وقت واحد، وقد حصل هذا في تاريخه المجيد، صحيح أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام هو نفس رسول الله، وأنَّ منزلته لا يدانيها أحدٌ من المسلمين، ولكن هناك مختصَّات للنَّبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يشاركه فيها أحد.

إحدى زوجات أمير المؤمنين من الحرائر هي (ليلى بنت مسعود النهشليَّة)، تزوّجها وأولدها عدَّة أولاد، أحدهم يسمَّى

بأبي بكر، وكان عمره في كربلاء أربعًا وعشرين سنة واستشهد فيها، وورد السَّلام عليه في زيارة النَّاحية المقدّسة.

◁ التوظيف الأمويّ لبعض أسماء أبناء أمير المؤمنين عليه السلام

أوَّل ما يُلْفِتُ النَّظر في هذا الشَّهيد هو اسمه، فالبعض أراد أن يستفيد منه استفادة عقائديّة، بمعنى أن يقول: انظروا كيف كانت العلاقة بين الإمام عليّ وبين الخلفاء الَّذين سبقوه، ألا يعني تسمية أولاده بأسمائهم أنَّه كان راضيًا عنهم وقابلًا بهم؟، بل ومنسجمًا معهم؟، فأسماء أبنائه تشهد بأنَّه كان محبًّا لهم، فمن أسمائهم: أبو بكر بن ليلى النَّهشليَّة شهيد كربلاء، وكذلك عثمان ابن أمّ البنين الكلابيَّة، وعنده عمر ابن التَّغلبيَّة المعروف بالأطرف.

لكنَّ هذه الاستفادة استفادة في غير محلِّها، ولقد تناول المحقّق السيّد علي الشهرستاني في كتابه المتميّز (التّسميات بين التسامح العلوي والتّوظيف الأموي) ردًّا على ذلك، ومن جملة ما يذكر في هذا الباب للرَّد على هذا الكلام:

أوَّلا: أنَّ الأسماء مرتجلة، وبحسب تعبيرنا المعاصر الأسماء محايدة، والمقصود بذلك أنَّ الاسم عندما يُطلق على شخص من الأشخاص ليس بالضَّرورة أن يحمل ذلك الشَّخص مضمون الاسم.

ومثال ذلك: أنَّه عندما يكون لي ولدٌ فأسمِّيه (صالح) فإنَّ ذلك لا يعني أنَّه حتمًا صالح، وإنما أتفاءل بأن يكون صالحًا، وقد يكون سببُ تسميتي له بهذا الاسم هو أنَّه اسم والدي أو والد زوجتي،

أوأنا أستحسن هذا الاسم، وأحيانا يكون سبب تسميتي لولدي بهذا الاسم كونه شائعًا في المنطقة، وقد تختلف الأسباب في التّسمية، فليس بالضَّرورة أنَّ هذا الاسم عندما أطلقه على أحد أبنائي يكون فيه مضمون عقائديّ، بمعنى أنّي قمتُ بتسميتي ابني بهذا الاسم بسبب حبّي لحاكمٍ أو تاجرٍ أو رياضيّ اسمه صالح، فهذا معنى قول العلماء إنَّ الاسم محايد ليس كاشفًا عن المحبّة والرّضا.

ثانيًا: يذكر المحقّق الشهرستاني أنَّ هذه الأسماء كانت موجودةً قبل الخلفاء وبعد الخلفاء، فإذا تسمَّى بها الخليفة الفلاني فلا يعني ذلك أنَّ الاسم صار مِلْكًا له، وحِكْرًا عليه، بحيث لا يستطيع أحدٌ أن يسمِّيَ ولدَه بهذا الاسم إلا إذا كان محبًّا لهذا الخليفة، أو كان قد أذن له الخليفة بالتَّسمية.

ففي تلك المرحلة كان هناك عشرات الأشخاص الَّذين تتطابق أسماؤهم مع أسماء الخلفاء، على سبيل المثال: (عمر ابن أبي سلمة) و(عثمان ابن مظعون) وغيرهم، ولقد أحصى هذا الباحث المحقّق موارد تربو على ثلاثين موردًا، وكلّها كانت أسماؤها مطابقة لأسماء الخلفاء، ولعلَّ أمير المؤمنين عليه السلام حين رأى أنَّ البعض يريد أن يستفيد من هذه الملاحظة، جاء وقطع الطَّريق فقال في خصوص عثمان ابنه: سمّيته على اسم عثمان ابن مظعون محبّة منّي له.

ثالثًا: يذكر هذا الباحث وكلامه قريب من الواقع أنَّه منذ زمان الإمام السَّجاد عليه السلام فصاعدا كان الأمويُّون يوظّفون هذا المعنى،

وهو أَنَّه لو لا أنَّ عليًّا يحبُّ الخلفاء لما سمَّى أبناءَه بأسمائهم، ولذلك نرى أنَّه منذ ذلك الوقت كان الأئمَّة عليهم السلام يُحبّذون التّسمية بأسماء أهل البيت، وأن يُبتعد عن الأسماء الَّتي من الممكن أن يُساءَ استغلالها بهذا النَّحو، ولربما من أجل ذلك كانت هنالك إشارات إلى أنَّ بعض الأسماء يُحبّها الله وبعض الأسماء لا يُحبّها الله.

إذن تسمية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأبنائه بأبي بكر أو عمر أو عثمان لا يحمل مضمونا عقائديًّا يُصحّح خلافةَ أحدٍ، أو يُنهي الخلاف بين الإمام عليّ عليه السلام وبينهم، ولقد أعربت عنه الخطبة الشقشقيَّة بما لا مزيد عليه.

◁ الثَّاني: محمَّد بن عليّ الأصغر

وهو الَّذي وَرَدَ في زيارتِه هذا النَّص: «السَّلام عَلَى محمَّد ابنِ أميرِ المُؤْمِنيْنَ قَتِيلِ الأبانيّ الدّارِميّ لَعَنَه الله وَضَاعَفَ عليه العَذَابَ الأَلِيْم»[1]، وأمّه أم ولد تسمّى الورقاء[2]. وهو غير محمَّد الأكبر المعروف بابن الحنفيّة، فمحمَّد ابن الحنفيَّة لم يأتِ إلى كربلاء كما هو معروف وكان أكبر سنًّا.

◁ الثَّالث: عبد الله بن عليّ بن أبي طالب

وهو أحد أبناء أمّ البنين الكلابيَّة، قيل: إنَّ عمره عند استشهاده كان (٢٥) سنة، ولذلك يحتمل أنّه كان بعد أبي الفضل العبّاس في

(١) إقبال الأعمال، للسيد ابن طاووس،ج ٣ ص ٧٥.
(٢) أنساب الأشراف، للبلاذري، ج٢ ص١٩٢.

شدة القتال، باعتبار أنَّه أكبر سنًّا من بقية إخوته، وإن كان البعض يقول خلاف ذلك وأنَّ جعفرًا هو الأكبر؛ وأنَّ عمره (٣٠) سنة، وعلى أيّ حال هذا أيضًا كان من شهداء تلك الواقعة، وبرز إلى القتال وقتله هاني بن ثَبيت أو ثُبيت الحضرميّ، وورد السّلام عليه في زيارة الناحية بقوله: «السَّلام على عبد الله بنِ أميرِ المُؤْمِنينَ، مَبْلَى البَلاء، والمُنَادي بالوَلاء في عَرْصَةِ كَرْبَلاء، المَضْرُوب مُقْبلًا ومُدْبرًا، لَعَنَ اللهُ قاتلَه هَانِي بنَ ثبيت الحَضْرمي»[1].

◁ **الرَّابع: عثمان بن علي بن أبي طالب**

وهو أيضًا من أبناء أم البنين الكلابيَّة، وسمَّاه أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الاسم محبَّةً منه لعثمان بن مظعون، وهذا ما أكَّدت عليه زيارة النَّاحية حيث جاء فيها: «السَّلامُ عَلَى عُثْمان بنِ أميرِ المُؤْمِنيْن سَمِيِّ عُثْمان بنِ مظعون»[2].

فهذه التّسمية راجعة إلى عثمان بن مظعون أحد خُلّص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أوَّل مَنْ مات بعد قدوم النَّبي إلى المدينة ودُفِنَ في البقيع، وكان النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يترضَّى عليه ويترحّم، وكان عظيم المنزلة، وهنا تُنبّه الزّيارة على أنّ هذا سمِيٌّ لعثمان بن مظعون لا لشخص آخر.

وقد ذُكِرَ أنَّ عثمان بن أمير المؤمنين عليه السلام كان عمره (٢١)

(١) المزار، محمد بن جعفر المشهدي، ص ٤٨٨.

(٢) المصدر نفسه.

سنة، وأنَّ مَنْ قتله هو خولى بن يزيد الأصبحيّ لعنة الله عليه[١].

◁ الخامس: جعفر بن علي بن أبي طالب

وهو أيضا من أبناء أم البنين الكلابيَّة، وقد سمَّاه أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الاسم لحبّه لأخيه جعفر بن أبي طالب، وكنَّاه بكنيته (أبو عبدالله)، ويُعتبر كبيرا في السّن قياسا إلى بقية إخوته وقيل: إنَّ عمره كان (٣٠) سنة تقريبًا، ولقد ورد ذِكْرُه في زيارة النَّاحية مع شيءٍ مِنَ الإشارة إلى بعض خصوصيّاته حيث قَالَ الإمام عليه السلام: «السَّلامُ على جَعْفَر بنِ أميرِ الْمُؤْمنينَ الصَّابِرِ نَفْسَه مُحْتَسِبا، والنَّائِي عن الأوطان مُغْتَرِبا، الْمُسْتَسْلِمِ للقِتَال الْمُسْتَقْدِمِ للنِّزَال، الْمَكْثُورِ بالرِّجَال، لَعَنَ اللهُ قَاتِلَه هَانِي بن ثبيت الحَضْرَمِي»[٢].

ويُعتقَد أنَّ جعفرًا أوَّل مَنْ تَحرَّك للقتال من أبناء أمِّ البنين بإشارة «الْمُسْتَقْدِم للنِّزَال» يعني تَقَدَّمَ على غيره، ومِنْ جملة ما فعله أبو الفضل العبَّاس عليه السلام أنَّه قدَّم إخوته أمامه، وهذا التَّقديم هو نوعٌ من أنواع الاحتساب[٣]، يعني يا ربّ سأتألَّمَ لأجل هؤلاء،

(١) نلاحظ أنَّه كثيرا ما يتردّد ذكرُ نبال وسهام (هاني بن ثبيت الحضرميّ) و(خولىّ بن يزيد الأصبحي)، ولعلَّ ذلك راجعٌ إلى أنَّهم كانوا يرمون بالنّبال، وهذا لا يحتاج إلى شجاعة، بعكس القتال بالسَّيف فإنَّه يحتاج إلى قُرْبٍ من المقاتل وجرأة وشجاعة.

(٢) إقبال الأعمال، للسيد ابن طاووس، ج ٣ ص ٧٥.

(٣) يقال: (احتسبه عند الله)، أي: الصَّبر على فقد العزيز، مثلا في كربلاء الإمام الحسين عليه السلام كان يحتسب كلّ مَنْ يخرج من أصحابه وأهل بيته، أي أنَّه كان يتألّم من أجله، ويحصل على إثر ذلك على ثواب عند الله إذا صبر ولم يجزع.

فهناك فرق بين أن يُقتل قبلهم فلا يعيش ألم فقدهم، وبين أن يتقدَّموا أمامه فيقتلون فيتألَّم ويكابد الألم والجزع، ثمَّ بعد ذلك هو يُقتل فكأنَّما اجتمع عليه أمران.

«الْمَكْثُور بالرِّجَال» المَكْثُور اصطلاح في المعارك العسكريَّة في ذلك الزّمان، ويقال للرّجل الَّذي يُحاط به مِنْ كُلّ الجهات، وقد ورد هذا المعنى في حقّ أبي عبد الله الحسين عليه السلام بعدما فُنِيَ أصحابه في أواخر المعركة، وبعد أن تعب الإمام وأحاط به العسكر من كلّ الجهات يقول حميد بن مسلم: «فوالله ما رأيتُ مكثورًا قطّ قد قُتِلَ وُلْدُهُ وأهلُ بيته وأصحابُه أربطَ جَأْشًا، ولا أمضى جَنَانًا منه، كانت الرَّجَّالة لَتَشُدَ عليهِ فَيَشُدَ عليهَا بسيفه، فتَنْكَشِف عَنْ يَمينِه وشِمَاله انْكِشَاف المِعْزَى إذا شَدَّ فيها الذّئب»(١).

فيظهر من قوله: «الْمَكْثُور بالرِّجَال» أنَّه لمَّا وصل جعفر بن أمير المؤمنين إلى عسكر الأعداء أحاط به الكثير منهم كالحلقة أو الدَّائرة، وبالطبع سيكون في هذه الحال في موقف صعب لأنَّه إن ضرب الَّذي أمامه ضربةً، جاء الَّذي خلفه أو الَّذي عن يمينه أو الَّذي عن شماله وضربه.

◁ السادس: العبَّاس بن عليّ بن أبي طالب

قال سيدنا ومولانا زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام: «رَحِمَ اللهُ العبَّاس، فَقَدْ آثر وَأَبْلَى وَفَدَى أَخَاهُ بنفسه حتَّى قُطِعَتْ يَدَاه،

---

(١) الإرشاد، للشيخ المفيد، ج ٢ ص ١١١.

فَأَبْدَلَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ بهما جَنَاحَيْن يَطِيْر بهَا مَعَ الملائكة في الجنَّة، كَما جُعِلَ لجَعْفَر بن أبي طَالب، وإنَّ للعبَّاس عند اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالى مَنْزِلَةً يَغْبِطُه بهَا جميعُ الشُّهَداء يومَ القِيَامَة»[1].

مَنْ يتأمَّل كتب التَّاريخ والحديث يَجِدْ أنَّ المعلومات الموجودة عن شخصيَّة أبي الفضل العبَّاس عليه السلام لا تتناسب مع منزلته الَّتي تحدث عنها المعصومون وقد يكون هذا راجعًا لأسباب منها العيش في ظلِّ شخصيّاتٍ أعظم، فيتمّ التركيز على تلك الشَّخصيّة الأعظم منزلة، ويُنسى في الغالب دور الشّخصيّة الّتي تليها، مثلما قيل (والأولى به الإمام الحسين).

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهنّ كوكب

لأبي الفضل العبَّاس عليه السلام منزلة عالية، ولكن عندما يكون إلى جانب الحسين عليه السلام ويقاس به؛ بما للحسين من صفات ككونه سيد شباب أهل الجنة وهو الإمام المعصوم فإن منزلة العباس لا تكاد تُذكر، وهكذا سائر أبطال كربلاء.

---

(١) الأمالي، للشيخ الصدوق، المجلس ٧٠ الرقم ١٠ ص٥٤٨.

أسباب قلّة التّدوين في سِيَر أبناء أمير المؤمنين.. العبّاس نموذجًا

هناك عدَّة أسباب تكمن وراء قلّة التّدوين في سِيَر أبناء أمير المؤمنين من غير المعصومين منها:

الأوّل: أنَّ أبا الفضل العباس عليه السلام جاء في فترة زمنيّة كان نجمُ الحسنين «الحسن والحسين» عليهما السلام لامعًا في الأفق الاجتماعيّ والثقافيّ والدينيّ والمحيط الّذي يعيش فيه، إضافة إلى ذلك فإن الفاصلة بينه وبينهما هي فاصلة الإمام والمأموم، فالعبَّاس كان مأمومًا، والحسنان كانا إمَامَيْنِ، ومن الطَّبيعي أن يتمّ التركيز على الإمام وعلى أفعاله وأقواله وتاريخه وسيرته، ويقلُّ التركيز على مَنْ كان مأموماً، وهذا الأمر يشترك فيه تقريبًا أغلب أبناء أمير المؤمنين عليه السلام، حيث لا نجدُ لهم سِيَراً مفصَّلةً.

الثَّاني: وهو العامل السياسي؛ وبيانه أن أكثر كتب التاريخ والسير قد كتبت بأوامر أو توجيه سلطوي، أو على الأقل كانت تحت ظل السلطة ومراقبتها، وحين يكون الأمر كذلك فعلى الأقل في

القرون الثلاثة الأولى كانت ستخضع أو تراعي سياسات الدولتين الأموية والعباسية، ولا ريب أن هذه السياسات لن تكون راضية عن تدوين سير العلويين، وآل أبي طالب الذين كانوا محسوبين على المعارضة. وستجد في تسجيل فتوحات و(أمجاد) الحاكمين وأسلافهم ما يشغلها عن تأريخ سير آل علي والطالبيين.

الثَّالث: قد يكون قصر المدَّة الَّتي عاشها أبو الفضل العباس عليه السلام مع الإمامين الحسن والحسين والتي لم تكن طويلة من بعد مرحلة البلوغ فهو قد عاش بعد بلوغه مع الإمام الحسن عليه السلام حوالي تسع سنوات ومع الحسين تسع عشرة سنة إذا قلنا إنَّ ولادته كانت سنة (٢٦) للهجرة كما هو المشهور بين المؤلّفين في سيرته.

وعلى أيّ حالٍ؛ فمع أنَّنا لا نجد في كُتُب التَّاريخ تفاصيل عن سيرته تتناسب مع وزن العبَّاس ومنزلته، ولكن ما جاء عن المعصومين في شأنه يمكّننا أن نعرف جوانب من عظمة منزلته كقول الإمام زين العابدين عليه السلام الآنف الذكر. وسنذكر هنا ما يساعد في التعرف على شخصيته.

◄ ولادته

هناك قولان في ولادة أبي الفضل العبَّاس عليه السلام:

القول المشهور: أنه ولد سنة (٢٦) للهجرة؛ وبناءً على هذا القول يكون عمره يوم شهادته أربعًا وثلاثين سنة تقريباً[1].

---

(١) وهو الموافق لما جاء في كتب الأنساب، كما في سر السلسلة العلوية ص ٨٩: «وقتل وله أربع وثلاثون سنة».

القول الثّاني: أنه وُلِدَ سنة (١٨) للهجرة: وقد ذهب إليه صاحب موسوعة المعارف الحسينية الشَّيخ الكرباسي حيث يقول: إنّه ولد سنة (١٨هـ)، بل ذهب إلى القول بأنَّ اقتران أمير المؤمنين بأمّ البنين وزواجه بها كان في سنة (١٢هـ)! وقد ناقشنا في الموضوع الخاص بأم البنين هذا التوقيت وذكرنا ما لهذا القول وما عليه.

◁ هل كان العبَّاسُ موجودًا في صفّين؟

ما ذهب إليه الشيخ الكرباسي من أنَّ ولادة العبَّاس كانت في سنة (١٨هـ) يفيده في بعض المواقف، مثل ما ذكر من دورٍ متميّز لأبي الفضل العبَّاس في صفّين، فبناءً على أنَّ ميلاده سنة (١٨هـ)، وصفّين بحدود سنة (٣٧هـ)، يكون عمره بحدود تسع عشرة أو عشرين سنة، وهذا يعني أنَّه رجل مكتمل، وبالتالي لو نُسِبَت إليه أعمال استثنائيَّة عسكريَّة فإنَّ هذا ليس بغريب لأنَّه في العشرين من عمره، فهو رجلٌ ناضجٌ ومكتمل ويستطيع أن يقوم بهذه الأعمال، ولكن بناءً على أنَّه مولود سنة (٢٦هـ) فإنَّه يكون عمره في صفّين حدود إحدى عشرة سنة، فيبعد مع هذه السّن أن تُنْسَب إليه أعمال أبناء العشرين وما شابه ذلك.

وبحسب ما سبق فإن هناك قولين في حضور العبّاس واقعة صفّين:

القول الأوَّل: وهو الرأي الشائع؛ أنَّ العبَّاس بن عليّ كان حاضراً في صفّين، غاية الأمر أنَّه كان صغير السّن بناءً على أنّ

ميلاده كان سنة (٢٦هـ) كما هو المشهور، وهذا ليس شيئاً استثنائيّاً أن يحضر ابنُ الثانية عشرة الحروبَ، وذلك لتعويده عليها وممارسته إيّاها، وإن كان قد لا يُقْذَفُ بهِ في لهواتها، ولكن حتَّى يجرّب الحرب ويعاصرها، ويكتسب خبرة فيها.

بل ربما نقل في بعض الكتب عنه قصص بطولية، وذلك في سبب تلقيبه بسبع القنطرة(١).

القول الثَّاني: ما ذهب إليه بعض أعلام الطائفة كالمحدّث النّوري صاحب كتاب مستدرك الوسائل الذي نفى حضور العباس في صفين، وأضاف بأنَّه قد وقع اشتباه بين شخصيّتين هاشميتين؛ العبَّاس بن الحارث بن عبد المطلب والعبَّاس بن عليّ بن أبي طالب، وأنه لا ريب أن العبَّاس بن الحارث بن عبد المطلب قد شارك في صفين، وهو في عمر مقارب لعمر أمير المؤمنين عليه السلام، وهما أولاد عمومة، وكان العباس بن الحارث فارسًا مقدامًا. فلأجل هذا تم الخلط بين الشخصيتين وتم إثبات حضور العباس بن الإمام علي فيها، بينما لم يكن قد حضر وإنما الحاضر هو العباس بن الحارث.

وإذا لم يكن قد شارك العباس في صفين فمن باب أولى أنه لم يشارك في حرب الجمل.

---

(١) (بعض من كتب حوله، وهو موجود أيضا في الثقافة الشعبية، بأن قصة سبع القنطرة (أي أسد الجسر) كانت مع الخوارج، وأنه استطاع أن يحمي مع صغر سنه ما وكله به أبوه من حراسة ذلك الجسر.

◄ طفولته

من الطبيعي أن يكون أبو الفضل العباس تحت رعاية أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وبناء على أنه ولد سنة (٢٦هـ) فستكون طفولته بل وشبابه المبكر في ظل أبيه الذي استشهد في سنة (٤٠هـ) أي أنه بقي مع أبيه نحو ١٤ سنة، وأما بناء على ما قاله المحقق الكرباسي وهو ما لم نقبله من كونه قد ولد سنة (١٨هـ) فستكون الفترة الزمنية أكبر. أي ستصبح مرافقته لأبيه وتربيته على يده قد استمرت (٢٢ سنة).

وقد نقل في مصادر معاصرة ما يقوله مؤلفوها من أن الإمام عليّا عليه السلام قد قبل يدي ابنه العباس وهو رضيع وبكى، ثم ذكر ما يجري عليهما في نصرة أخيه الحسين، ومن ذلك ما نقله القرشي في كتابه وهو «يقول المؤرخون: إنّه أجلسه في حجره فشمر عن ساعديه فجعل الإمام يقبلها، وهو غارق في البكاء، فبُهرت أم البنين، وراحت تقول للإمام: ما يبكيك؟ فأجابها الإمام بصوت خافت حزين النبرات؛ نظرت إلى هذين الكفين وتذكرت ما يجري عليهما..».

وسارعت أم البنين بلهفة قائلة: وماذا يجري عليهما؟

فأجابها الإمام بنبرات مليئة بالأسى والحزن قائلاً: إنهما يقطعان من الزند!

وكانت هذه الكلمات كالصاعقة على أم البنين، فقد ذاب قلبها، وسارعت وهي مذهولة قائلة لماذا يقطعان؟

وأخبرها الإمام عليه السلام بأنهما إنّما يقطعان في نصرة الإسلام والذبّ عن أخيه حامي شريعة الله، ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأجهشت أم البنين في البكاء، وشاركها من كان معها من النساء لوعتها وحزنها.

وخلدت أم البنين إلى الصبر، وحمدت الله - تعالى - في أن يكون ولدها فداءً لسبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته»[١].

◀ منزلة العباس في أحاديث المعصومين

١/ قد نقل الشيخ الدربندي في كتابه أسرار الشهادات عن المعصومين مرسلا قول أمير المؤمنين عليه السلام في ولده العباس «إن العباس بن علي زُقَّ العلم زقًّا»[٢].

---

(١) القرشي: العباس بن علي عن قمر بني هاشم ٢: ٥، ونقل نفس النص علي رباني الخلخالي في كتابه: أم البنين النجم الساطع ص٨٧. وقد ذكر الحادثة مختصرة ومن دون الصياغة الأدبية السيد عبد الرزاق المقرم في كتابه العباس بن علي ص ١٢٩، وقال «وذكر صاحب كتاب «قمر بني هاشم» ص٢١ أنّ أُمّ البنين رأت أمير المؤمنين. الخ» والطريف أن كتاب قمر بني هاشم هو للسيد المقرم ألّفه أولا باختصار في حياة العباس وعنونه بذلك العنوان ثم أكمله ووسعه وطبعه بعنوان: العباس بن علي. ولم يتيسر لنا العثور على كتاب قمر بني هاشم لنعرف من أين نقل الحادثة المذكورة.

(٢) الحلو؛ السيد محمد علي: العباس بن علي ملحمة الطف (نسخة الكترونية) ناقلا عن أسرار الشهادة للشيخ الدربندي، ص ٣٢٤، وأطلقه المرجع الديني المرحوم السيد محمد صادق الروحاني بجزم نسبته للمعصوم فقال في أجوبة المسائل في الفكر والعقيدة ١/ ١٥٩ وهو الذي قال المعصوم عليه السلام في حقّه بأنّه: «زُقَّ الْعِلْمَ زِقّا».

ولا ريب أن هذا النص لو تم فإنه يبين منزلة عالية لأبي الفضل العباس من العلم، فإن التعبير بـ «زُقَّ العلم»[1] يشير إلى أن طريقة تلقيه العلوم ليست هي الطريقة العادية، أو لا أقل فإن قسمًا من ذلك لم يكن بالطريقة العادية.

غير أن الأحاديث الواردة عن المعصومين لا تنحصر فيما سبق.

٢/ فقد ورد بالسند المعتبر عن أبي حمزة الثمالي قال: نظر علي ابن الحسين سيد العابدين صلوات الله عليه إلى عبيد الله بن عباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام فاستعبر ثم قال: «ما من يوم أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة، قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب.

ثم قال عليه السلام: ولا يوم كيوم الحسين صلى الله عليه ازدلف

(١) الزّقّ: مصدر زق الطائر الفرخ يزقّه زقًّا: غرّه وأطعمه بفيه. وقد استعمل في التعبير عن نحو حصول المعصومين على العلم، وقد عُرف عنهم ذلك وأن مصدر تعلمهم ليس عاديّا وإنما يشبه إطعام الطائر لفراخه الصغار بفمه، فقد قالها أمير المؤمنين عليه السلام على رؤوس الأشهاد، مخبرا أن رسول الله زقه العلم «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي هَذَا سَفَطُ الْعِلْمِ هَذَا لُعَابُ رَسُولِ اللَّهِ ص هَذَا مَا زَقَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ص زَقّا زَقّا» كما في توحيد الشيخ الصدوق، ص ٣٠٥، بل عرف ذلك حتى خصومهم مثلما نُقل أن يزيد بن معاوية اعترض على طلب جلسائه منه السماح للإمام السجاد بأن يصعد المنبر وأنه لا يحسن الكلام قال لهم: إنّه من أهل بيت قد زقّوا العلم زقا «كما عن الموفق الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام.

إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة، كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون حتى قتلوه بغيا وظلما وعدوانا.

ثم قال عليه السلام: رحم الله العباس فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله عز وجل بهما جناحين، يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة»[١].

وفي هذا الحديث فقرات متعددة منها ما يشير إلى عدد الجيش الذي حارب الإمام الحسين عليه السلام، وبيان أشد الأيام على قلب رسول الله وهي يوم أحد حيث استشهد عمه حمزة، ويوم مؤتة حيث استشهد ابن عمه جعفر، ولكن كل تلك الأيام لا تعدل يوم الحسين في كربلاء.

والفقرة التي ترتبط بما نحن فيه هي الترحم على أبي الفضل العباس عليه السلام، وهي من إمام معصوم، ثم ذكر له صفات الإيثار (ولعل فيه إشارة إلى تركه شرب الماء مع تمكنه منه إيثارًا منه لأخيه وأسرة أخيه على نفسه ولم يذق الماء وإنما ملأ قربته وسعى في إيصالها للمخيم). وأنه أبلى (وهي بمعنى أنه صنع صنعًا حسنًا وبلاءً طيبًا)، وأنه فدى أخاه بنفسه، وقطعت في ذلك يداه، فأبدله الله عز وجل جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كجعفر، وهنا ينبغي أن نتوقف للتأمل في أنه كم عدد الأبطال والمقاتلين من المسلمين الذين

---

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٥٤٨.

قطعت أيديهم في معارك الإسلام؟ لكن عندما يصل الأمر إلى أسرة النبي وعترته، تجد الأمر مختلفا فيكرمهم الله بكرامة خاصة(١).

وأكثر من ذلك أن للعباس منزلة يغبطه(٢) بها جميع الشهداء يوم القيامة، ولا يكون المغبوط إلا وهو يمتلك منزلة لا توجد لدى الغابط. وهذا التعبير (جميع الشهداء) هو أوسع أنحاء العموم فيشمل كل شهيد في سبيل رسالة الله إلا من استثني.

٣/ كما روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قوله «كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام وابلى بلاءً حسناً، ومضى شهيدًا»(٣). فأثبت له نفاذ البصيرة، وصلابة الإيمان،والجهاد مع الحسين والبلاء الحسن والشهادة.

٤/ جاء ذكر اسمه في زيارة الناحية المقدسة على لسان الإمام المهدي عليه السلام (٤)، وسلّم عليه كالآتي: «السلام على أبي الفضل العباس

---

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي ٣/ ٣١؛ في رسالة أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية قال: «أَلَا تَرَى غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ، ولَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّه أُحَدِّثُ، أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّه تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ، ولِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وخَصَّه رَسُولُ اللَّه عليه السلام بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِه عَلَيْه، أَولَا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّه، ولِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ، قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وذُو الْجَنَاحَيْنِ».

(٢) غبطت الرجل إذا اشتهيت أن يكون لك مثل ما له وأن لا يزول عنه ما هو فيه / عن لسان العرب.

(٣) سر السلسلة العلوية، لأبي نصر البخاري، ص ٨٩.

(٤) قد ذكرنا بعض الكلام عن زيارة الناحية المقدسة في كتابنا الموسوم بهذا

بن أمير المؤمنين، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له الواقي، الساعي إليه بمائه، المقطوعة يداه»[١].

◄ زواجه وأسرته

يستفاد من كتب الأنساب والتاريخ أن أبا الفضل العباس عليه السلام، تزوج امرأة من الأسرة الهاشمية وهي لبابة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وأنجبت له ابنين: عبيد الله[٢] والفضل[٣].

وأعقب العباس من ابنه عبيد الله حيث تزوج هذا رقية بنت الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأم علي بنت علي بن الحسين بن علي (السجاد) عليه السلام لم تلد له وأم أبيها بنت عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب، وابنة المسور بن مخرمة الزبيري[٤].

بل انحصر نسل أبي الفضل فيه، إلى حد أن البيهقي قال «وتُوفِّي

الاسم، وأن هناك زيارتين تعرفان بزيارة الناحية احداهما وهي هذه فيها أغلب أسماء شهداء كربلاء مع وصف مختصر لمقاتلهم..

(١) المزار، محمد بن جعفر المشهدي، ص ٤٨٩.

(٢) كتاب نسب قريش، مصعب بن عبد الله، ص ٦٨، وسر السلسلة العلوية، أبي نصر البخاري، ص ١٠١.

(٣) ذكره جواد محدثى في موسوعة عاشوراء (فرهنگ عاشورا)، (تعريب: خليل زامل عصامى)، ص ٢٩٩ ولم أجد له ذكرا في مصادر كتب الأنساب والتاريخ. ولا أعلم من أين أخذه. وبالطبع فإن اشتهاره عليه السلام بهذه الكنية لا يدل على وجود ابن حقيقي له بهذا الاسم، فإن الكنية عندهم لا ترتبط بالضرورة بوجود ابن. وربما كني الشخص بكنية من صغره وقبل زواجه وبقيت هذه الكنية له حتى بعد مجيء ولده البكر ولم تتغير.

(٤) سر السلسلة العلوية، أبي نصر البخاري، ص ١٠١.

عبيد الله بن العباس بن علي عليه السلام، وهو ابن خمس وخمسين سنة، ومنه العقب، فكلّ من انتمى إلى العباس بن علي عليه السلام من غير عبيد الله بن العباس فهو كاذب»(١).

وهو الذي يذكر أن الإمام السجاد عليه السلام نظر إليه فاستعبر وقال: ما من يوم أشد على رسول الله من يوم أحد... إلى آخر ما نقلناه من حديث أبي حمزة الثمالي في الصفحات الماضية من ذكر الإمام لمنزلة أبي الفضل العباس.

وبقدر ما كان الاتفاق على أن نسل أبي الفضل هو من ابنه عبيد الله فقط، فقد كان الاختلاف في تحديد هوية زوجته ونسبها ومصيرها بعده شائعًا بين المؤرخين والنسابة.

فبالرغم من أن المشهور بينهم أنها (لبابة بنت عبيد الله بن العباس) إلا أن بعضهم ذكر أنها بنت عبد الله بن العباس(٢) لا عبيد الله(٣).

---

(١) لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، ج ١، ص ٣٥٧علي بن زيد البيهقي، وابن حزم «جمهرة أنساب العرب» ص٦٧. قال: «لا عقب للعباس بن عليّ بن أبي طالب إلا من ولده عبيد الله بن العباس فقط».

(٢) فانظر ما قاله البيهقي في لباب الأنساب والألقاب والأعقاب ٢/ ٦١٩: «تقرير هذا النسب: العقب من أولاد عباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عبيد الله، وأمه لبابة بنت عبد الله بن العباس بن عبد المطلب».

(٣) عبد الله، وعبيد الله؛ أبناء العباس بن عبد المطلب، كلاهما أبناء عمومة أمير المؤمنين، وعبد الله هو المعروف بحبر الأمة، وهو تلميذ أمير المؤمنين علي عليه السلام، ولتفصيل سيرته يمكن للقارئ مراجعة كتابنا: أعلام من الأسرة النبوية. وعبيد الله هو ابن عم الإمام وواليه على اليمن، التحق بمعاوية على أثر رشوته

وسيكون هناك اختلاف أيضا في مصيرها بعد شهادة أبي الفضل العباس عليه السلام؛ فبينما ذهب البعض[1] إلى أنها خَلَف عليها بعده، وتزوجها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان الأموي والي المدينة إبان حركة الإمام الحسين فأولدها القاسم، ثم خلف عليها زيد بن الحسن بن علي (المجتبى) فأولدها نفيسة.

بينما نجد آخرين يشيرون إلى أن التي تزوجها زيد بن الحسن وأنجبت نفيسة هي بنت عبد الله بن العباس أخي عبيد الله. كما ذكر ذلك البلاذري[2]. وأن التي أنجبت للوليد بن عتبة ابنه القاسم هي بنت عبد الله بن العباس[3].

إياه بالمال وخان موقعه كقائد لإحدى فرق جيش الإمام الحسن بن علي عليه السلام.

(١) نسب قريش ص٣٢ مصعب بن عبد الله: «وأما لبابة بنت عبيد الله، فإنها كانت عند عباس بن علي بن أبي طالب؛ فولدت له عبيد الله؛ فقتل عنها مع حسين بن علي؛ فتزوجها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وهو يومئذ وال على المدينة ومكة؛ فولدت له القاسم بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان؛ وهلك عنها؛ فتزوجها زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب؛ فولدت له نفيسة بنت زيد بن حسن» وأضاف بعضهم بأن القاسم بن الوليد ونفيسة وعبيد الله بن العباس بن علي إخوة من جهة أمهم! ونفس الكلام نقله محمد بن حبيب البغدادي، في المحبر، ص ٤٤١.

(٢) الطبقات الكبير٧/ ٣١٣ ط الخانجي لابن سعد: «ونفيسةَ بنت زيد (بن الحسن) تزوّجها الوليد بن عبد الملك بن مروان فتوفّيتْ عنده وأمّها لُبابة بنت عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم» أقول: هذا يعني أن التي تزوجها زيد بن الحسن هي بنت عبد الله لا عبيد الله.

(٣) جمهرة أنساب العرب – ابن حزم ص١١١: الوليد بن عتبة، ولي المدينة؛ وابنه القاسم بن الوليد بن عتبة: أمه لبابة بنت عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب.

والأغرب هو ما جاء في تاريخ خليفة بن خياط حيث جعل لبابة بنت عبيد الله هذه، زوجة لأمير المؤمنين علي وأمًّا لولدين استشهدا في كربلاء، فقال: «وَقتل مَعَه أي الحسين الْعَبَّاس الْأَصْغَر وَمُحَمّد بْن عَلِيّ الْأَصْغَر ابْنا عَلِيّ بْن أَبِي طَالب أمهما لبَابَة بنت عبيد اللَّه بْن الْعَبَّاس»؟[1]

ويفترض أن لكل من عبد الله بن عباس وأخيه عبيد الله بنتًا تسمى لبابة، فبنت عبد الله تزوجها علي بن عبد الله بن جعفر[2]. وبنت عبيد الله بن عباس كانت زوجة أبي الفضل العباس.

ولم أصل إلى شيء يشفي العليل ويروي الغليل بشأن سيرة زوجة أبي الفضل العباس عليه السلام بعد شهادته عنها.

◄ من مواقفه عليه السلام

◁ 1/ موقفه في تشييع أخيه الإمام الحسن السبط

من الطبيعي، وإن كان التاريخ لا ينقل لنا حوادث تفصيلية، أن يكون أبو الفضل العباس في محيط توجيهات والده أمير المؤمنين عليّ عليه السلام التربوية، وهكذا في ركاب أخويه الحسن والحسين عليهما السلام، ولا سيما تلك المواقف التي يتحدث عنها بعنوان «جاء بنو هاشم» وأمثالهم، فإن أبا الفضل عليه السلام كان من أعيانهم قوة وشجاعة، بل

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص٢٣٤.

(٢) المحبر للبغدادي ص٤٤٠. «وتزوجت لبابة بنت عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ومثله الجاحظ في الرسائل السياسية ص٤٥٢.

هو «قمر بني هاشم» ولذلك نعتقد أنه لما حصل مقدمات مواجهة بين بني أمية وأنصارهم وهمّ بنو هاشم بالمواجهة في قضية دفن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام[١]، نعتقد أن أبا الفضل كان في المقدمة، وما نقل على الألسنة من أنه سل سيفه وأراد أن يفتك بأولئك، لو لا أن الحسين عليه السلام منعه من ذلك باعتبار وصية أخيه الإمام الحسن وأن لا تهرق في أمره ملء محجمة[٢] دمًا.

ما ينقل من هذا بالرغم من أنني لم أعثر على مصدره، هو موافق للاعتبار وتقتضيه طبائع الأشياء من حيث وضوح اعتداء أولئك وظلمهم، وكون بني هاشم في الموضع المحق، ووجود الشجاعة والقوة لديهم، فطبيعة الحدث تقتضي هذا الموقف.

◁ 2/ موقفه في اقتحام مجلس قصر الإمارة

وفي نفس هذا الإطار نعتقد أنه كان لأبي الفضل العباس موقف في حادثة دخول بني هاشم قصر الإمارة في المدينة المنورة، قبل خروج

---

(١) قال أبو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبيين ص٨١: «ودفن الحسن في جنب قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في البقيع في ظلة بني نبيه، وقد كان أوصى أن يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمنع مروان بن الحكم من ذلك، وركبت بنو أمية في السلاح وجعل مروان يقول: يا رب هيجا هي خير من دعه، أيدفن عثمان في أقصى البقيع، ويدفن الحسن في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ والله لا يكون ذلك أبدا وأنا أحمل السيف، فكادت الفتنة تقع. وأبى الحسين أن يدفنه إلّا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم.» ثم ذكر خروج بعض بني هاشم في السلاح. .

(٢) قارورة الحجام وهذا التعبير كناية عن القلة، أي لا أريد أن يراق دم وإن كان بهذا المقدار.

الإمام الحسين عليه السلام، فإنهم يذكرون أنه لما مات معاوية في الشام وجاء البريد للوليد بن عتبة بن أبي سفيان واليه على المدينة بأن يأخذ البيعة من الناس عامة ومن الحسين وبضعة نفر خاصة، استدعى الوليد الحسين إلى قصر الإمارة وعرض عليه البيعة، وجاء الإمام الحسين ومعه فتية بني هاشم، ولما كان الحسين لا يريد أن يبايع فقد أجّل الحديث ليوم آخر، وهو الأمر الذي لم يرُق لمروان بن الحكم فطلب من الوالي الوليد اعتقال الحسين وأن يقتله لو لم يبايع، وعندما علت الأصوات اقتحم بنو هاشم المجلس وخرجوا مع إمامهم الحسين بعزة واقتدار.

فلا ريب في مثل هذه الموقعة أن يكون أبو الفضل العباس وهو «قمر بني هاشم» والرجل النهد الشجاع فيهم، وهو المتقدم على غيره في الاقتحام.

هذا بالرغم من أننا كذلك لم نعثر على أسماء صريحة هنا، أو نسبة واضحة إلى دور كل واحد منهم لكن كما قلنا طبيعة الحدث وموقع أبي الفضل العباس في الأسرة الطالبية والهاشمية تقضي ذلك خصوصا وأن عمره في ذلك الوقت قد تجاوز الثلاثين.

◁ 3/ العباس يسقي الماء يوم السابع من محرم

ارتبط اسم أبي الفضل العباس في الذاكرة الشيعية بزمان وحدث، بل أخذ منهما أحد ألقابه وهو السقّاء، وهو صيغة مبالغة من الساقي، أما الزمان فهو السابع من محرم سنة ٦١ هـ، وأما الحدث فهو جلب الماء إلى المخيم.

وهذا الارتباط لم ينشأ من فراغ أو تقليد، وإنما مما نقله المؤرخون، ومنهم غير الشيعة، في هذا الشأن، فهذا البلاذري يشير إليه في النص التالي: «وجاء كتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد أن حل بين حسين وأصحابه وبين الماء فلا يذوقوا منه قطرة، كما صنع بالتقي الزكي المظلوم، فبعث خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء ومنعوهم أن يستقوا منه وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام، وناداه عبد الله بن حصن الأزدي: يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء، والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشًا.

فقال الحسين: اللهم اقتله عطشًا ولا تغفر له أبدًا، فمات بالعطش، كان يشرب حتى يبغر فما يروى فما زال ذاك دأبه حتى لفظ نفسه.

فلما اشتد على الحسين العطش بعث العباس بن علي بن أبي طالب وأمه أم البنين بنت حزام من بني كلاب في ثلاثين فارسا وعشرين راجلا، وبعث معهم بعشرين قِربة فجاؤوا حتى دنوا من الشريعة، واستقدم أمامهم نافع بن هلال المرادي ثم الجملي، فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي، وكان على منع الماء: من الرجل؟ قال: نافع بن هلال، قال: ما جاء بك؟ قال: جئنا لنشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا عنه. قال: اشرب هنيئا. قال: أفأ شرب والحسين عطشان ومن ترى من أصحابه؟ فقال: لا سبيل إلى سقي هؤلاء، إنما وضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء.

فأمر أصحابه باقتحام الماء ليملأوا قِرَبهم فثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه، فحمل عليهم العباس ونافع بن هلال فدفعوهم ثم انصرفوا إلى رحالهم وقد ملأوا قربهم»(١).

ولعل السبب الذي أوقع بعض الباحثين في خطأ القول إن الذي جلب الماء للمخيم كان نافعًا بن هلال، هو الجملة الأخيرة في الخبر «فاستقدم نافع وخاطب عمرو الزبيدي» فظن أن الدور الأساس فيها كان له، والحال أن الذي كان على هذه الفرقة من المقاتلين كان أبا الفضل العباس كما في أوائل النص «بعث الحسين العباس في ثلاثين فارسًا وعشرين راجلا». وإنما تقدم نافع ليفاوض عمرو بن الحجاج الزبيدي باعتبار انتمائهما إلى قبيلة واحدة هي مذحج، فكلاهما مذحجيان، ومن المعلوم أن مخاطبته له في البداية هي طريق لتجنب القتال مهما أمكن وكان سيرتهم على ذلك. ولعله لهذا لما انتسب له نافع، لم يمانع الزبيدي في أن يشرب نافع من الماء إلا أنه رفض ذلك وأصر على أن يحمل الماء للمخيم. فكان القتال الذي تقدمه أبو الفضل وهو قائد تلك المجموعة.

◁ 4/ يوم التاسع ومحاولة استدراج

ولما يتمتع به العباس من موقع في عسكر الإمام الحسين عليه السلام فقد خطط بعض قادة الجيش الأموي لفصله بزعمهم عن أخيه الحسين، وظنّ هؤلاء أن مواقف العباس كمواقفهم تخضع للمساومات والبيع والشراء! وما عرفوا كيف يصنع الدين بأتباعه

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري طبع دار الفكر ٣/ ٣٨٩.

الحقيقيين من أنهم يبيعون الدنيا كلها من أجل الالتزام بموقف مبدئي. وهذا ما حصل بين الشمر بن ذي الجوشن الضبابي وبين أبي الفضل العباس وأشقائه من أم البنين عليها السلام.

ولأجل هذا فقد طلب عبد الله بن المحل الكلابي وشمر بن ذي الجوشن الضبابي من عبيد الله بن زياد كتاب أمان (!) للعباس واخوته إذا انفصلوا عن الحسين عليه السلام، «ووقف شمر فقال: أين بنو اختنا؟ يعني: العباس، وعبد الله، وجعفر، وعثمان بني علي بن أبي طالب، وأمهم أم البنين بنت حزام بن ربيعة الكلابي الشاعر، فخرجوا إليه، فقال: لكم الأمان، فقالوا: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن بنت رسول الله لا أمان له»[1].

◁ 5/ العباس يمثل الحسين في التفاهم مع عمر بن سعد

وفي نفس هذا اليوم أي التاسع ومع مجيء شمر بن ذي الجوشن بخطاب تصعيد عسكري بأن يستسلم الحسين لابن زياد كما زعم أو يعاجلهم بالحملة العسكرية، وأنه إذا قتله فليوطئ الخيل صدره! تحت تهديد أن عمرَ بن سعد إن لم ينفذ ذلك فورًا فهو معزول بشمر بن ذي الجوشن. وعندها تحرك الجيش ليرسل الإمام الحسين أخاه أبا الفضل ولينظر ماذا يريدون؟ ثم يخبرهم عن الحسين عليه السلام أن يمهلوهم سواد تلك الليلة، وفي تسجيل تلك الواقعة قال الطبري: «ثُمَّ إن عُمَر بن سَعْد نادى: يَا خيل اللَّه اركبي وأبشري فركب فِي

---

(١) المصدر السابق ٣٩١.

الناس، ثُمَّ زحف نحوهم بعد صلاة العصر، وحسين جالس أمام بيته محتبيًا بسيفه، إذ خفق برأسه عَلَى ركبتيه، وسمعت أخته زينب الصيحة فدنت من أخيها، فَقَالَتْ: يَا أخي، أما تسمع الأصوات قَدِ اقتربت! قَالَ: فرفع الْحُسَيْن رأسه فَقَالَ: إني رأيت رسول الله ﷺ فِي المنام فَقَالَ لي: إنك تروح إلينا، قَالَ:

فلطمت أخته وجهها وقالت: يَا ويلتا! فَقَالَ: ليس لك الويل يَا أخية، اسكني رحمك الرحمن! وَقَالَ العباس بن علي: يَا أخي، أتاك القوم! قَالَ: فنهض، ثُمَّ قَالَ: يَا عباس، اركب بنفسي أنت يَا أخي حَتَّى تلقاهم فتقول لَهُمْ: مَا لكم؟ وما بدا لكم؟ وتسألهم عما جَاءَ بهم؟ فأتاهم العباس، فاستقبلهم فِي نحو من عشرين فارسًا فيهم زهير بن القين وحبيب ابن مظاهر، فَقَالَ لَهُمُ العباس: مَا بدا لكم؟ وما تريدون؟ قَالُوا: جَاءَ أمر الأمير بأن نعرض عَلَيْكُمْ أن تنزلوا عَلَى حكمه أو ننازلكم، قَالَ: فلا تعجلوا حَتَّى أرجع إِلَى أبي عَبْد اللَّهِ فأعرض عَلَيْهِ مَا ذكرتم، قَالَ: فوقفوا ثُمَّ قَالُوا: القه فأعلمه ذَلِكَ، ثُمَّ القنا بِمَا يقول، قَالَ: فانصرف العباس راجعا يركض الى الحسين يخبره بالخبر»[١].

◁ 6/ تقدموا حتى أحتسبكم وأراكم قد نصحتم

ومن مواقف الصبر والاحتساب عند أبي الفضل العباس أنه قدم إخوته الأشقاء ليستشهدوا بين يدي سيد الشهداء الإمام

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٣١٥.

الحسين عليه السلام، فإنه لما تقدم الأنصار أولًا واستشهدوا دفاعًا عن سيدهم الحسين، ثم جاء دور بني هاشم، تقدم أبو الفضل لإخوته الثلاثة وقال لهم: تقدموا للقتال حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله(١).

ويعظم الأمر على النبلاء عندما يرون أعزاءهم يقتلون صبرًا أمام أعينهم، ولذلك أثر عن الإمام الحسين عليه السلام قوله عندما يرى الأصحاب قد صرعوا: عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي.

ومن العجيب ما نقله بعضهم في تحريف للكلام والموقف عن قمر بني هاشم وأنه قال لإخوته:

«قَالَ: وزعموا أن العباس بن علي قَالَ لإخوته من أمه: عَبْد الله، وجعفر وعثمان: يَا بني أمي، تقدموا حَتَّى أرثكم، فإنه لا ولد لكم، ففعلوا، فقتلوا»(٢).

فأول ما يوهي هذا الخبر: أنهم «زعموا» ولم يعلم من هم هؤلاء؟

---

(١) الإرشاد ٢/ ١٠٩، للشيخ المفيد؛ محمد بن النعمان:. وقد نقل الاصفهاني هنا موضوع الاحتساب دون الميراث: «قال العباس بن علي لأخيه من أبيه وأمه عبد الله بن علي: تقدم بين يدي حتى أراك وأحتسبك فإنه لا ولد لك فتقدم بين يديه ». مقاتل الطالبيين، أبي الفرج الأصفهاني، ص ٥٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٣٤٢، وقد ذكر ذلك أبو الفرج الاصفهاني ت ٣٦٥هـ (ولعله أخذه من الطبري ت ٣١٠هـ) من دون الحوار بين العباس وبينهم فقال في مقاتل الطالبيين ص ٨٩ في ذكر العباس «هو آخر من قتل من إخوته لأمه وأبيه، لأنه كان له عقب، ولم يكن لهم، فقدمهم بين يديه، فقتلوا جميعا، فحاز مواريثهم».

وكيف وصل إليهم هذا الحوار بين العباس وإخوته؟

وثاني ما فيه: أن هذا الموقف ليس موقف التفكير في ميراث أو دنيا! وما عسى أن يكون ذلك الميراث؟ وهل رأيت أحدا يقف كمواقف العباس في الإيثار والفداء ثم يفكر في حطام مال، لو كان، كيف يستطيع أن يتملكه وأن يرثه؟

وثالث ما فيه: ولعل الذي زوّر الخبر لم يعرفه كحكم شرعي، أن العباس في ذلك الوقت وهو أخوهم لم يكن ليرث شيئًا منهم مع وجود أمه وأمهم (أم البنين)(١) فإنها من الطبقة الأولى في الميراث، ومع وجود أحد من الطبقة الأولى لا تصل النوبة للإخوة وهم من الطبقة الثانية(٢).

---

(١) قد أشار المرحوم السيد المقرم في مقتل الحسين عليه السلام ٣٥٧، إلى تناقض أبي الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبيين حيث أثبت في موضع منه وجود أم البنين إلى ما بعد واقعة كربلاء، وفي موضع آخر قال إن العباس كان آخر من قتل من إخوته من أمه وأبيه فحاز مواريثهم، ورتب على ذلك أنه لو كانت أم البنين موجودة لما حاز مواريثهم فإنها الوارثة دونه! واستنتج من ذلك أنه يدل على عدم وجود أم البنين في ذلك الوقت. وإلا لما حاز مواريثهم.
أقول: قد ناقشنا السيد المقرم رحمه الله في كتابنا قضايا النهضة الحسينية في موضوع حياة وموت أم البنين قبل واقعة كربلاء، فليرجع إليه، ونقول هنا: إن أبا الفرج ومثله مصعب الزبيري الذي ذكر حيازة العباس مواريث إخوته إنما كانا يجريان على ما هو المعروف في مدرسة الخلفاء والتي لا ترى مشكلة في وراثة الإخوة مع وجود الأم بخلاف مذهب أهل البيت الذي يمنع توريث الإخوة مع وجود الأم.

(٢) منهاج الصالحين ٣/ ٣٣٠ - السيد السيستاني - «وللأم المنفردة تمام تركته أيضا، الثلث منها بالفرض والزائد عليه بالرد».

نعم في رأي مدرسة الخلفاء يرث الأخ حتى مع وجود الأم[١]. وهذا مما يشير إلى أن الذين «زعموا»[٢] كما أثبتهم الطبري هم متأثرون بتلك المدرسة وربما خلقوا هذا الخبر بناء على أحكامها!

ورابع ما فيه: أننا نستبعد أن يكون أبناء أم البنين الثلاثة، لم يكن لهم أولاد، فإن أكبرهم بعد العباس عليه السلام من أبناء الثلاثين وأصغرهم لا يقل عن عشرين سنة، ويبعد أن يتفق هؤلاء على عدم الزواج أو مع الزواج على عدم الانجاب أو أن يتفق ذلك فيهم جميعًا.

◁ 7/ لمن اللّوا أعطي؟

كان أبو الفضل العباس خاتمة الشهداء والأنصار مع الحسين، وبقي معه حتى لم يبق معه أحد، وكأنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يرى فيه أنه عماد العسكر، وأنه لو قتل فذلك إيذان بانتهاء المعسكر.

---

(١) (الفقه على المذاهب الخمسة، ٢/ ٥٢٣ محمد جواد مغنية، وقال الأربعة: ان الأم تحجب الجدات من جميع الجهات (المغني ج ٦ ص ٢٠٦) ولا تحجب الأجداد ولا الأخوة والأخوات، ولا العمومة لأبوين أو لأب، فإن هؤلاء يشتركون معها في أصل الميراث.

وقال الإمامية: الأم كالأب تمنع الأجداد والجدات، والأخوة والأخوات من جميع الجهات.

(٢) على أن عددا من المؤرخين لم يأتوا على ذكر الميراث وأنه لا ولد لكم فهذا الدينوري (ت ٢٨٢هـ) في الأخبار الطوال ص٢٥٧ يقول: «ولما رأى ذلك العباس بن علي قال لإخوته عبد الله، وجعفر، وعثمان، بني علي، عليه وعليهم السلام، وأمهم جميعا أم البنين العامرية: تقدموا، بنفسي أنتم، فحاموا عن سيدكم حتى تموتوا دونه».

حتى إذا تفانى الأصحاب والأقارب، ولم يبق من المقاتلين غير العباس جاء مستأذنًا أخاه للقتال وسنستعين بما كتبه العلامة المقرم رحمه الله مع شيء من الاختصار، وسنترك ذكر المصادر كما ذكرها قال «فلم تسمح نفس أبيّ الضيم» القدسية بمفارقته فقال له: يا أخي «أنت صاحب لوائي».

قال العباس: قد ضاق صدري من هؤلاء المنافقين وأريد أن آخذ ثأري منهم، فأمره الحسين عليه السلام أن يطلب الماء للأطفال، فذهب العباس إلى القوم ووعظهم وحذرهم غضب الجبار فلم ينفع! فنادى بصوت عال: يا عمر بن سعد، هذا الحسين ابن بنت رسول الله قد قتلتم أصحابه وأهل بيته وهؤلاء عياله وأولاده عطاشى، فاسقوهم من الماء قد أحرق الظمأ قلوبهم. ولكن الشمر صاح بأعلى صوته: يا ابن أبي تراب لو كان وجه الأرض كله ماء وهو تحت أيدينا لما سقيناكم منه قطرة إلا أن تدخلوا في بيعة يزيد.

فرجع إلى أخيه يخبره فسمع الأطفال يتصارخون من العطش فلم تتطامن نفسه على هذا الحال وثارت به الحمية الهاشمية. ثم إنه ركب جواده وأخذ القربة فأحاط به أربعة آلاف ورموه بالنبال... فلم تثبت له الرجال، ونزل إلى الفرات مطمئنا غير مبال بذلك الجمع. ولما اغترف من الماء ليشرب تذكر عطش الحسين ومن معه فرمى الماء وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني   وبعـــده لا كنـــت أن تكوني

هـــذا الحســـين وارد المنون ... وتشربـــين بـــارد المعـــين

تالله مـــا هـــذا فعـــال ديني

ثم ملأ القربة وركب جواده وتوجه نحو المخيم فقطع عليه الطريق وجعل يضرب حتى أكثر القتل فيهم وكشفهم عن الطريق وهو يقول:

لا أرهب الموت إذا الموت زقا ... حتى أوارى في المصاليت لقى

نفسي لسبط المصطفى الطهر وِقا ... إني أنا العباس أغدو بالســقا

ولا أخـــاف الشر يـــوم الملتقى

فكمن له زيد بن الرقاد الجهني من وراء نخلة وعاونه حكيم بن الطفيل السنبسي فضربه على يمينه فبراها فقال عليه السلام:

والله إن قطعتـــم يميني ... إني أحامي أبدا عن ديني

وعن إمام صادق اليقين ... نجل النبي الطاهر الأمين

فلم يعبأ بيمينه بعد أن كان همه إيصال الماء إلى أطفال الحسين وعياله، ولكن حكيم بن الطفيل كمن له من وراء نخلة فلما مر به ضربه على شماله فقطعها وتكاثروا عليه! وأتته السهام كالمطر فأصاب القربة سهم وأريق ماؤها وسهم أصاب صدره وضربه رجل بالعمود على رأسه ففلق هامته!

وسقط على الأرض ينادي: عليك مني السلام أبا عبد الله فأتاه الحسين عليه السلام وهو يقول: الآن انكسر ظهري وقلّتْ حيلتي»(١).

(١) مقتل الحسين عليه السلام، ص ٢٨٢، عبد الرزاق المقرم.

أبناء الإمام الحسن في كربلاء

لأبناء الإمام الحسن بن علي عليه السلام مشاركة مهمة في واقعة كربلاء، فمنهم ثلاثة استشهدوا وتم ذكرهم في زيارة الناحية المقدسة، والرابع وهو أكبرهم الحسن بن الحسن، المعروف بالمثنى، شارك مشاركة مهمة، وجرح لكن شاء الله أن يبقى على قيد الحياة والكثير من نسل الإمام الحسن كان منه، ولكنه لم يذكر في الزيارة تلك حيث أنها كانت تستهدف ذكر الشهداء في يوم عاشوراء وذكر قتلتهم، وشيء من كيفية مصارعهم. فلنبدأ بالحديث عنه:

1/ الحسن بن الحسن السبط جريح كربلاء، ت سنة 97هـ

يعرف (بالمثنى) وأُمُّه خولةُ بنت منظور الفزارية، يحتمل أن تكون ولادته في نحو سنة ٣٨هـ وذلك لأن الحسن المجتبى عليه السلام قد تزوج أمه، بعد حرب الجمل سنة ٣٦هـ، وقد حضر إلى كربلاء وعمره نحو ٢٢ سنة، وقاتل بين يدي عمه الحسين قتالا شديدا، وقُطِعَت يدُه وأُصيب بثماني عشرة جراحة بليغة[1]، وأُغْمِيَ عليه

(١) يُنظر: اللهوف في قتلى الطفوف، للسيد ابن طاووس، ص ٨٦.

في أثناء المعركة، وبعدما أفاق وكانت المعركة قد انتهت، والإمام الحسين قد اسْتُشْهِد، ظَنُّوا أنَّ (الحسن المثنَّى) قد قضى شهيداً، ثمَّ تبيَّن أَنَّه لايزال به رمقٌ من الحياة، هنا قال الرّواة إنَّ أسماء بن خارجة الفُزاريّ[١] وكان في المعسكر الأمويّ، وكان يمتُّ إلى الحسن المثنَّى بصلة النَّسب من جهة أمه، طلب من قادة العسكر أن يتركوه وقال لهم أنا أعرضه على ابن زياد فإن قبل شفاعتي فيه، وإلَّا رأى فيه أمره، وقد قبلوا منه ذلك، وقد قام بعلاجه ودَاوَاه إلى أن وصلوا إلى الكوفة فتشفَّع فيه عند ابن زياد فقبل فيه شفاعته[٢].

وقيل إنه بعد ثلاثة أشهر من واقعة كربلاء قد دخل بزوجته فاطمة بنت الحسين وكان قد خطبها أو عقد عليها قبل ذلك،

---

(١) أسماء بن خارجة الفزاري يُحسب من كبار الأشراف في الكوفة المؤيّدين للسُّلطة الأُمويَّة، وقد زوج بنته هند لابن زياد! وكان له دورٌ سيّء في القبض على هانئ بن عروة المراديّ، فقد استدرجه للمجيء إلى ابن زياد حتى قتله. وبعضهم يرى أنه خُدع من قبل ابن زياد حتى جاء بهانئ.
وعلى كلّ حال فإنَّ وقوفه مع ابن زياد لا يغتفر له، كذلك تحوّله عن نصرة مسلم وأهل البيت، وأيضًا مجيئه إلى كربلاء في صفّ جيش عمر بن سعد، فلأجل هذه المواقف الّتي وقفها في الكوفة جعلت ابن زياد يقبل شفاعته في قريبه (الحسن المثنَّى) وابن ابنتهم خولة بنت منظور الفُزاريّة وهي والدة الحسن المثنى.

(٢) قال السّيّد ابن طاووس في اللهوف ص ٨٦: أنَّ الحسن المثنى قاتل بين يدي عمّه الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وقَتَلَ سبعةَ عشرَ نفسًا وأصابه ثمانية عشر جراحة، وأثخن بالجرح، فقال خاله أسماء بن خارجة: دعوه لي، فإن وهبه الأمير عبيد الله بن زياد لي، وإلا رأى رأيه فيه، فتركوه له، فحمله إلى الكوفة، وحكوا ذلك لابن زياد، فقال: دعوا لأبي حسان ابن أخته.

فأنجب منها؛ الحسن (المثلث)، وعبد الله (والد النفس الزكية وإبراهيم) وغيرهما، وقد ذكرنا في كتابنا «سيد العابدين «أن عبد الملك بن مروان أمر بجلده أمام الناس، فعلمه الإمام السجاد دعاء الفرج «يا بن عمّ ادع الله بدعاء الكرب، يفرّج عنك، فقال: ما هو يا بن العمّ؟ فقال: قل «لا اله الا الله العلي العظيم، سبحان الله ربّ السماوات السبع وربّ العرش العظيم، والحمد للهّ رب العالمين» وفعلا فرج الله به عنه، وكان آخر أمره أن دس إليه الوليد بن عبد الملك من جعل له سمًّا فمات منه.

2/ أبو بكر بن الحسن شهيد كربلاء

أبو بكر بن الإمام الحسن عليه السلام ورد ذكره في زيارة النَّاحية بهذا النَّص المختصر: «السَّلام عَلَى أبي بكر بنِ الحَسَن الوَلِيّ، المرْمِيّ بالسَّهْمِ الرَّدِي، لَعَنَ اللهُ قَاتِلَه عبد الله بنِ عُقْبَة الغَنَوي»، والسَّلام بهذا الشكل على أبي بكر إشارة إلى أنَّ مقتله كان بسهم وليس مبارزة، والرَّمي بالسَّهم لا يدلُّ على شجاعة، وإنَّما الشَّجاعة هي في المبارزة وجهًا لوجه، وهذا ما حَدَث في كربلاء أنَّ قسماً من السِّهام كانت تُرْمَى إلى مسافة بعيدة والرَّامي بالسِّهام بهذا الشَّكل وحتَّى على بعد عشرين مترا لا يحتاج إلى بسالة، وقاتِلُ أبي بكر بن الحسن -وهو الغَنَويّ- كان قد رماه بسهم أشارت إليه جملة الزّيارة (المرْمِيّ بالسَّهْمِ الرَّدِي).

يأتي ذكره عندما يتحدث المؤرخون عن زواج السيدة سكينة بنت الحسين، فبناء على القول باتحاد عبد الله بن الحسن وأبي بكر بن

الحسن (وأنهما شخصية واحد) والتعدد هو في الإشارة إليه فتارة يذكر بالاسم عبد الله وأنه الأكبر، وأخرى بالكنية (أبي بكر) فإنه يذكر عند الحديث عن زواج عبد الله بسكينة.

ولأن الموضوع يرتبط بها عليها السلام فسنرجئ الحديث إلى عنوان السيدة سكينة في قسم النساء من هذا الكتاب.

فأبو بكر بن الحسن هو أوَّل شخصية من الشَّخصيّات الحسنيَّة الَّتي ورد ذكرها في زيارة النَّاحية الخاصَّة بأسماء الشُّهداء.

ولم نجد معلومات مهمة عن هذا الشهيد الحسني غير اسمه واسم والدته وهو مختلف فيه أيضا، لكن كل ذلك ليس بذي أهمية بعدما توج بتاج الشهادة بين يدي الحسين عليه السلام.

وقد يكون إذا تحقق أن أبا بكر هو نفسه عبد الله الأكبر بن الحسن هو الذي نقل عنه البخاري حديثا في كتابه التاريخ الكبير: «عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحَسَنِ(١) بنِ عليٍّ، عن أبيهِ، عن جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «المَغْبُونُ لا مَحْمُودٌ، وَلا مَأْجُورٌ»(٢).

3/ عبد الله بن الحسن الشهيد في حجر عمه

وأحد الشُّهداء الَّذين شاركوا في معركة كربلاء واستشهد

(١) هذا إذا لم يكن هناك سقط في كلمة الحسن، بحيث يتفق هذا مع عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي (والد النفس الزكية وإبراهيم). فإنه كان يتصدى لنقل الحديث ونشر العلم.

(٢) التاريخ الكبير للبخاري ٨/ ٢٩٢.

فيها كان عبد الله بن الحسن، ومع أنه كَانَ للإمام الحسن أكثرُ من وَلَدٍ أَسْماهَم بعبد الله، إلا أن مقتضى التسليم في هذه الزيارة والتي يفترض صدورها عن المعصوم على شخصين؛ أبي بكر، وعبد الله هو أن هناك شخصين قد استشهدا، كما أن تعدد القاتل وطريقة القتل، يفيد ذلك المعنى، فأما الأول فقاتله هو الغنوي، والثاني قتله حرملة بن كاهل، وطريقة القتل في الأول كانت في أثناء القتال والاشتباك، بينما كان الثاني مع اقتراب نهايتها بوقوع الإمام الحسين عليه السلام على التراب، وكون عبد الله بن الحسن هذا في حجره وأنه كان صغير السن ابن عشر سنوات أو إحدى عشرة سنة.

وقد ورد السَّلام عليه في زيارة النَّاحية بعد التسليم على أخيه القاسم، ثم بالدعاء لهما: «السَّلامُ عَلَى القَاسِم بنِ الحَسَن بنِ عليّ المضْرُوبِ هَامَتُه، المسْلُوبِ لامَتُه»، ثمَّ تستمر الزّيارة بالقول: «جَعَلَني اللهُ مَعَكُمَا وبَوَّأني مُبَوَّأكُمَا، ولَعَنَ اللهُ قَاتِلَك عَمْرَو بنَ سَعْد بنِ نُفَيْل الأَزْدِي وَأَصْلاهُ جَحِيمًا وعَذَّبَه عَذَابًا أَليمًا»(١) و نجد التركيز في النص القادم على أنَّ حرملة هو راميه وليس فقط قاتله، فلو قال (قاتله) فقط لربما كان ذلك بالسَّيف مثلاً، ولكنَّه عندما أردف بكلمة (راميه) فإنَّه يتبيَّن أنَّ طريقة القتل كانت عبر السِّهام، ومثل حرملة، وهاني بن ثبيت الحضرمي، وعبد الله بن عقبة الغنوي، كانوا في الغالب يرمون بالسّهام، ونلاحظ أنَّ كثيراً من الَّذين قُتِلوا من الطَّالبيّين تمَّ قَتْلُهم رَمْيًا بالسّهام، وهذا يشير إلى أنَّ أعداءَهم لم

---

(١) المزار لابن المشهدي ص ٤٩٠.

يكونوا يتجرّؤون على مبارزتهم وجهاً لوجه بالسّيف.

وبحسب ما ورد في كتب المقاتل فإنه لمَّا صُرِع الإمام الحسين عليه السلام، وَوَقَعَ عن ظهر فرسه إلى الأرض، بقي على التَّراب، فانحدر عبد الله بن الحسن وهو صغير السِّن وخرج من الخيمة متوجّهاً إلى عمّه الإمام الحسين عليه السلام؛ لرؤيته الأعداءَ يحاولون الإجهاز على الإمام فجاء عبد الله ذلك الغلام الحسنيُّ ووقف في وجوههم، فلمَّا أهوى كعب بن بحر بالسَّيف لكي يضرب الحسين عليه السلام رفع عبد الله يده كي يصدَّ الضَّربة عن عمّه، فأصابت ضربةُ السَّيف يدَ عبد الله فأطنَّها[١]، وإذا هي معلَّقة بالجلد، فقال لعمّه: يا عم لقد قطعوا يدي، فضمَّه الحسين عليه السلام إلى صدره، وقال: صبراً يا بني أخي، ويا بني عمومتي لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم، وفي حاله هذا وهو عند عمّه الحسين ويده معلّقة رماه حرملةُ بسهم وهو في حِجْر عمّه فقتله[٢]، وله يشير لفظ الزيارة: «لَعَنَ اللهُ قَاتِلَهُ ورَامِيَه حَرْمَلَةَ بن كَاهِلِ الأسديّ».

4/ القاسم بن الحسن

جاء ذكره وذكر قاتله وشيئا من مصرعه في زيارة النَّاحية المقدَّسة هكذا: «السَّلامُ عَلَى القَاسِم بنِ الحَسَن بن عليّ المَضْرُوبِ هَامَتُه، المسْلُوبِ لامَتُه، حِيْنَ نَادَى الحُسَيْن عمَّه فجلَّى عمّه كالصّقر وهو يَفْحَصُ برجليه التُّراب، والحسينُ يقولُ بُعْدًا لقومٍ قتَلُوكَ،

(١) أطنَّها: أي قطعها حتَّى سُمِعَ لها طَنِينٌ وهو الصَّوت.

(٢) اللّهوف، السيد ابن طاووس ص٧٢.

ومَنْ خَصْمُهُم يَوْمَ القِيَامَةِ جَدُّك وأبوك، ثمَّ قَالَ عَزَّ عَلَى عَمِّكَ أَنْ تَدْعُوَهُ فلا يُجيبُكَ أو يُجيبُك وأَنْتَ قتيلٌ جديلٌ فلا يَنفعُكَ، هذا يَوْمٌ واللهِ كَثُرَ وَاتِرُه، وَقَلَّ نَاصِرُه»[1]، ثمَّ يقول الإمام[2] في الزّيارة: «جَعَلَني اللهُ مَعَكُما وبَوَّأني مُبَوَّأكُما، ولَعَنَ اللهُ قَاتِلَك عَمْرَو بنَ سَعْد بنِ نُفَيْل الأَزْدِي وَأَصْلاهُ جَحِيمًا وعَذَّبَه عَذَابًا أَليمًا».

وسنلاحظ هذا أولًا: أن ذكر القاسم وطريقة مصرعه والعبارات الموجودة في السلام كثيرة بالقياس إلى سائر الشخصيات فهي هنا تزيد على ستة أسطر من حيث العدد، وفي وصف المصرع وكلمات الإمام الحسين عليه السلام في حق القاسم. وأهم ما في هذا النص هو الدعاء: «جعلني الله معكما وبوأني مبوأكما» خصوصا إذا لم نقل أن هذا الدعاء كان تعليمًا للزائرين! فإن مرتبة الإمام عليه السلام لا تصل

---

(١) ونفس هذا النص تقريبا نجده في تجارب الأمم وتعاقب الهمم لابن مسكويه الرازي ٢/ ٧٨. قال: ثمّ رأينا غلاما كأنّ وجهه شقّة قمر، في يده سيف، وعليه قميص ونعلان، وقد انقطع شسع أحدهما. فحمل عليه رجل، فضربه بالسيف على رأسه، فوقع الغلام لوجهه، وصاح: «يا عمّاه!» فجلّى الحسين كما يجلّى الصقر، ثمّ شدّ على الرجل بسيفه، فاتّقاه فضرب ساعده، فأطنّها من المرفق وتنحّى عن الغلام، وانجلت الغبرة، فرأيت الحسين قائما على رأس الغلام، والغلام يفحص برجله الأرض، والحسين يقول: «بعدا لقوم قتلوك، ومن خصمهم جدّك.».

(٢) سبق أن أشرنا إلى أن لفظ الناحية قد يطلق وهو الأكثر على الإمام المهدي عجل الله فرجه، وقد يطلق على والده الإمام الحسن العسكري، وكذلك على جده الإمام الهادي، وذكرنا ما الذي يستدل به أصحاب كل رأي على مختارهم في من هو المقصود بلفظ الناحية هنا من المعصومين عليهم السلام. .

إليها مرتبة أخرى ولو كان مثل القاسم شهيد كربلاء. وعلى كل تقدير فقد جعل الإمام عليه السلام مرتبتهما (القاسم والإمام الحسين) مرتبة واحدة ومبوأهما متفقًا وهو عجيب!

كما سنلاحظ ثانيًا: أن موقع الشهيد القاسم بن الحسن في الذاكرة الشعبية عند الشيعة عموما من عرب وغير عرب، موقع متميز مع أنه ليس الأكبر من إخوانه عمومًا، بل ولا هو الأكبر في الشهداء، فإن أبا بكر هو أكبر منه سنًّا كما نص عليه المؤرخون فإنهم يذكرون أن القاسم عندما برز للقوم لم يكن قد بلغ الحلم.

ومن أنحاء الحضور في الذاكرة الشعبية الشيعية أنه في الغالب يخصص له يوم من أيام العشرة الأولى من شهر محرم، وفي بعض الأماكن يصور له ما يشبه بيئة الزفاف، ويتحسر فيها على هذا الشاب الذي استشهد من غير أن تفرح أمه بزواجه!

ونلاحظ ثالثًا: أن قاتل القاسم بن الحسن هو عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي وهو في جيش الأمويّين، بينما أخوه عبد الله بن سَعْد بنِ نُفَيْل الأَزْدِي هو أحدُ قادة التَّوابين الَّذين ثاروا على الأُمويّين طلبًا بثأر الحسين عليه السلام كسليمان بن صُرَد الخزاعيّ، ومسيَّب بن نُجبة وغيرهم.

وهناك حالات أخر مشابهة لهذه الحالة، كما سيأتي من أنَّ مرَّة بن مُنْقِذ العَبْدِي قاتِل علي الأكبر عليه السلام كان في جيش الأمويّين، بينما أخته مَاريا بنت مُنْقِذ العَبْدِي كانت تجمع الشّيعة في بيتها في البصرة لتعبئة المجاهدين والمقاتلين إلى كربلاء!

وبينما يكون هانِئ بن عروة المِذْحَجيّ المراديّ ناصر مسلم بن عقيل، فإن من القبيلة ذاتها (مذحج) شريحًا القاضي الَّذي غَشَّ أبناء قبيلة مِذْحَج وخدعهم حين أحاطوا بقصر ابن زياد ليعرفوا مصير زعيمهم هانئ، فخرج لهم شريح وأخبرهم كذبًا بأنَّ هانئًا لا بأس عليه، وأنه رآه منذ ساعة! فانصرفوا.

هذه الأمثلة وسواها تفيدنا بأن المجتمع الكوفي كان مجتمعاً خليطاً من العقائد والاتجاهات والولاءات، بل في الأسرة الواحدة تجد اتجاهات مختلفة إلى حد التباين في الخط الحياتي والديني والتعادي وقد يكون في البيت الواحد عدَّة اتجاهات؛ أُمويّ، وعلوي، وخارجيّ!

ولذا ليس من الصحيح أن يقال إن المجتمع الكوفي شيعي أو أنه خارجي أو أموي، بل حتى يصعب في الغالب أن يقال ذلك حتى في الأسرة الواحدة.

ولعل هذا هو الذي وقع فيه بعض المؤلفين عندما قالوا مثلاً: إنَّ شيعة الكوفة قتلوا الحسين أو أنهم دَعَوه ثمَّ خذلوه! فمَن وما المقصود بالشّيعة؟

4/ عمرو بن الحسن السبط

ومن أبناء الإمام الحسين الذين كانوا في كربلاء، وبحسب ما تم وصفه فقد كان غلاما صغيرا ولم يذكر أنه شارك في القتال، ولصغر سنه فلم يقتل، وإنما حُمِل إلى دمشق مع السبايا، وينقل عنه

موقف مع يزيد في الشام حيث «دعا عمرو بن الحسن بن علي وهو غلام صغير، فقال لعمرو بن الحسن: أتقاتل هذا الفتى يعنى خالدًا ابنه قال لا ولكن أعطني سكّينًا وأعطه سكينًا ثم أقاتله فقال له يزيد وأخذه فضمه إليه ثم قال: شنشنة أعرفها من أخزم! هل تلد الحية إلا حية؟[١]

ووصف في مصادر مدرسة الخلفاء بأنه كان عابدًا ناسِكًا، وابنه محمد بن عمرو يعد من التابعين وقد وثق عند الرجاليين، وروى عن جابر بن عبد الله أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ابن عساكر «حدّث عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله وعمة أبيه زينب بنت علي روى عنه سعد بن إبراهيم الزهري ومحمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصاري وعبد الله بن ميمون وأبو الجحاف داود بن أبي عوف»[٢].

فهؤلاء من أبناء الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ممن ذكر المؤرخون أنهم كانوا في كربلاء وشاركوا فيها بنحو من الأنحاء بالقتال أو في مجموعة السبي، وبعضهم استشهد فيها.

ويثير البعض سؤالا في أنه لماذا لم يكن حضور الحسنيين أكثر من هذا العدد؟ لا سيما وأن عددهم الكلي بلغ في رأي بعض المؤرخين والنسابة خمسة عشر ذكَرًا.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٣٥٣..

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر ٥٥/ ١٥..

ونحتمل أن ذلك راجع في قسم منه إلى أن خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة، لم تسبقه دعوة منه إلى خروج جميع الهاشميين معه، وهو ليس كما حصل في مكة حيث أعلن دعوته لعموم من سمعها «ألا ومن كان باذلا فينا مهجته وموطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل»[١]. وقد يضاف إلى ذلك أن بعض أبناء الإمام الحسن قد أصبحوا في بيئة أخرى غير البيئة الهاشمية على أثر تزوج أمهاتهم (زوجات الإمام) بأشخاص آخرين! فإن مرور عشر سنوات على شهادة الإمام الحسن عليه السلام، كانت كفيلة بأن تتزوج من كانت من نسائه كما أثبت ذلك المؤرخون، ومع تلك الزيجات كان الأبناء بطبيعة الحال مع أمهاتهم، يعيشون بيئة أخرى.

أما الذين بقوا في نفس البيئة الهاشمية، كما نقل عن أم إسحاق بنت طلحة حيث تزوجها الإمام الحسين عليه السلام، وهكذا أم القاسم بن الحسن وعبد الله وأبي بكر الشهيدين وهي أم ولد تعرف برملة، وقد سماها سبط بن الجوزي بُقيلة[٢] فإن هؤلاء كما يظهر بقوا ضمن هذه البيئة فكان من الطبيعي أن يخرجوا مع الإمام عليه السلام، بل قيل في خصوص القاسم أنه كان لصيقا بعمه الحسين عليهما السلام.

بالطبع هذا ليس شيئا نهائيا ولا معادلة رياضية لا تتخلف وإنما هو بالإضافة إلى أمور أخر، عوامل مساعدة.

---

(١) نثر الدر في المحاضرات، منصور بن الحسين الآبي ج ١/ ٢٢٨.

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي ٧/ ١٣٥.

◄ أحفاد الإمام الحسن في وجه الطّغيان

وقبل أن نختم الحديث عن أبناء الإمام الحسن أحببت أن ألفت ولو على سبيل الإشارة إلى فكرة هي أن الكثير من أحفاد الإمام الحسن الزكي عليه السلام كانوا خط المعارضة للطغيان وخصوصا العباسي، فقد سلكوا فيما بعد طريق الثَّورة المسلَّحة كثورة محمّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن المعروف (بالنَّفس الزكية)، وأخيه إبراهيم، وثالثهما إدريس بن عبد الله، وفيما بعد شهيد فخ الحسين بن عليّ بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، حيث يقول فيه الإمام الجواد عليه السلام: «لم يكن لنا بعد الطَّف مَصْرعٌ أعظمُ مِنْ فخ»[1].

---

(١) عمدة الطالب، لابن عنبة، ص١٨٣. ولتفصيل هذا المعنى يمكن للقارئ العزيز أن يقرأ الفصل الخاص بحركة الأسرة الحسنية في كتابنا (سيد الجنة: الإمام الحسن بن علي عليه السلام).

أبناء الإمام الحسين في كربلاء

يلاحظ الباحثون في سيرة المعصومين عليهم السلام قلة عدد أولاد الإمام الحسين عليه السلام ذكوراً وإناثاً بالقِيَاسِ إلى سائر المعصومين فمثلا ذُكر أن أولاد أمير المؤمنين عليه السلام يصلون إلى ستَّة وعشرين ما بين ذكر وأنثى، وأولاد الإمام الحسن المجتبى قال البعض إنَّهم وصلوا إلى قريب العشرين ما بين ذكرٍ وأنثى، بل حتَّى بالنّسبة إلى أبنائه كزين العابدين والإمام الباقر عليهما السلام.

وأكثر ما ذكر من ولد للإمام عليه السلام هو ما نقل عن ابن الخشاب من أنهم ستة بنين وثلاث بنات[1]. وأما أكثر المؤرخين وكُتّاب السيرة والنسب فقد اقتصروا على ذكر خمسة من الذكور وثلاث من الإناث.

---

(١) نقله عنه السيد محمد رضا الحسيني محقق كتاب تاريخ أهل البيت عليهم السلام، رواية كبار المحدثين والمؤرخين، ص ١٠٢ في الحاشية. وعن إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، الشيخ محمد السماوي، ص ٥٠ قال: ويلقب بالأكبر لأنه الأكبر على أصح الروايات، أو لأن للحسين عليه السلام أولادا ستة ثلاثة أسماؤهم علي، وثلاثة أسماؤهم عبد الله وجعفر ومحمد، كما ذكره أهل النسب فهو أكبر من علي الثالث على رواية. .

والَّذين كانوا معه في كربلاء هم الثّلاثة: (عليّ الشَّهيد وعليّ السَّجاد وعبد الله الرضيع)، وهناك مَنْ ذَكَر عليًّا الأصغر، وأنَّ عمره ستَّة أشهر، وأنَّ طريقة قتله تُشابه طريقة قتل عبد الله الرّضيع حيث رُمِيَ بسهم فذبحه ولم يأت به الإمام إلى المعركة، وإنَّما قُتِلَ بين يدي أبيه الحسين وهو في المخيّم(١).

فالَّذين قُتلوا من الرّضع في رأي هؤلاء اثنان، لكن المذكور في زيارة الناحية هو عبد الله الرَّضيع وأما الثَّاني والَّذي يُسَمَّى بعليّ الأصغر فيبقى في دائرة الاحتمال، وتختلف كلمة المؤرخين حوله.

◄ عليّ بن الحسين الأكبر

هو أكبر أبناء الإمام الحسين عليه السلام، وقد روي عنه أنَّه قَالَ عندما خَرج عليّ الأكبر لقتال القوم: «اللَّهمَّ اشْهَدْ عَلَى هَؤلاءِ القَوْمِ، فَقَدْ بَرَزَ إِلَيْهِم غُلَامٌ أَشْبَهُ النَّاس خَلْقًا وخُلُقًا ومَنْطِقًا برسولك محمَّد، وكنَّا إذا اشْتِقْنَا إلى نبيِّكَ نَظَرْنَا إلى وَجْهِهِ، اللَّهمَّ امْنَعْهُم بَرَكَاتِ

(١) ذكر ابنُ شهر آشوب أنَّ الرضيع المقتول على يد أبيه يوم العاشر اسمه عليٌّ الأصغر، وذكر ذلك أيضاً ابنُ أعثم الكوفي حيث قال: «فبقيَ الحسين فريداً وحيداً وليس معه ثانٍ إلاّ ابنه عليٌّ رضي الله عنه. وله ابن آخر يُقال له عليٌّ في الرّضاع فتقدّم إلى باب الخيمة فقال: ناولوني ذلك الطفل حتّى أودّعه، فناولوه الصّبيّ فجعل يُقبّله وهو يقول: يا بنيّ ويلٌ لهؤلاء القوم إذا كان غداً خصمهم جدّك محمّد. وإذا بسهم قد أقبل حتّى وقع في لبَّةِ الصبيّ قتله فنزل الحسين رضي الله عنه عن فرسه وحفرَ له بطرف السَّيف ورمَّله بدمه وصلَّى عليه ودفنه».
يُنظر: مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب، ج ٣ ص ٢٥٧/ الفتوح، لابن أعثم الكوفي، ج ٦ ص ١٥.

الأَرْض، وَفَرِّقْهُم تَفرِيْقًا، وَمَزِّقْهُم تَمْزِيْقًا، واجْعَلْهُم طَرَائِقَ قِدَدًا، ولا تُرْضِ الوُلاةَ عَنْهُم أَبَدًا»[١].

◄ هل عليُّ بنُ الحسين الشَّهيد هو الأكبر سِنًا من أولاد الحسين؟

وبالرغم من أنه يوجد كلام بين المؤرخين في أنَّ عليًّا بن الحسين شهيد كربلاء هو الأكبر سِنًّا من أولاد الحسين، أو أنَّ الأكبر هو الإمام عليّ زين العابدين؟

إلا أن ذلك لا يترتّب عليه أثر واضح، سوى في الجانب النظري، وذلك أن كون عليًّا السجاد عليه السلام هو الأصغر لا يعتبر مشكلة عقائدية فليس شرطًا عند الشيعة في الإمامة أن يكون الإمام هو أكبر الأولاد! بعدما كانت انتخابا الهيا، لا يتقيد بالضرورة بما هو عند البشر من مقاييس.

فقد يكون الأكبر هو الإمام كما كان في حالة الإمام الحسن بعد أبيه علي بن أبي طالب، وقد لا يكون كما كان في حالة الإمام موسى بن جعفر الذي لم يكن أكبر أبناء الإمام الصادق عليه السلام بل كان أكبر أبنائه هو عبد الله الأفطح ومع ذلك لم يكن إمامًا.

فيبقى البحث في دائرة البحث التاريخي المجرد. ولا يرتبط به جانب عقدي.

---

(١) الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي ٥/ ١١٤، ومقتل الحسين عليه السلام الموفق الخوارزمي، ٢/ ٣٤.

وقد بحثنا هذا الأمر في كتابنا عن الإمام السجاد عليه السلام[١] ونشير إليه هنا باختصار.

◀ قرائن ترجيح الأكبر سِنًّا من أولاد الحسين

وقد ذكرنا هناك أن مما يقيمه القائلون بأن عليًّا الشهيد هو الأصغر سنًّا وأن عليًّا الإمام هو الأكبر، هو ما نقل عن الإمام الحسين عليه السلام في شأن علي الشهيد، وهو قوله: «فَقَدْ بَرَزَ إِلَيْهِم غُلَامٌ أَشْبَهُ النَّاس خَلْقًا وخُلُقًا ومَنْطِقًا» أنَّ الإمام زين العابدين هو الأكبر سِنًّا، لأنَّ الغلام عادة تُطلق على مَنْ هو في سنّ العشرين وأقل أو قريبًا منها، فابن الخامسة والعشرين وابن الثلاثين لا يقال له: (غلام)، فيقتضي هذا أن يكون عليّ الشَّهيد في سنٍّ يتناسب مع هذه الكلمة (الغلام)،أي صغير السّن بخلاف الإمام زين العابدين عليه السلام الَّذي كانوا ينظرون إليه لا على أنَّه غلام بل أكبر من ذلك، ولذا لما رأوه في الخيمة بعد هجوم الخيل أرادوا قتله لأنَّهم رأوه كبيًرا ويفترض أن يُقتل الجميع باستثناء النّساء والأطفال.

هذه القرينة مما يقيمه القائلون بكون علي الشهيد هو الأصغر وكون الإمام هو الأكبر.

في المقابل يذكر القائلون بكون عليّ الشَّهيد هو الأكبر سنًّا قرائن، منها ما نقل عن الإمام زين العابدين عليه السلام عندما سأل عنه ابن زياد، حيث قال: مَنْ هذا؟ - مشيراً لزين العابدين- فقالوا: هذا عليُّ بن الحسين، قَالَ أَوَ لَيْس قد قتل اللهُ عليَّ بن الحسين؟

---

(١) يراجع كتابنا سيد العابدين الإمام علي بن الحسين من سلسلة النبي والعترة.

فأجابه الإمام: كان لي أخٌ أكبر سنّاً منّي قَتَله الناس[١]، فلو تمَّ هذا النَّص بأكمله مع فقرة (أكبر سِنًّا) قتله الناس، فهذا يكون تصريحاً بأنَّ عليًّا الشَّهيد هو الأكبر.

وقد ذكرنا في كتابنا سيد العابدين تفصيل البحث، ومما ذكرناه هناك، قول المحقق ابن ادريس: «الأولى الرجوع إلى أهل هذه الصناعة، وهم النسابون، وأصحاب السير والأخبار والتواريخ، مثل الزبير بن بكار، في كتاب أنساب قريش، وأبي الفرج الأصفهاني، في مقاتل الطالبين، والبلاذري، والمزني، صاحب كتاب لباب أخبار الخلفاء، والعمري النسابة حقق ذلك، في كتاب المجدي، فإنه قال: وزعم من لا بصيرة له، إن عليًّا الأصغر، هو المقتول بالطف، وهذا خطأ ووهمٌ»[٢] فهؤلاء قد ثبتوا في كتبهم أن عليا الشهيد هو الأكبر.

◄ هل كانت ليلى أمّ الأكبر موجودةً في كربلاء؟

هناك كلام عن ليلى[٣] أمّ علّي الأكبر هل كانت في كربلاء أم لا؟، ويوجد هنا رأيان:

---

(١) الطبقات الكبير لابن سعد البغدادي ٦/ ٤٤٥، وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين ص٨٠. وقوع الحادثة مع يزيد بن معاوية.

(٢) وبالرجوع لهذه الكتب وغيرها التي ذكرت معركة كربلاء فإن أغلب الذين تحدثوا عن قتال علي الشهيد وصفوه بالأكبر. وبعضهم نقل حادثة الحوار مع ابن زياد.

(٣) ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، وفي بعض المصادر ذكرت بعنوان آمنة، وفي بعضها الآخر على نحو الترديد ليلى أو آمنة، والصحيح المشهور هو أنها ليلى وأن الحسين عليه السلام تزوج بها في زمان الخليفة عثمان. .

الأوَّل: هو الّذي تبناه المرحوم المحدّث النّوري صاحب كتاب (مستدرك الوسائل) وتبعه تلميذه الشّيخ عبّاس القميّ صاحب (مفاتيح الجنان)(١)، وبالرغم من أنَّ مسلكه - أعني المحدّث النّوري- مسلك المحدّثين الذين عُرف عنهم تصحيح الأخبار، إلا أنَّه - رحمه الله - كان شديد القول على مَنْ يقول بوجود ليلى في كربلاء، وكان يصف ذلك بالكذب(٢).

الثَّاني: في مقابل السابق رأي الشَّيخ الدربندي(٣)، حيث ذكر

---

(١) حيث قال في كتابه (منتهى الآمال): «ويبقى هنا سؤال وهو هل كانت أمّه حاضرة في كربلاء أو لا؟، الظَّاهر عدم حضورها هناك، ولم أجد في الكتب المعتبرة شيئًا، وأمّا ما اشتهر من أنَّ الحسين عليه السلام جاء إلى أمّ عليّ الأكبر بعد ذهابه إلى الميدان وقال لها: قومي وادعي لولدك فإنّي سمعتُ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنَّ دعاء الأمّ مستجابٌ في حقّ ولدها؛ فإنَّه كذبٌ محض من أوّله إلى آخره كما قاله شيخنا»، وأراد بـ (شيخنا) الشّيخ النّوريّ، يُنظر: منتهى الآمال، للشّيخ القميّ، ج١ ص ٢٩٤، وقال أيضًا: «وأمَّا أمّه هل كانت في كربلاء؟، لم أظفر بشيء من ذلك، والله العالم»، يُنظر: نَفَس المهموم، للشّيخ القميّ، ص ٢٨٦.

(٢) حيث قال ما ترجمته: «ما يتناوله الخطباء بأنَّ الإمام حينما توجَّه عليّ الأكبر إلى ساحة القتال توجّه هو إلى أمّه ليلى وقال: قومي واذهبي إلى خلاء وادعي لولدك فإنّي سمعت من جدّي أنّه قال: دعاء الأم في حقّ ولدها يُستجاب إلى آخره كذبٌ»، يُنظر: لؤلؤ ومرجان، للشيخ النّوري ص٩٠، هو كتابٌ كُتِبَ باللُّغة الفارسيّة وتُرْجم للعربيَّة.

(٣) الفاضل الدربندي؛ آقا بن عابد (ت ١٢٨٦هـ) من تلامذة شريف العلماء المازندراني في كربلاء، له مؤلفات في الأصول والرجال وله رسالة عملية فقهية، إلا أن كتابه الأشهر هو اكسير العبادات في أسرار الشهادات، المشهور

في كتابه أسرار الشهادات أن عليًّا الأكبر عندما برز إليه بكر بن غانم، خافت عليه أمه ليلى فقال لها الحسين أن تدخل الخيمة وأن تدعو الله لعودته سالما ففعلت ذلك[١].

ومن العجيب أن من يفترض كونه سريع القبول بالروايات كالمحدث النوري الطبرسي، رفض وجود أم الأكبر في كربلاء واعتبر ما ينقل في ذلك من الكذب! ومن يفترض كونه أكثر نقدًا للأحاديث وتلميذ المدرسة الأصولية كالدربندي قد قبل ذلك واعتمد عليه!

فهل أن الشيخ الدربندي قد عمم قاعدة التسامح في أدلة السنن،[٢] لتتجاوز الموضوع الشرعي إلى الموضوع التاريخي، والعمل على رواياته ما لم يُعلم كذبُها، أو بنى على ما هو عند بعض الباحثين أنَّ ليلى أم علي الأكبر قد توفّيت سنة (٦٣) للهجرة، وأن الإمام عليه السلام كان قد تزوجها بحدود سنة (٢٣) للهجرة وأنجبت

باسم أسرار الشهادات، وقد عده بعض مترجميه متساهلا في الاعتماد على الروايات غير المعروفة في الكتب المعتبرة، مع إقرار الجميع بعلو شأن المؤلف وفضله العلمي. .

(١) إكسير العبادات في أسرار الشَّهادات، للشيخ الدربندي، ج٢ ص ٦٤١./ مكتبة الفقاهة.

(٢) الذريعة: آقا بزرگ الطهراني٢/ ٢٧٩ قال عنه: ومن شدة خلوصه وصفاء نفسه نقل في هذا الكتاب أمورًا لا نوجد في الكتب المعتبرة وإنما أخذها عن بعض المجاميع المجهولة اتكالًا على قاعدة التسامح في أدلة السنن مع أنه لا يصدق البلوغ عنه بمجرد الوجادة بخط مجهول. .

عليًّا الأكبر بعد زواجها بحدود السنة كما هو المفروض، وبالتالي فإن عمرها في زمان واقعة كربلاء لم يكن كبيرا إلى الدرجة التي يحتمل فيها أن تكون قد توفيت عندئذ، كما أنه لم يبلغنا خبرٌ عن وفاتها حينها، والحالة الطبيعيَّة عادةً للمرأة أو الرّجل في مثل هذه السّن هو أن يبقى على قيد الحياة إلا إذا عُرِفَ عنه المرض أو تعرض لحادث يوجب موته، فلو كانت قد تزوجها الإمام الحسين قبل ولادة علي الأكبر التي أرخت بسنة ٢٤هـ، وفرضنا أنها كانت بعمر خمس عشرة سنة، فيكون عمرها في الواقعة بحدود خمسين سنة، ومقتضى العرف والعادة أن تخرج مع زوجها وابنها في مثل هذا السّفر الطّويل.

بالطبع هذا لا يعني تبنينا للرأي الثاني بالضرورة، ولا قبولنا بما ورد في بعض الكتب عن المحامل التي خرجت من المدينة بالصورة التي نقلت وكأنها مواكب الملوك والسلاطين!

◄ هل كان عليُّ بنُ الحسين الأكبر متزوّجًا وله عَقِب؟

نعم يستفاد من قرائن مختلفة أن عليًّا الأكبر عليه السلام كان له أمُّ ولدٍ، أي جارية بملك اليمين، لكن ليس له عَقِبٌ باقٍ، وأصحاب هذا القول يستندون على:

١/ رواية معتبرة السند تُنقل عن الإمام الرّضا عليه السلام فيها أنَّ عليًّا زين العابدين عليه السلام قد خَلَفَ على أمّ وَلَدٍ كانت لعليّ بن الحسين الشهيد، وقد نقلها الكليني في الكافي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ

أَبِي نَصْرٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: «سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ يَتَزَوَّجُ الْمَرْأَةَ وَيَتَزَوَّجُ أُمَّ وَلَدِ أَبِيهَا فَقَالَ: لا بَأْسَ بِذَلِكَ، فَقُلْتُ لَهُ: بَلَغَنَا عَنْ أَبِيكَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليهما السلام تَزَوَّجَ ابْنَةَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام وَأُمَّ وَلَدِ الْحَسَنِ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلا مِنْ أَصْحَابِنَا سَأَلَنِي أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهَا، فَقَالَ: لَيْسَ هَكَذَا، إِنَّمَا تَزَوَّجَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام ابْنَةَ الْحَسَنِ وَأُمَّ وَلَدٍ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَقْتُولِ عِنْدَكُمْ»[١]، فالإمام زين العابدين تزوَّج أم ولد[٢] كانت جارية أخيه علّي الأكبر وكانت قد أنجبت منه، لأنَّه لتكون الجاريةُ أمَّ وَلَد لابد أن تكون قد أنجبت منه، وتزوّجها زينُ العابدين باعتبار أنَّها حرَّة.

٢/ ما قد يستفاد من سلام الإمام الصَّادق عليه وعلى عترته وأبنائه في الزّيارة بقوله: «صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ وَعَلَى عِتْرَتِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ وآبَائِكَ وأَبْنَائِك»[٣]، فإن هذه الجملة تفيد إلى أن له أبناء.

٣/ تكنيته بأبي الحسن حيث ورد في زيارته عليه السلام المروية عن أبي حمزة الثّمالي عن الإمام الصَّادق أنّه قال له: «ضَعْ خَدَّك عَلَى القَبْر، وَقُل: صَلَّى اللّهُ عَلَيْكَ يَا أبَا الحَسَن. ثلاثًا»[٤]، ولم يتيسر معرفة إن كان قد أنجب الحسن فعلا أو أنَّها مجرد كنية، باعتبار أنَّ التَّكنية

(١) الكافي، للشيخ الكليني، ج ٥ ص ٣٦٢.

(٢) معجم ألفاظ الفقه الجعفري، الدكتور أحمد فتح الله، ص ٦٨: (أم الولد) الأمة التي ولدت من سيدها في ملكه.

(٣) كامل الزيارات، لابن قولويه، ص٤١٦.

(٤) المصدر نفسه.

مستحبّة من الصّغر، فيُستحب إن كان لأحدٍ ولد أن يُكنيَه، فالحسين عليه السلام كان يُكَنَّى بـ (أبي عبد الله) منذ كان صغير السّن قبل أن يتزوّج وينجب.

وقد ذكر بعض المؤرخين أنه ليس له عقب[1]، وهذا يحتمل فيه أنه لم ينجب، ويحتمل أنه أنجب لكن لم يستمر نسله. في خبر آخر أنَّه أنجب بنتًا، ولكن مع كلّ هذا لم يبقَ له عَقِب، فيفترض أنَّ مَنْ أنجبهم قد تُوفُّوا وهم صغار، ويبدو أنَّ قضية الوفاة صغارًا في المجتمع العربيّ في ذلك الوقت كان شيئًا غير قليل، قد يرجع ذلك إلى البيئة الَّتي كان يعيشها النَّاس وما يرتبط بقضايا الصّحة وما شابه ذلك.

◄ صفاته

لم تسعفنا المصادر التاريخية بذكر تفاصيل حياته وسيرته، وحينئذ فسنحتاج إلى استنطاق بعض النصوص التي تعرضت لذكره، وأهمها بلا ريب النص المروي عن الإمام الحسين عليه السلام، والذي هو مع اختلاف عباراته تفصيلًا واختصارًا يتفق على صفات معينة كانت في علي الأكبر.

١/ أما النص فهو ما قاله الإمام عليه السلام عندما خَرج عليّ الأكبر لقتال أعدائه: «اللَّهمَّ اشْهَدْ عَلَى هَؤلاءِ القَوْمِ، فَقَدْ بَرَزَ إِلَيْهِم غُلَامٌ

---

(١) الطبقات الكبير لابن سعد ٧/ ٢٠٩: «وأمّا عليّ الأكبر بن حسين فقُتل مع أبيه بنهر كَرْبَلاء وليس له عقب».

أَشْبَهُ النَّاس خَلْقًا وخُلُقًا ومَنْطِقًا برسولك محمد، وكنَّا إذا اشْتِقْنَا إلى نبيِّكَ نَظَرْنَا إلى وَجْهِهِ، اللَّهم امْنَعْهُم بَرَكَاتِ الأَرْض، وَفَرِّقْهُم تَفْرِيْقًا، وَمَزِّقْهُم تَمْزِيْقًا، واجْعَلْهُم طَرَائِقَ قِدَدًا، ولا تُرْضِ الوُلاةَ عَنْهُم أَبَدًا»[١].

ويلفت النظر في هذا النص أن الحسين نفسه هو شبيه برسول الله، كما أخوه الحسن، وجعفر بن أبي طالب، وغيرهم ممن ذُكروا بالمشابهة للرسول، في جانب أو أكثر من جوانبه، لكن الإمام عليه السلام هنا، يستعمل صيغة التفضيل فيقول إن عليًّا ابنه (أشبه الناس) على الإطلاق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولكي يوضح النواحي المتعددة فإنه ذكر:

الناحية الأولى: الخَلْقية (خَلْقًا): أي أَنَّه الأكثر شبهًا برسول الله في الخِلقة والهيئة الشَّخصية، أي في الجمال والطول والعرض ولون الوجه وتقاطيعه، وبالتالي فيمكن لمن يريد أن يعرف وصفه، الرجوع إلى ما ذكره المؤرخون في وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لمعرفة علي الأكبر عليه السلام، فإنه أشبه الناس به.

والثَّانية: الخُلُقية (خُلُقًا): فإذا عرفنا أنَّ خُلُق النَّبيّ هو القرآن، ذلك الخُلُق الّذي امتدحه الله بقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾، وكان عليّ الأكبر أشبه النّاس برسول الله خُلُقًا، فإنّه يتبيّن المستوى الأخلاقيّ الّذي كان عند عليّ الأكبر عليه السلام.

(١) سبق ذكر مصادره.

والثَّالثة: (وَمَنْطِقاً): قد يكون بمعنى النُّطق اللّساني واللّفظي، إشارة إلى البلاغة والفصاحة بل والخطابة، وقد نُسب للنَّبيّ ﷺ أنَّه قال: «أنا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بالضَّاد بَيْدَ أنَّي من قريش»[1]، فأشبه النَّاس برسول الله في هذه الصِّفة - وهي صفة الفصاحة والبلاغة وجمال النّطق وسحر البيان- هو عليّ الأكبر بناءً على هذا النّص.

وبالرغم من أن كلمة «منطق» قد تشير إلى معنى طريقة التفكير: كيف تفكّر؟ وبأيّ نحو تحلّ المشاكل؟ وما هي القواعد المنطقيّة الّتي تستخدمها لترتيب حياتك وأمورك أو لغة التفكير كما يسمّونها في الاستخدامات الحديثة، إلا أننا نستبعد أن يكون هذا المعنى مرادا في النص، نظرا لعدم تعارف استعماله في تلك الأزمنة بهذا المعنى.

﴿وكنَّا إذا اشْتِقْنَا إلى رؤية نبيّكَ نَظَرْنَا إليه﴾، وهذا يبين جانبًا آخر من شبهه به، فإن الحسين عليه السلام هو أحد المُشَبَّهين برسول الله، وقد نُقِلَ شبهُهُ هذا في أكثر من موضع، حتَّى قيل أن بعض الأعداء، عندما جاءه عليه السلام لكي يجهز عليه ويَحتزُّ رأسه، قال: فنظرتُ إلى عينه، فظننتُها عينَ رسول الله، فقام وترك قتله.

مع ذلك فإنه يقول: أنا الحسين إذا اشتقتُ لرؤية رسول الله فإني أتملّى وأتأمّل في وجه عليّ الأكبر، وأتذكّر بهذا الوجه وبهذا الهيكل رسول الله ﷺ!

---

(١) نسب في الكثير من الكتب إلى رسول الله، إلا أن المحققين يرون أنه لم يأت بسند معتبر وإن كان المعنى صحيحا في نفسه.

٢/ والنص الثاني عبارة عن تسجيل وصفي له عليه السلام بواسطة أحد الشعراء المعاصرين له كما ذكر ذلك أبو الفرج الاصفهاني في المقاتل(١)، قال: حدثني أحمد بن سعيد، عن يحيى، عن عبيد الله بن حمزة، عن الحجاج بن المعتمر الهلالي، عن أبي عبيدة، وخلف الأحمر: أن هذه الأبيات قيلت(٢) في علي بن الحسين الأكبر:

لم تــر عــين نظــرت مثله　　　من محتف يمشي ومن ناعل

---

(١) «مقاتل الطالبيين» (ص٨٦)، وقد ذكر ابن فندق البيهقي ت ٥٦٥هـ أي بعد أبي الفرج بما يزيد عن مئتي سنة، في كتابه (لباب الأنساب) أنها قيلت في حق زين العابدين عليه السلام. وقد نقلها ابن ادريس الحلي في السرائر عن مقاتل الطالبين وأنها في شأن علي الأكبر، غير أن محقق الكتاب أشار إلى أنها للشاعر النجاشي الحارثي وأنها في رثاء الإمام الحسن، ومما جاء فيه.

جَعْدَةُ بكّيه وَلاَ تَسْـأمِي　　　بَعْدَ بُكَاءِ الْمُعْـوِلِ الثَّاكِلِ
كَانَ إذَا شُـبَّتْ لَـهُ نَـارُهُ　　　يَرْفَعُهَـا بِالسَّـيِّدِ الْقَاتِـلِ
كَيْـمَا يَرَاهَا بَائِـسٌ مُرْمِلٌ　　　أوْ فَرْدُ قَوْمٍ لَيْسَ بِالآهِلِ
يُغْلِي بَنِي اللَّحْمِ حَتَّى إذا　　　أنْضِـجَ لَمْ يُغْـلِ عَلى آكِلِ

وهنا بيتان يتفقان مع ما نقله أبو الفرج. إلا أن المشكلة أنهم اتفقوا على أن النجاشي الشاعر قد مات في سنة ٤٩هـ، فكيف يرثي الإمام الحسن الذي استشهد سنة ٥٠هـ، ويبدأ الشاعر بأمر جعدة أن تبكيه ولا تسأم والحال أنها هي التي سمته؟

(٢) ذكرت في محاضرة أنها لحسان بن ثابت، ولا أعلم على أي مصدر اعتمدت في وقت إلقائها، وقد يكون المذكور اشتباها!وعلى كل حال. من الناحية الزمنية فإن تاريخ وفاة حسان بن ثابت مختلف فيه بشكل كبير فبعضهم يؤرخه بسنة ٣٥هـ، بينما أرخ البعض الآخر وفاته بسنة ٥٦هـ! ومن الواضح أنه لو كان التاريخ الأول صحيحا فلا يمكن أن يكون هو منشئ القصيدة إذ يكون عمر علي الأكبر حينها نحو عشر سنوات ولا يتمشى هذا النمط من المدح له.

يغلي نئيّ اللحـــم حتّى إذا   أنضج لم يغـــل على الآكل
كان إذا شــبّت لــه نــاره   أوقدهـــا بالـــشّرف القابل
كيـــما يراها بائـــس مرمل   أو فرد حـــي ليس بالآهل
أعني ابن ليلى ذا السدى والندى
أعني ابن بنت الحسب الفاضل
لا يؤثر الدنيـــا على دينه   ولا يبيع الحـــق بالباطل

وبالتأمل في هذه الأبيات نلحظ من خلال قول الشاعر:

يَغْلِي نئي اللَّحْم حتَّى إِذَا   أُنْضِجَ لم يَغْلَ عَلَى الآكِلِ

أنَّه هو بنفسه كان يُباشر أمرَ العطاء للفقراء، هو بنفسه يُشارك في الإعداد، حتَّى إذا أنضج لم يغْلَ على الآكلين، أي: إذا صار هذا الطَّعام جاهزًا للأكل فإنَّه يُصبح مبذولا لكلّ أحد وفي ذلك إشارة إلى الكرم والسَّخاء.

لا يُؤْثِرُ الدُّنيَا عَلَى دِيْنِهِ   ولا يَبِيْعُ الحقَّ بالبَاطِلِ

أي: لديه مواقف مبدئيَّة، وهو بجانب الحق دائماً، ولا يهتم بالدَّنيا بمقدار ما يهتم بالدّين.

أَعْنِي ابْنَ لَيْلَى ذَا السَّدَى والنَّدَى(١)
أَعْنِي ابْنَ بِنْتِ الحَسَـبِ الفَاضِلِ

إنَّه ابْنُ ليلى وابنُ بنت الحسب الفاضل، وهنا يُشير إلى أُمّه

(١) قيل هما بمعنى واحد وهو العطاء.

(ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثَّقفي)، وهذا النَّسب لا يعتبر نسبًا عاديًّا، فجدّها عروة بن مسعود الثَّقفي هو شهيد الدعوة للإسلام بعدما أسلم على يد رسول الله، وأراد أن يستثمر موقعه في التأثير على قومه ليقربهم للإسلام، فقال له رسول الله: إنهم قاتلوك! فقال له عروة: يا رسول الله، أنا أحب إليهم من أبصارهم! فجاء يدعو قومه ثقيفًا وحينها رموه بالنبال من كل وجه، فقيل له: ما ترى في دمك؟ فقال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليّ!

ونُسب إلى رسول الله قوله فيه: «إن مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه»[(١)]. وشبه في مصادر مدرسة الخلفاء بأنه في شكله الظاهري مشابه للمسيح عيسى بن مريم[(٢)].

ومع أن القاعدة هي أن يتم نسبة الشخص لأبيه بمقتضى قوله تعالى ﴿**ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ**﴾ إلا أنه حين تكون والدة الشخص على مرتبة عالية من الشرف، ويتشرف المولود بالانتساب لها، فعندئذ لا مانع، بل يفضل ان ينسب لها، ولذا كان ينتسب الحسين مثلا إلى فاطمة، فيقول: أنا ابن فاطمة.

بخلاف ما إذا كانت على خلاف ذلك حين تكون محلا للعيب! ولذا كان زياد يعير بأنه ابن سمية! ومعاوية أنه ابن هند، وهكذا!

٣/ والنص الثالث: مع ملاحظاتنا عليه، ما نقل عن معاوية

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبة البصري، ٢/ ٤٧١.

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط بن الجوزي ٢/ ٣٠٧.

بن أبي سفيان[1] من أنه قال لجلسائه: من أحق الناس بهذا الأمر؟ قالوا: أنت، قال: لا، أولى الناس بهذا الأمر علي بن الحسين بن علي، جدّه رسول الله ﷺ، وفيه شجاعة بني هاشم، وسخاء بني أمية، وزهو ثقيف.

وبالرغم من وجود ملاحظات على هذا النص وأصل صدوره من معاوية بن أبي سفيان، وهو ما أشار إليه البلاذري (ت ٢٧٩هـ) بالقول «كذا روي هذا، والثبت أنّ غير معاوية قال ذلك»[2] وهو أسبق من أبي الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٦هـ) بل إن رواة البلاذري هم الذين نقل عنهم الاصفهاني بزيادة وسائط.

على أنه لو كان صحيح الانتساب لمعاوية، فلا قيمة لهذا القول إلا في قسم الإلزام منه، وهو الإشارة إلى شجاعة بني هاشم

---

(١) أنساب الأشراف ٥/ ١٤٣: «وروى جرير بن عبد الحميد عن مغيرة قال: قال معاوية بن أبي سفيان: من أولى الناس بهذا الأمر؟ قالوا: أنت، قال: لا ولكن عليّ بن الحسين، أمّه ابنة أبي مرّة بن عروة بن مسعود، وأمّها بنت أبي سفيان، فيه شجاعة بني هاشم، وحلم بني أمية، ودهاء ثقيف. كذا روي هذا، والثبت أنّ غير معاوية قال ذلك».
بينما نسبه الاصفهاني في مقاتل الطالبيين ص٨٦ إلى معاوية حين قال: «وإياه عني معاوية في الخبر الذي حدثني به محمد بن محمد بن سليمان، قال: حدثنا يوسف بن موسى القطان، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، قال: قال معاوية: من أحق الناس بهذا الأمر؟ قالوا: أنت، قال: لا، أولى الناس بهذا الأمر علي بن الحسين بن علي، جدّه رسول الله ﷺ، وفيه شجاعة بني هاشم، وسخاء بني أمية، وزهو ثقيف».

(٢) البلاذري نفس المصدر والصفحة.

واستحقاق الأكبر الخلافة، بالمقاييس الاجتماعية. وأما في نسبة السخاء تارة والحلم في نص آخر لبني أمية فسيأتي الكلام فيه.

وقد علق السيد الأمين على هذا بقوله: وأراد معاوية بهذا جر النار إلى قرصه بإطراء قومه وإلّا فلا يجهل معاوية ان عليًّا الأكبر لا يصل إلى رتبة أبيه الحسين وان الشجاعة والكرم في بني هاشم لا يماثلهم غيرهم وان الزهو قد تنزهوا عنه وما قال هذا الا من باب التفكه وليس يجهل من هو أولى بالأمر.

ونضيف إلى ما ذكره السيد الأمين أن ما قاله معاوية على فرض صحة نسبة القول إليه لا يطابق الواقع فإن رأس بني أمية هو أبو سفيان وقد وصفته زوجته هند بأنه شحيح وأنه لا ينفق على أولادها، واستأذنت النبي أن تأخذ من أمواله! فإذا كان هذا رأس بني أمية وهو يفعل هذا بالنسبة لأولاده. فمن أين يأتي السخاء على الآخرين؟ وهكذا ما ذكر في نصوص أخر من «حلم بني أمية» كما هو في نص البلاذري، فلا نعلم أي حلم قصده؟ أهو حلمه عن حجر بن عدي ورفاقه السبعة الذين قتلوا بأمره صبرًا؟ أو تسميمه للإمام الحسن بن علي وغيره ممن ذكرهم التاريخ، حتى اشتهر عنه القول: إن لله جنودًا من عسل! أو في تسليط زياد بن أبيه على الناس يأخذهم على التهمة والظنة! أو ما عممه من مرسوم بمعاقبة من ذكر شيئا من فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام تحت تهديد قطع العطاء والراتب بل وهدم الدار؟ أو في تعيينه ابنه حاكمًا على الناس؟ ولعل القائل يرى أن ما قام به يزيد بن معاوية من قتل الإمام الحسين

وسبي نسائه، ومن الهجوم على المدينة وإباحتها لجنده، وقصف مكة وبيت الله الحرام. كل ذلك يدخل في خانة الحلم الأموي!

ولا نعتقد أن ما قاله المحقق التستري[١] في تفسير هذا القول مطابق للواقع، فإنه قال: «إنّ معاوية قال ذلك في الظاهر لكونه هاشميّا امّه ثقفية وامّ امّه امويّة: إلّا أنّه في الباطن أراد تحريض الهاشميّين على التعرّض للقتل والهلاك حتّى يفنوا، وتحريض ثقيف على الكبر والزهو حتّى ينفر منهم الناس، وتحريض بني اميّة على السخاوة حتّى يحبّهم الناس»! وإن كان قد صرح بأنه أخذ هذا المعنى من الإمام الحسن المجتبى في نظير هذا المعنى.

◄ أولسنا على الحق؟ إذن لا نبالي

يسجل لنا المؤرخون موقفًا مبكرًا لعلي الأكبر الشهيد عليه السلام، يشير إلى وعيه من جهة، وثباته وصموده من جهة أخرى، وذلك ما نقله المؤرخ الطبري عن أبي مخنف الأزدي، قال «قَالَ أَبُو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب، عن عقبة بن سمعان قَالَ: لما كَانَ فِي آخر الليل أمر الْحُسَيْن بالاستقاء من الماء، ثُمَّ أمرنا بالرحيل، ففعلنا، قَالَ: فلما ارتحلنا من قصر بني مقاتل وسرنا ساعة خفق الْحُسَيْن برأسه خفقة ثُمَّ انتبه وَهُوَ يقول: إنا لِلَّهِ وإنا إِلَيْهِ راجعون والحمد لِلَّهِ رب العالمين، قَالَ: ففعل ذَلِكَ مرتين أو ثلاثا، قَالَ: فأقبل إِلَيْهِ ابنه عَلِيّ بن الْحُسَيْن عَلَى فرس لَهُ فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، والحمد لِلَّهِ

---

(١) قاموس الرجال، الشيخ محمد تقي التستري ٧/ ٤٢٣.

رب العالمين، يَا أبت، جعلت فداك! ممَّ حمدت اللَّه واسترجعت؟ قَالَ: يَا بني، إني خفقت برأسي خفقة فعن لي فارس عَلَى فرس فَقَالَ: القوم يسيرون والمنايا تسري إِلَيْهِم، فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا، قَالَ لَهُ: يَا أبتِ لا أراك اللَّه سوءًا، ألسنا عَلَى الحق! [قَالَ: بلى والذي إِلَيْهِ مرجع العباد، قَالَ: يَا أبت، إذا لا نبالي، نموت محقين، فَقَالَ لَهُ: جزاك اللَّه من ولد خير مَا جزى ولدا عن والده»[(١)].

◄ الشهيد الأول من الطالبيين

بالفعل فقد كان السابق إلى النزال والمبادر إلى القتال، وقد نص على ذلك أكثر من ذكره، فقد ذكره الطبري بهذا الاعتبار فقال: «وَكَانَ أول قتيل من بني أبي طالب يَوْمَئِذٍ علي الأكبر بن الْحُسَيْن بن علي، وأمه لَيْلَى ابنة أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي»[(٢)].

وذلك أنه بعد ما حسم الإمام الحسين عليه السلام الأمر بين الأنصار وآل أبي طالب، في أنَّه من الَّذي يتقدّم إلى المعركة؟، وكان كلٌّ من الطرفين يريد المبادرة، وقد أشرنا إليه سابقًا، فالطالبيون يرون أنهم هم الأولى بالتقدم لأنهم أصحاب الحمل الثقيل ومنهم ينتظر الدفاع الأكبر في هذا اليوم فلا يليق بهم التأخر، بينما كان الأنصار يرون أنه لا يصح منهم التأخر بحيث ينظرون إلى سادتهم من أهل البيت يقتلون وهم ينتظرون! فإنما قدموا من أجل الدفاع عن الدين وعن عترة الرسول فكيف يليق بهم التأخر عنهم؟

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٤٠٧.

(٢) المصدر السابق ٤٤٦.

وانتهى الأمر بقرار الإمام الحسين أن يتقدم الأنصار للقتال. فكان ذلك.

ولما تفانى الأنصار صارت النوبة على آل أبي طالب، فأول من برز منهم للقتال عليٌّ الأكبر عليه السلام، حيث جاء إلى أبيه مستأذِنًا في القتال، فلمَّا رآه الحسين أرخى لعينيه العنان بالدَّموع، وسالت دموع الحسين على خدّه، وقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾[1].

تلاوة الإمام الحسين عليه السلام لهذه الآية وتطبيقها في هذا الموقف على عليّ الأكبر، تشير إلى معنى أنّ عليًا عليه السلام كأنه من جملة مَنِ اصطفاهم الله تعالى في هذه الأسرة النَّبويَّة المباركة بنحوٍ من الاصطفاء، بالطبع لا يصل ذلك الاصطفاء إلى درجة العصمة، ولَمَّا رأى عليٌّ الأكبر أنَّ عين أبيه قد دمعت، عرف أنَّ هذا نوع إذن بالخروج للقتال، وحين انطلق عليّ الأكبر إلى الميدان قاتل القوم قتال الأبطال، وذكر بعضُ المؤرخين أنَّه قتل ثمانين فارسًا وراجلًا. ويظهر من كلمات مرة بن منقذ العبدي أن عليًّا عليه السلام كان قد فعل الأفاعيل في الجيش الأموي وهو الأمر الذي استثاره بحيث قال «إن مر بي يفعل مثل مَا كَانَ يفعل إن لم أثكله أباه، فمر يشد عَلَى الناس بسيفه» فهو يشد على الناس (أي الجيش بأكمله) وهو (يفعل ما كان يفعل) وبلا شك لن يكون فعله الرأفة بهم وإنما تمزيقهم!

---

(١) سورة آل عمران آية: ٣٣ – ٣٤.

وقد ذكرته زيارة الناحية المقدسة بالسلام كأول واحد من الشهداء، وابتدأت الزيارة بالسلام عليه، ووصف مصرعه بشكل مفصل فيها، فقد جاء فيها «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَوَّلَ قَتِيلٍ مِنْ نَسْلِ خَيْرِ سَلِيلٍ[(١)] مِنْ سُلالَةِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَبِيكَ إِذْ قَالَ فِيكَ قَتَلَ اللَّهُ قَوْماً قَتَلُوكَ يَا بُنَيَّ مَا أَجْرَأَهُمْ عَلَى الرَّحْمَنِ وَعَلَى انْتِهَاكِ حُرْمَةِ الرَّسُولِ عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَكَ الْعَفَاءِ[(٢)] كَأَنِّي بِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَاثِلًا وَلِلْكَافِرِينَ قَائِلًا:

أَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ... نَحْنُ وَبَيْتِ اللَّهِ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ
أَطْعَنُكُمْ بِالرُّمْحِ حَتَّى يَنْثَنِي ... أَضْرِبُكُمْ بِالسَّيْفِ أَحْمِي عَنْ أَبِي
ضَرْبَ غُلَامٍ هَاشِمِيٍّ عَرَبِيٍّ ... وَاللَّهِ لَا يَحْكُمُ فِينَا ابْنُ الدَّعِيِّ[(٣)]

حَتَّى قَضَيْتَ نَحْبَكَ وَلَقِيتَ رَبَّكَ أَشْهَدُ أَنَّكَ أَوْلَى بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَنَّكَ ابْنُ رَسُولِهِ وَحُجَّتُهُ وَدِينُهُ وَابْنُ حُجَّتِهِ وَأَمِينُهُ حَكَمَ اللَّهُ لَكَ عَلَى قَاتِلِكَ مُرَّةَ بْنِ مُنْقِذِ بْنِ النُّعْمَانِ الْعَبْدِيِّ لَعَنَهُ اللَّهُ وَأَخْزَاهُ وَمَنْ شَرِكَهُ فِي قَتْلِكَ وَكَانُوا عَلَيْكَ ظَهِيراً أَصْلَاهُمُ اللَّهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً وَجَعَلَنَا اللَّهُ مِنْ مُلَاقِيكَ [موافقيك] وَمُرَافِقِيكَ وَمُرَافِقِي جَدِّكَ وَأَبِيكَ وَعَمِّكَ وَأَخِيكَ وَأُمِّكَ الْمَظْلُومَةِ[(٤)] وَأَبْرَأُ إِلَى

---

(١) يعني: مولود؛ والمقصود به هنا إما رسول الله أو الحسين صلى الله عليهما.

(٢) العفاء: تأتي بمعنى التراب، وبمعنى الهلاك.

(٣) أي ابن زياد، حيث أن والده زيادًا ادعاه أبو سفيان، مع أنه ولد على فراش عبيد الثقفي.

(٤) رأى بعضهم أن المقصود بها فاطمة الزهراء، ولا يمتنع أن تكون أمه ليلى داخلة في اللفظ، وأن مظلوميتها حاصلة لأجل قتله عليه السلام.

اللَّهِ مِنْ أَعْدَائِكَ أُولِي الْجُحُودِ وَأَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَاتِلِيكَ وَأَسْأَلُ اللهَّ مُرَافَقَتَكَ فِي دَارِ الْخُلُودِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»[١].

وقد ذكر جوانب من مصرعه المؤرخُ الطبري[٢] عن مقتل أبي مخنف، كما نقله أبو الفرج الاصفهاني[٣] عن رواته عن الإمام الصادق عن أبيه الباقر عليهما السلام، في عبارات متشابهة، ونحن ننقل ما ذكره الطبري حيث قال: «وَكَانَ أول قتيل من بني أبي طالب يَوْمَئِذٍ علي الأكبر بن الْحُسَيْن بن علي، وأمه لَيْلَى ابنة أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، وَذَلِكَ أنه أخذ يشد عَلَى الناس وَهُوَ يقول:

أنا عَـــلِيّ بن حُسَـــيْن بن علي نحن ورب البيت أولى بالنبي
تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

قَالَ: ففعل ذَلِكَ مرارًا، فبصر بِهِ مرة بن منقذ بن النُّعْمَانِ العبدي ثُمَّ اللَّيْثِيّ، فَقَالَ: عليَّ آثام العرب إن مرّ بي يفعل مثل مَا كَانَ يفعل إن لم أثكله أباه، فمر يشد عَلَى الناس بسيفه، فاعترضه مرة بن منقذ، فطعنه فصرع، واحتوله الناس فقطعوه بأسيافهم.

قَالَ أَبُو مخنف: حَدَّثَنِي سُلَيْمَان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم الأَزْدِيّ، قَالَ: [سماع أذني يَوْمَئِذٍ من الْحُسَيْن يقول: قتل اللَّه قوما قتلوك يَا بني! مَا أجرأهم عَلَى الرحمن، وعلى انتهاك حرمة الرسول! عَلَى الدُّنْيَا بعدك العفاء.

---

(١) المزار، محمد بن جعفر المشهدي، ص ٤٨٨. .

(٢) تاريخ الطبري (دار المعارف) ٥/ ٤٤٦. .

(٣) مقاتل الطالبيين للاصفهاني ص١١٥.

قَالَ: وكأني أنظر إِلَى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس الطالعة تنادي:يا أخيّاه! ويا بن أخيّاه! قَالَ: فسألت عَلَيْهَا، فقيل: هَذِهِ زينب ابنة فاطمة ابنة رسول الله ﷺ، فجاءت حَتَّى أكبت عَلَيْهِ، فجاءها الْحُسَيْن فأخذ بيدها فردها إِلَى الفسطاط، وأقبل الْحُسَيْن إِلَى ابنه، وأقبل فتيانه إِلَيْهِ، فَقَالَ: احملوا أخاكم، فحملوه من مصرعه حَتَّى وضعوه بين يدي الفسطاط الَّذِي كَانُوا يقاتلون أمامه»[1].

◄ الشهيد الثاني من ولد الحسين

عبد الله الرضيع؛ وقد ورد ذكره والسلام عليه في زيارة الناحية، بالقول: «السَّلَامُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ الطِّفْلِ الرَّضِيعِ الْمَرْمِيِّ الصَّرِيعِ الْمُتَشَحِّطِ دَمًا الْمُصَعَّدِ دَمُهُ فِي السَّمَاءِ الْمَذْبُوحِ بِالسَّهْمِ فِي حَجْرِ أَبِيهِ لَعَنَ اللَّهُ رَامِيَهُ حَرْمَلَةَ بْنَ كَاهِلٍ الْأَسَدِيَّ وَذَوِيهِ».

---

(١) تاريخ الطبري (دار المعارف) ٥/ ٤٤٦.

القسم الثَّاني

- غير الطَّالبيِّين.

- أنصارُ الحسين عليه السلام من أصحاب النّبيّ.
- حبيب بن مظاهر الأسديّ.
- الحرّ بن يزيد الرّياحيّ.
- زهير بن القين البَجَليّ.
- برير بن خضير الهمداني.
- سعيد بن عبد الله الحنفيّ.
- نافع بن هلال المِذْحَجِيّ.
- عابس الشَّاكري وشوذب.
- الموالي الشُّهداء من أصحاب الحسين عليه السلام.
- جرحى كربلاء.

أنصار الحسين من أصحاب النّبي

حينما نتحدَّث عن أصحاب النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم الّذين نصروا الحسين لا نستهدف أن نعطي شرعيَّة للثَّورة الحسينيَّة من خلال الحديث عنهم، وإنَّما صار لهم فضلٌ على غيرهم لاتّباعهم الحسين عليه السلام، وهذا يذكّرنا بما نُقِل أنَّ أحدهم سأل أحد أصحاب أمير المؤمنين قائلاً: كم كان مع عليّ بن أبي طالب من الصّحابة في يوم الجمل؟، فالتفت إليه قائلاً: كأنَّك تريد أن تُعَرّف فضل عليّ بهم؟، قال: ذاك ما أردت، فقال له: والله ما عَرَفْنَا لهم فضلاً إلا باتِّباعهم إيَّاه![1].

◄ (الصُّحْبَة) بين مدرستي الإماميَّة والخلفاء

نحن نثني على الصَّحابة الَّذين طبَّقوا ما سمعوا من رسول الله في فضل الحسنين عليهما السلام، وعملوا طبقًا لتوجيهاته، وبهذا كان لهم هذا الفضل، فالصُّحبة عندنا -نحن الشّيعة الإماميّة- لا تعطي فضيلة استثنائيّة للصَّحابيّ؛ لأنّها ليست عملاً اختياريًّا، بمعنى أن يكون

---

(١) فهرست اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، النجاشي، ص ١٢.

إنسانٌ في زمان النَّبيّ أو زمن قدوم النَّبيّ إلى المدينة فهذا أمرٌ ليس من صنعة الإنسان، بينما الصُّحبة في مدرسة الخلفاء هي أن يكون الإنسان في زمن رسول الله ﷺ وقد أدركه والتقى به، حتَّى لو كان بمقدار خمس أو عشر دقائق سواء سمع من رسول الله أم لم يسمع.

هذه الصُّحبة بهذا التّعريف -في تقديرنا- لا قيمة استثنائية لها، فالصُّحبة بذاتها غير كافية للأفضليَّة، إنّما تكون للصُّحبة أفضليَّة إذا التزم الصَّحابيُّ بقول رسول الله ورافقه وعَمِلَ بتوجيهاته وسمع أقواله متحريًّا بذلك رضاه.

◄ نظريَّة عدالة الصَّحابة

تقول هذه النَّظرية[1] إنَّ جميع الصَّحابة عدولٌ، ولا يجوز جَرْح أحدهم أو الطّعن في أفعاله ولو كانت هذه الأفعال منكرة، وتأسيس هذه النَّظريّة أُمويّ، ثّم تطورتْ لا سيّما في الفترات الأخيرة فصار لعنوان (الصَّحابة) قداسة في مقابل العنوان القرآنيّ والعنوان النّبويّ وهو (أهل البيت) في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[2]، وقول النَّبيُّ ﷺ: «إنَّما مَثَلُ أَهْلِ بَيْتي فِيْكُم مَثَلُ سَفِيْنَةِ نُوحٍ مَنْ دَخَلَهَا نَجا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَك»[3]،وقَالَ: «إنِيّ تَارِكٌ فيكم الثَّقلَينْ مَا إِنْ تمَسَّكْتُم

---

(١) قد بحثنا هذه النظرية وتاريخها وأسباب ظهورها، ثم آثارها في الأمة بشكل مفصل في كتابنا أصحاب النبي محمد، فليرجع من أراد التفصيل إلى الكتاب.

(٢) سورة الأحزاب آية: ٣٣.

(٣) الأمالي، للشيخ الطوسي،ص٥١٣.

بهِمَا لن تَضلُّوا بعدي كِتَاب الله وعِتْرَتي أَهَلَ بَيْتي»[1]، فعنوان (أهل البيت)عنوان قرآنيّ نبويّ، تمَّ التأكيد عليه من الجهتين، لكنَّ الأمويّين جاؤوا بعنوان جديد وهو عنوان (الصَّحابة) في مقابل العنوان القرآنيّ النبويّ، فذكروا حديثًا يقول: «أَصْحَابِي كالنُّجُوم بأَيِّهِم اقْتَدَيْتُم اهْتَدَيْتُم»[2]، وقد غَفَل هؤلاء أنّه ليست كلُّ النجوم تَهدِي، فمعلوم عند العارفين بالطّرق في البرِّ أو البحر أنَّ هناك بعض النّجوم يُهتَدَى بها في تعيين الاتجاهات لا كلّ نجم.

إذن لا يمكن تصديق صدور هذا الكلام من رسول الله ﷺ فإنَّ من يتبع معاوية ينتهي بقتال عليّ، ومَنْ يتَّبع عليًّا ينتهي بقتال معاوية فكيف يكون «بأَيِّهِم اقْتَدَيْتُم اهْتَدَيْتُم»؟ وكيف يكون القاتل والمقتول مهتديين؟

---

(١) وسائل الشيعة، للحر العاملي، ج ٢٧ ص ٣٤، وقد أخرجه الترمذي في (سننه) ٣٧٨٦، والطبراني في (المعجم الكبير) ٣/ ٦٦-٢٦٨٠.

(٢) هذا الحديث رواه ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) ٨٩٥، وابن حزم في (الإحكام) ٦/ ٢٤٤. والعجيب أنهم ذكروا أنه ضعيف، ولا تقوم به حجة إلا أنه صار قاعدة لنظرية لا تزال منذ اختراعها تتحكم في العقل المسلم، فقد علق عليه ابن عبد البر بعد أن ذكره بالقول: هذا إسناد لا تقوم به حجة، لأن الحارث بن غصين مجهول.

وقال ابن حزم: هذِه رواية ساقطة، أبو سفيان ضعيف، الحارث بن غصين هذا هو أبو وهب الثقفي، وسلام بن سليمان يروي الأحاديث الموضوعة، وهذا منها بلا شك. وقال الألباني في «الضعيفة» (٥٨): موضوع.

◄ أسباب الحديث عن أنصار الحسين من الصَّحابة

وحديثنا عن أصحاب رسول الله ﷺ ممّن استشهد مع الإمام الحسين عليه السلام لأسباب منها:

أولاً: للتّمييز بين الفئات.

ثانيًا: لأنَّ هؤلاء تميَّزوا وتفوَّقوا باتّباعهم لأوامرِ رسول الله ﷺ في نصرةِ الدّين والشَّهادة مع الإمام الحسين عليه السلام.

◄ أنصار الحسين من الصَّحابة

قد تقدَّم الكلام عن عدد أصحاب الحسين عليه السلام، وعن جهة الاختلاف في إحصائهم وما هو المعيار في ذلك، وكما يصدق هذا الأمر على العدد فهو صادق على الفئات، فكما أنَّ هناك اختلافًا في عدد أصحاب الحسين على نحو الإجمال كذلك يوجد اختلاف في عدد أصحابه بحسب الفئات، وقد يكون هذا راجعًا في بعض الحالات إلى اختلاف تعرِيف (صحبة النَّبيّ)، لذلك سوف نتحدَّث عن أربعة ممَّن استشهد مع الحسين في كربلاء ممَّن اتفقت الكلمة -تقريبًا- على أنَّهم من أصحاب النَّبيّ ﷺ وهم:

١ - أنس بن الحارث الأسدي الكاهلي.

٢- عبدالرَّحمن بن عبد ربِّه الأنصاريّ.

٣- مسلم بن عوسجة الأسدي.

٤- حبيب بن مظاهر الاسدي.

الأول: أَنَسُ بنُ الحَارِث – أو الحَرث – الكَاهِلي

أنس وأبوه الحرث صحابيّان، وقد نَقَلَ أَنَسُ حديثًا – كان من أسباب سعادته في شهادته مع الحسين – : سمعت ﷺ يقول: «إن ابني هذا يعني الحسين يقتل بأرض يقال لها: كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره؛ قال: فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء فقتل بها مع الحسين رحمة الله عليهما»(١) فقد بقي هذا الحديث في ذهنه إلى سنة (٦٠) هـ، وقد سمع أنَّ الإمام الحسين قد خرج من المدينة إلى مكّة ومنها إلى العراق، فالتحق أنس بالحسين في طريق مكّة عملاً بوصية رسول الله: «فَمَنْ أَدْرَكَه مِنْكُم فَلْيَنْصُرْه»، ونحتمل أن يكون قد تجاوز عمره في ذلك الوقت خمسة وسبعين عامًا.

قال ابن نما: خرج أنس بن الحارث الكاهلي وهو يقول:

قد علمت كاهلنا وذودان   والخندفيون وقيس غيلان
بأن قومي آفة الاقران   لدى الوغى وسادة الفرسان
مباشر والموت بطعن آن   لسنا نرى العجز عن الطعان
آل علي شيعة الرحمن   وآل حرب شيعة الشيطان

وذكره السيد المقرم في مقتل الحسين فقال: «وكان أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلي شيخًا كبيرًا صحابيًّا رأى النبي وسمع حديثه وشهد معه بدرًا وحنينًا، فاستأذن الحسين وبرز شادًّا وسطه بالعمامة رافعًا حاجبيه بالعصابة، ولما نظر إليه الحسين بهذه الهيئة بكى وقال:

---

(١) معجم الصحابة للبغوي ١/ ٦٤.

شكر الله لك يا شيخ فقتل على كبره ثمانية عشر رجلًا وقتل»[١].

الثَّاني: عبدالرَّحمن بن عبد ربِّه الأنصاريّ

هو صحابيّ مدنيّ من الأنصار من قبيلة الخزرج، وله مواقف نذكر منها:

الموقف الأوَّل: هذا الصَّحابي من جملة الَّذين اسْتَنْشَدَهُم الإمام عليّ عليه السلام في رحبةِ الكوفة سنة (٣٥) هـ، وهو من الَّذين شهدوا بأنَّهم سمعوا حديث الغدير من رسول الله في شهر ذي الحجة سنة (١٠)هـ، حيث «نشد عليٌّ الناس في الرحبة من سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم ما قال الا قام ولا يقوم الا من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقام بضعة عشر رجلا فيهم أبو أيوب الأنصاري.. وعبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري فقالوا نشهد أنا سمعنا رسول الله يقول: ألا ان الله عز وجل وليي وأنا وليُّ المؤمنين ألا فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وأعن من أعانه»[٢].

وهذا الموقف يبيُّن ثباته على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام منذ واقعة الغدير في السنة العاشرة (١٠) هـ إلى حديث المناشدة في السنة الخامسة والثلاثين (٣٥) هـ، وكان قد اشترك في بعض معارك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، المقرم، عبد الرزاق المقرم، ص ٢٦٣.

(٢) أسد الغابة، ج ٣، ابن الأثير، ص ٣٠٧.

الموقف الثَّاني: وممَّا يُذْكَر في شأنه يوم كربلاء أنَّه في يوم التَّاسع من المحرّم أَمَرَ الإمام الحسين عليه السلام بفسطاط فضُرب وبُرَيْر بن خُضَيْر الهمداني(١) وعبدالرَّحمن بن عبد ربّه على باب الفسطاط، فصار بُرَيْر يهازل عبدالرحمن ويضاحكه، فقال له عبدالرحمن بن عبد ربّه: دَعْنَا فواللهِ ما هذه بساعةِ باطل، فقال له بُرَيْر: واللهِ لقد عَلِمَ قومي أنِّي ما أحببتُ الباطل شابًّا ولا كَهْلًا، ولكن واللهِ إنّي لمستبشرٌ بما نحن لاقون، واللهِ إنَّ بيننا وبين الحور العين إلا أن يميلَ هؤلاء علينا بأسيافهم، وَلَوَدَدتُ أنَّهم قد مَالُوا علينا بأسيافهم السَّاعة(٢).

الثَّالث: مسلم بن عوسجة الأسديّ

وهو من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن عُبَّادِ الكوفة وملازمي جامعها الأعظم، وقد كان ممَّن لازم أمير المؤمنين عليه السلام، عُرِفَ مسلم بالبطولة والشَّهامة، وكانت له مواقف بطوليَّة في حياة الإسلام، ففي السَّنة الثانية والعشرين (٢٢هـ) شَارَكَ في فتح أذربيجان(٣)، وقد فُتِحَت في أيَّام الخليفة الثَّاني، وهي أقصى حدود البلاد الإسلاميَّة من جهة الشَّمال آنذاك، وكان قائد الجيش حذيفة بن اليمان العنسي، وهو من أعظم الشَّخصيَّات الإسلاميَّة ومن

---

(١) سيأتي بعض الحديث عنه.

(٢) مقتل الحسين لأبي مخنف الأزدي ص ١١٥. وعنه تاريخ الطبري ٥/ ٤٢٣.

(٣) أذربيجان في العصر الحاضر اثنتان، إحداهما تابعة لإيران تسمَّى أذربيجان الغربيَّة، والأخرى أذربيجان مستقلّة وتسمّى الشرقيَّة، وكانت سابقًا واحدة.

أصحاب الإمام عليّ عليه السلام، وكان عارفًا بالخطوط المنحرفة في الأمّة، وورد عن أمير المؤمنين في حقّه حينما سُئِل: يا أمير المؤمنين فأخبرني عن حذيفة بن اليمان، قال: «ذلك امْرُؤٌ عَلِمَ أسماءَ المنافقين، إِنْ تَسْأَلُوهُ عن حُدُودِ اللهِ تَجِدُوهُ عَارَفًا عَالِمًا»[١]، ولذلك كان قِسْمٌ من أصحاب رسول الله يخشون أن يكشفهم ويفشي بأسمائهم، وبقي حذيفة من أولياء أمير المؤمنين إلى آخر حياته، بل كان يحثُّ النَّاس على اتّباع أمير المؤمنين عليه السلام ،وقد توَّلى حذيفة في زمن الخليفة الثَّاني بعض الولايات وقاد بعض الجيوش، ومنها الجيش الَّذي كان ذاهبًا إلى فتح الشّمال الشّرقي من إيران وأذربيجان.

وهناك فكرة يقول بها قسم من العلماء، وقد أشار لها الشيخ الكوراني[٢] في كتابه عن الفتوحات الإسلامية، وهي أنَّ كثيًرا من قادة نشر الإسلام كانوا ممَّن يتولوَّن أمير المؤمنين عليه السلام [٣]، وأحدهم حذيفة بن اليمان، فقد كان بعض أصحاب أمير المؤمنين في هذه الجيوش، نعم في خصوص الحسنين لم يثبت ذلك،

---

(١) الاحتجاج، للشيخ الطبرسي، ج ١ ص ٣٨٨.

(٢) وصلت إلى هذا السطر في اليوم الثاني لوفاة العلامة الشيخ علي الكوراني رحمه الله رحمة الأبرار وحشره مع محمد وآله الأطهار.

(٣) وهنا يُطرح هذا التساؤل: لماذا كان كثير من قادة نشر الإسلام من الموالين لأمير المؤمنين عليه السلام؟ وكيف كانوا يذهبون تحت رايات أخر؟

الجواب: إنَّ وجود هؤلاء وهم الأكثر نزاهةً وإخلاصًا ستقلّل من الأخطاء، فحين يُرْسَلُ شخصٌ أمينٌ صادق، فالأخطاء ستقلّ ويكون العملُ صالحًا، ويكون هذا الشَّخص أكثر رفقًا بالأراضي المفتوحة.

فلم يثبت أنَّ الحسن والحسين عليهما السلام قد شاركا في حروب الخلفاء السَّابقة قبل أمير المؤمنين، ولكن في العلماء المتأخرين من قال ذلك، وهو ابن خلدون المتوفى (٨٠٨) هـ، بعد ثمانية قرون من الحدث في الوقت الَّذي أُلِّفت كتبٌ قبل هذا لم تذكر هذا الأمر.

وكذلك كان مسلم بن عوسجة من أصحاب أمير المؤمنين، ومن ضمن هذا الجيش المتوجّه الى أذربيجان ومن المقاتلين فيه، هذا ما نقله بعض أعضاء الجيش الأمويّ كشَبَث بن ربعي،[١] ونستشهد به هنا من باب «والفضل ما شهدت به الأعداء»، فإنه لمَّا اسْتُشْهِدَ مسلم بن عوسجة في يوم عاشوراء، صاحت جاريته: وامسلماه، وا ابن عوسجاه، واسيّداه!، واستبشر جيش عمر بن سعد بمقتله، فقال شبت بن ربعي - قائد ميمنة ابن سعد- لبعض من حوله: «ثكلتكم أمّهاتكم! إنَّما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذلُّون أنفسكم لغيركم، وتفرحون أن يُقتل مثلُ مسلم بن عوسجة؟!، أمَا والذي أسلمتُ له لرُبَّ موقف له قد رأيتُه في المسلمين كريم، لقد رأيتُه يوم سلق أذربيجان قتل ستَّة من المشركين قبل أن تتامَّ خيولُ المسلمين. أ فيقتل منكم مثله وتفرحون»[٢].

وكان مسلم بن عوسجة بمثابة أمين سر مسلم بن عقيل بن أبي طالب سفير الحسين عليه السلام عندما جاء إلى الكوفة، وقصة ابن زياد مع

---

(١) سيتم الحديث عن شخصيته في كتابنا عن قتلة الحسين عليه السلام وهم عصبة الإثم.

(٢) تاريخ الطبري (دار المعارف)، ٥/ ٤٣٦، وكذلك الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤/ ٦٨.

الخائن معقل ودسه إياه ليتعرف على مكان مسلم بن عقيل، تشير إلى موقع ابن عوسجة الإيماني حيث أوصاه ابن زياد بأن يذهب لمسجد الكوفة وينظر إلى من يكثر الصلاة فيه، وهذا يشير إلى ما وصف الإمام الحسين نفسه وأصحابه بأنه وهم يحبون الصلاة، وكان أن انتهى من خلاله إلى معرفة مسلم بن عقيل(١).

وفي ليلة العاشر من محرم حين خطب الإمام الحسين في أصحابه وعرض عليهم أن يتفرقوا عنه ويتخذوا الليل جملا، وأنه ليس عليهم ذمام منه، قام «مسلم بن عوسجة الأسدي وقال: أنخليك ولم نعذر إلى الله فيك في أداء حقك، لا والله حتى أكسر رمحي في صدورهم، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن سلاحي معي لقذفتهم بالحجارة دونك»(٢).

وصدق فعلُه موقفَه وكلامه في المعركة، فمع كِبَر سنِّه حيث قيل أن عمره كان ثمانين سنة كان له موقفٌ عظيمٌ وقد كان يعصّب حاجبيه بعصابة حتَّى لا يسقطَا على عينيه فيعيقان الرؤية، كان يقاتل بحماسة الشباب ولا يمنعه ضعف القوة من شجاعة القلب

---

(١) ينبغي ملاحظة أن مثل ابن عوسجة يتنازعه في مثل تلك الحالة جانبان؛ فهو من جهة يريد أن يجمع الأنصار لمسلم بن عقيل والأموال أيضا لتحركه، ومن جهة أخرى يخشى من المندسين وعملاء السلطة، ولعل إصرار معقل الجاسوس على المجيء مرة بعد مرة، ومعه الأموال وحيث أنه لم يكن معروفا في الكوفة، زعم أنه من موالي أهل البيت وقد قدم للكوفة من خارجها، فلعل ذلك رجح عند مسلم بن عوسجة العامل الأول.

(٢) أنساب الأشراف ٣/ ٣٩٣.

والاقدام على الشهادة ليكون أول الشهداء من الانصار.

وذلك أن الجيش الأموي بقيادة «عَمْرو بن الحجاج حمل عَلَى الْحُسَيْن فِي ميمنة عُمَر بن سَعْد من نحو الفرات، فاضطربوا ساعة، فصرع مسلم بن عوسجة الأسدي أول أَصْحَاب الْحُسَيْن، ثُمَّ انصرف عَمْرو بن الحجاج وأَصْحَابه، وارتفعت الغبرة، فإذا هم بِهِ صريع، فمشى إِلَيْهِ الْحُسَيْن فإذا بِهِ رمق، فَقَالَ: رحمك ربك يَا مسلم بن عوسجة، ﴿**فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾. ودنا مِنْهُ حبيب بن مظاهر فَقَالَ: عَزّ عليَّ مصرعك يَا مسلم، أبشر بالجنة، فَقَالَ لَهُ مسلم قولًا ضعيفًا: بشرك اللَّه بخير! فَقَالَ لَهُ حبيب: لولا أني أعلم أني فِي أثرك لاحق بك من ساعتي هَذِهِ لأحببت أن توصيني بكل مَا أهمك حَتَّى أحفظك فِي كل ذَلِكَ بِمَا أنت أهل لَهُ فِي القرابة والدين، قَالَ: بل أنا أوصيك بهذا رحمك اللَّه- وأهوى بيده إِلَى الْحُسَيْن- أن تموت دونه، قَالَ: أفعل ورب الكعبة، قَالَ: فما كَانَ بأسرع من أن مات فِي أيديهم، وصاحت جارية له فقالت: يا بن عوسجتاه! يَا سيداه! فتنادى أَصْحَاب عَمْرو بن الحجاج: قتلنا مسلم بن عوسجة الأسدي، فَقَالَ شبث لبعض من حوله من أَصْحَابه: ثكلتكم أمهاتكم! إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذللون أنفسكم لغيركم، تفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة! أما والذي أسلمت لَهُ لرب موقف لَهُ قَدْ رأيته فِي الْمُسْلِمِينَ كريم»[1].

---

(١) تاريخ الطبري (دار المعارف) ٥/ ٤٣٦.

وخير ختام للحديث عنه هو ما جاء في زيارة الناحية التي ذكرت الشهداء وقتلتهم «السَّلَامُ عَلَى مُسْلِمِ بْنِ عَوْسَجَةَ الْأَسَدِيِّ، الْقَائِلِ لِلْحُسَيْنِ وَ قَدْ أَذِنَ لَهُ فِي الِانْصِرَافِ: أَ نَحْنُ نُخَلِّي عَنْكَ وَ بِمَ نَعْتَذِرُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَدَاءِ حَقِّكَ، وَ لَا وَ اللَّهِ حَتَّى أَكْسِرَ فِي صُدُورِهِمْ رُمْحِي، وَ أَضْرِبَهُمْ بِسَيْفِي، مَا ثَبَتَ قَائِمُهُ فِي يَدِي، وَ لَا أُفَارِقُكَ، وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَعِي سِلَاحٌ أُقَاتِلُهُمْ بِهِ لَقَذَفْتُهُمْ بِالْحِجَارَةِ ثُمَّ لَمْ أُفَارِقْكَ حَتَّى أَمُوتَ مَعَكَ، وَ كُنْتَ أَوَّلَ مَنْ شَرَى نَفْسَهُ، وَ أَوَّلَ شَهِيدٍ مِنْ شُهَدَاءِ اللَّهِ قَضَى نَحْبَهُ، فَفُزْتَ وَ رَبِّ الْكَعْبَةِ. شَكَرَ اللَّهُ لَكَ اسْتِقْدَامَكَ وَ مُوَاسَاتَكَ إِمَامَكَ، إِذْ مَشَى إِلَيْكَ وَأَنْتَ صَرِيعٌ فَقَالَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا مُسْلِمَ بْنَ عَوْسَجَةَ، وَ قَرَأَ: فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا، لَعَنَ اللَّهُ الْمُشْتَرِكِينَ فِي قَتْلِكَ: عَبْدَ اللَّهِ الضَّبَابِيَّ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ خُشْكَارَةَ الْبَجَلِيَّ»(١).

الرَّابع: حبيب بن مظاهر الأسديّ

هو صحابيّ أدرك رسول الله ﷺ كما جاء في كتاب (الإصابة في تمييز الصَّحابة) لابن حجر العسقلاني، حيث ذكر في هذا الكتاب اسم حبيب بن مظاهر الفقعسي الأسديّ الَّذي اسْتُشْهِدَ مع الحسين في كربلاء بعنوان: ممَّن أدرك رسول الله ﷺ(٢)، وبناءً على التّعريف العام للصَّحابة يكون من أصحاب النَّبيّ ﷺ.

---

(١) المزار، لمحمد بن جعفر المشهدي، ص ٤٩٢. .

(٢) ونصّ عبارته: «له إدراك، وعمّر حتَّى قُتِلَ مع الحسين بن علّي»، يُنظر: الإصابة في تمييز الصَّحابة، ابن حجر العسقلاني، القسم الثالث، تحت رقم: ١٩٥٤.

فحبيب بن مظاهر ممَّن أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لكن تبلورت شخصيّته وكان له دور أكبر في زمان أمير المؤمنين عليه السلام، فقد كان حبيب بن مظاهر من جملة الأشخاص القلائل الَّذين اختصَّهم أمير المؤمنين عليه السلام بعلم المنايا والبلايا.

◁ علم المنايا والبلايا نَحْوٌ من أنحاء الغَيْب

إن من جملة الامتيازات الّتي يمتلكها الأئمّة المعصومون - بحسب ما نعتقده نحن الشّيعة - علمهم بالمنايا والبلايا، وقد تعدّدت الرّوايات الواردة عنهم المثبتة لهذا العلم لديهم.

وعلم المنايا والبلايا هو نافذة على عالم الغيب، فالله له علم الغيب الشَّامل العام بكلّ شيء، وفي كلّ الموارد، ولكن هذا لا يمنع أن يختصَّ الله بعض خلقه من الأنبياء والأوصياء بنافذة من نوافذ الغيب، كبوابة تشرف على علم محدود من الغيب وليس اطّلاعًا كاملا على الغيب، بل ضمن دائرة معيّنة: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾[1]، وهذا الاطلاع على عالم الغيب له آثارٌ عقائديّة، فحين يرى النَّاسُ شخصًا قد أطلعه الله على جزءٍ من الغيبيّات، يثقون بأنَّ لديه منزلةً خاصَّةً عند الله، فحين يدّعي النُّبوّة أو الإمامة ويأتي بما يناسبهما يُقبل قوله؛ لأنَّ عنده علمًا لا يوجد عند سائر النّاس، فيُطلع الله بعض خلقه من أنبياء أو وأوصياء، ليس بشكل مطلق، وإنما هو تبع الحكمة وحدودها، فقد تكون مسألة غيبيّة واحدة وقد تكون أكثر.

---

(١) سورة الجن، آية:٢٦.

وفي عقيدتنا - نحن الشّيعة الإماميَّة - أنَّ الله تعالى أطلع بعض الأنبياء والأوصياء[1] على شيء من غيبه، ويشهد التَّاريخ شهادات متكرّرة بأنَّ النبي المصطفى والأئمَّة المعصومين قد أخبروا بعض أتباعهم بشيء من تلك الغيوب[2]. كان لديهم اطّلاع على الغيب بتعليم الله لهم بمقدار معيّن، وطبقا للحكمة الإلهيَّة، فعندما يكون لهذا الوصيّ علمُ غيب، قد يُطْلِعُ بعض تلامذته وأتباعه على شيءٍ من هذا العلم لحكمةٍ معيّنة.

وعلم المنايا والبلايا؛ جمع منيّة وبلية، هو علم ما يحدث في المستقبل على الأشخاص، ولحكمةٍ معينة قد يخبر المعصوم بعض الأشخاص إما بما يجري عليه أو على غيره، وبطبيعة الحال لا بد أن يكون هذا المخبَر على مستوى عال من الاستعداد العقلي في التلقي وحكمة التصرف بعد ذلك.

فهناك من إذا اطلع على أمر غيبي خاص زاد إيمانا، وهناك من إذا اطلع زاد ضلالًا وذلك كما قال أمير المؤمنين عليه السلام مخاطبا

---

(١) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ (الصفار)، ص ١٣٩ عن أبي جعفر عليه السلام قال إن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم كان امين الله في ارضه فلما قبضه الله كنا أهل البيت ورثته فنحن أمناء الله في ارضه عندنا علم المنايا والبلايا وأنساب العرب وفصل الخطاب.
ومثله في الكافي للكليني ١/ ١٩٧.

(٢) كإخبار النبي عمارًا بن ياسر بأن آخر شرابه ضياح من لبن وأنه تقتله الفئة الباغية. وإخباره أم سلمة أن ابنه الحسين عليه السلام يقتل في أرض كربلاء. وكعلم أمير المؤمنين عليه السلام بأن ابن ملجم هو الذي يقتله. والشواهد كثيرة.

كميل بن زياد: «يَا كُمَيْل بْن زِيَادٍ، إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا»[1].

نعم نحن نفهم من خلال إطلاع المعصوم أشخاصًا على هذه الغيوب أنهم يمتلكون تلك الدرجة التي ذكرناها، ومن هؤلاء (حبيب بن مظاهر) الَّذي أطلعه أمير المؤمنين عليه السلام. ومنهم ميثم التمار ورشيد الهجري[2].

فقد ذكر شيخ الطائفة الطوسي في اختيار معرفة الرجال (وبالطبع ذكره قبله الكشي) تحت عنوان «حبيب بن مظاهر» ما عن فضيل بن الزبير (الرسان الاسدي)، قال: مر ميثم التمار على فرس له فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد،فتحدثا حتى اختلف أعناق فرسيهما.

ثم قال حبيب: لكأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق، قد صلب في حب أهل بيت نبيه عليه السلام، ويبقر بطنه على الخشب!

فقال ميثم: واني لأعرف رجلا أحمر له ضفيرتان يخرج لينصر ابن بنت نبيه فيقتل ويجال برأسه بالكوفة.

---

(١) الأمالي، للشَّيخ الطُّوسي ص٢٠.

(٢) الكافي للكليني، ١/ ٤٨٤ عن إسحاق بن عمار قال: سمعت العبد الصالح ينعى إلى رجل نفسه، فقلت في نفسي: وإنه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته!؟ فالتفت إلي شبه المغضب، فقال: يا إسحاق قد كان رشيد الهجري يعلم علم المنايا والبلايا والامام أولى بعلم ذلك.

ثم افترقا، فقال أهل المجلس: ما رأينا أحدا أكذب من هذين، قال: فلم يفترق أهل المجلس حتى أقبل رشيد الهجري، فطلبهما فسأل أهل المجلس عنهما؟

فقالوا: افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا.

فقال رشيد: رحم الله ميثمًا نسي: ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم، ثم أدبر فقال القوم: هذا والله أكذبهم.

فقال القوم: والله ما ذهبت الأيام والليالي حتى رأيناه مصلوبًا على باب دار عمرو بن حريث، وجيء برأس حبيب بن مظاهر قد قتل مع الحسين عليه السلام ورأينا كل ما قالوا[1].

وفي تعليق سريع على هذا الخبر، فإن تكذيب الجالسين لكلام حبيب وميثم ثم رشيد الهجري إما هو نابع من عدم تعقل أولئك الجالسين لمقام هؤلاء الثلاثة العلمي، واختصاصهم بأمير المؤمنين، وعدم تحملهم لأن يكون أحد قادرا على اكتشاف المستقبل وأخباره، أو لادعاء من لا أهلية له علم الحوادث المستقبلية وتبين بطلان ذلك، فاعتقدوا أن هؤلاء هم كمن عرفوهم ممن لا يأخذ علمه من نافذة الغيب والمرتبطين به.

هذا ومع أن الحاضر في ذهن عامة الشيعة هو صورة حبيب بن مظاهر الأسدي المقاتل الصلب والشجاع، وهي صورة صحيحة إلا أن هناك صورة أخرى لا تقل أهمية عنها وهي صورة العالم

(١) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) للشيخ الطوسي ١/ ٢٩٢.

والفقيه، ويظهر هذا أولا من اطلاع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إياه على ما سبق ذكره.

وكذلك ما نقل عنه أنه سأل الإمام الحسين عليه السلام عن أنهم أين كانوا قبل أن يخلق الله آدم. واعتبر المجلسي الأول الرواية قوية فقال: «وفي القوي، عن حبيب بن مظاهر الأسدي رضي الله عنه أنه قال للحسين بن علي بن أبي طالب أي شيء كنتم قبل أن يخلق الله آدم عليه السلام؟ قال: كنا أشباح نور ندور حول عرش الرحمن فنعلم الملائكة التسبيح والتهليل والتحميد»[١].

◁ حبيب بن مظاهر وشرطة الخَمِيْس

يُعدُّ حبيب بن مظاهر من شرطة الخَمِيْس[٢]، وهي أشبه بالشّرطة العسكريَّة الَّتي هي تحت السَّلاح دائماً، فإذا كان هناك حرب وقتال، فهذه الشّرطة في وقت الحرب وظيفتها ضبط الجيش بحيث يُعتمد عليها في الحركة والتعبئة والتّحشيد في الحرب، أمّا وقت السّلم بقية الجيش يذهبون لأعمالهم العاديّة، ولكن هؤلاء يبقون تحت السَّلاح، فإذا صارت مسألة طارئة كما لو ظهرت فتنة مثلا، يُطلب من شرطة الخميس التَّدخّل لإنهائها، وهؤلاء هم

---

(١) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه،، محمد تقي المجلسي (الأول)، ٥/ ٤٥٧.

(٢) والخَمِيْس هنا تعني الجيش وليس اليوم المعهود، حيث سمّي الجيش بالخَمِيْس لأنَّه يُقَسَّم لخمسة أقسام أو خمسة ألوية أو خمسة كتائب، ميمنة وميسرة ومقدّمة ومؤخرة ووسط أوسَاقَة.

شروط خاصّة في إيمانهم ومعرفتهم، وكان حبيب من جملة أولئك الّذين هم يُعدّون من شرطة الخَمِيْس[1]، وشَارَكَ في الحروب مع أمير المؤمنين عليه السلام في معركة الجمل وصفّين والنَّهروان، وبقي في الكوفة ملازمًا أمير المؤمنين عليه السلام.

وبعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام وقضية الهدنة بين الإمام الحسن ومعاوية، ورجوع شيعة الإمام الذين قدموا معه إلى المدينة، بقي حبيب بن مظاهر في الكوفة حيث هي موطنه وعشيرته. إلى أن مات معاوية وأخذت رسائل الشيعة تأتي للإمام الحسين عليه السلام وهو في مكة، فكان من جملة من أرسل للإمام الحسين عليه السلام يستحثه، فأرسل الإمام ابن عمه مسلمًا بن عقيل، «وأقبلت الشيعة تختلف إِلَيْهِ، فلما اجتمعت إِلَيْهِ جماعة مِنْهُمْ قرأ عَلَيْهِم كتاب حُسَيْن، فأخذوا يبكون. فقام عابس بن أبي شبيب الشاكري، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فإني لا أخبرك عن الناس، وَلا أعلم مَا فِي أنفسهم، وما أغرك مِنْهُمْ، وَاللَّهِ لأحدّثنك عما أنا موطن نفسي عَلَيْهِ، وَاللَّهِ

(١) الرجال، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ص ٣ أمير المؤمنين الذين قال لهم: «تشرطوا إنما أشارطكم على الجنة، ولست أشارطكم على ذهب ولا فضة، إن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه فيما مضى تشرطوا فإني لست أشارطكم إلا على الجنة. وعد البرقي منهم حبيبًا بن مظاهر. أقول هذا بناء على أن الجملة التي ورد فيها ذكر حبيب بن مظاهر، بعد ذكر شرطة الخميس ليست فاصلة أو استئنافًا وهو ما فهمه بعض المعلقين على جملة البرقي تلك، كما جاء في تعليق الشيخ فاضل الجواهري في كتاب التحرير الطاووسي للشيخ حسن العاملي ص ١٧٨ حيث قال «وعده البرقي في رجاله: ٤ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن شرطة الخميس قائلا: «حبيب بن مظاهر الأسدي»..

لأجيبَنكم إذا دعوتم، ولأقاتلنّ معكم عدوكم، ولأضربنّ بسيفي دونكم حَتَّى ألقى اللَّه، لا أريد بِذَلِكَ إلا مَا عند الله.

فقام حبيب بن مظاهر الفقعسي (الأسدي)، فَقَالَ: رحمك اللَّه! قَدْ قضيت مَا فِي نفسك، بواجز من قولك، ثُمَّ قَالَ: وأنا وَاللَّهِ الَّذِي لا إله إلا هُوَ عَلَى مثل مَا هَذَا عَلَيْهِ»[1].

وبينما كان مسلم بن عوسجة في هذه الفترة يأخذ البيعة لمسلم بن عقيل، كان حبيب بن مظاهر بمثابة المعاون لمسلم، وتطوَّرت الأحداث بعد مجيء ابن زياد «على غير ما يهوى الهدى ويريد» وانكسرت هذه الحركة، واستشهد مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، وشاع جوٌّ من الخوف والتَّرقّب، وسجن كثير من شيعة أهل البيت وخصوصا شخصياتهم الكبيرة، فاختفى حبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة في قبيلتهما؛ لأنّهما كان مطلوبين من السلطة الأموية، وبالرغم من المراقبة واغلاق بوابات الكوفة إلا أنَّهما وجدا طريقهما ليصلا إلى كربلاء.

◁ حبيب بن مظاهر في كربلاء

يمكن لنا أن نتلمس حالة السرور والفرح التي سادت معسكر الإمام الحسين عليه السلام مع وصول حبيب بن مظاهر إليهم حتى لو لم ينقل لنا التاريخ تفاصيل ذلك، فإن انضمام أناس عاديين لهذا المعسكر كان يشيع البهجة، فكيف إذا كان ذلك مثل حبيب بن

---

(١) تاريخ الطبري (دار المعارف) ٥/ ٣٥٥.

مظاهر مع شخصيته الاستثنائية وصحبته لأمير المؤمنين، وموقعه كشيخ للشيعة في الكوفة!

ولذلك لا نستبعد أن يكون الإمام الحسين عليه السلام أيضا قد خصه بمواضع تشريفية تتناسب مع شخصيته، فهذا هو مقتضى القاعدة من أن يُنزَل الناس على منازلهم!

◁ 1/ تحشيد لنصرة الحسين

وبالفعل فقد بدأ حبيب بممارسة ذلك، فقد أقبل إلى الإمام عليه السلام «فقال: ههنا حيٌّ من بني أسد بالقرب مني أوَ تأذن لي أن أسير إليهم أدعوهم إلى نصرتك فعسى الله أن يدفع بهم عنك بعض ما تكره! فقال له الحسين: قد أذنت لك يا حبيب! قال: فخرج حبيب بن مظاهر في جوف الليل منكرا حتى صار إلى أولئك القوم، فحياهم وحيوه وعرفوا أنه من بني أسد، فقالوا: ما حاجتك؟ يا بن عم! فقال: حاجتي إليكم قد أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم، أتيتكم أدعوكم إلى نصرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه في عصابة من المؤمنين، الرجل منهم خير من ألف رجل، لن يخذلوه ولن يسلموه، وفيهم عين نظرت، وهذا عمر بن سعد قد أحاط به في اثنين وعشرين ألف وأنتم قومي وعشيرتي، وقد جئتكم بهذه النصيحة فأطيعوني اليوم في نصرته تنالوا غدًا شرفًا في الآخرة، فإني أقسم بالله أنه لا يقتل منكم رجل مع ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صابرًا محتسبًا إلا كان رفيق محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أعلى عليين. قال: فوثب رجل من بني أسد يقال له بشر بن عبيد الله، فقال: والله أنا أول من أجاب إلى هذه الدعوة، ثم أنشأ

يقول:

قد علـــم القـــوم إذا تواكلوا   وأحجم الفرسان أو تناصلوا

إني شـــجاع بطـــل مقاتـــل   كأنني ليـــث عرين باســـل

قال: ثم تبادر رجال الحي مع حبيب بن مظاهر الأسدي. قال: وخرج رجل من الحي في ذلك الوقت حتى صار إلى عمر بن سعد في جوف الليل فخبره بذلك. فدعا رجلا من أصحابه يقال له الأزرق بن حرب الصيداوي فضم إليه أربعة آلاف فارس، ووجه به في جوف الليل إلى حي بني أسد مع الرجل الذي جاء بالخبر. قال: فبينما القوم في جوف الليل قد أقبلوا يريدون معسكر الحسين إذ استقبلهم جند عمر بن سعد على شاطئ الفرات. قال: فتناوش القوم بعضهم بعضا واقتتلوا قتالا شديدا، وصاح به حبيب بن مظاهر: ويلك يا أزرق! مالك ولنا؟ دعنا! قال: واقتتلوا قتالًا شديدًا. فلما رأى القوم بذلك انهزموا راجعين إلى منازلهم. فرجع حبيب بن مظاهر إلى الحسين رضي الله عنه فأعلمه بذلك الخبر. فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(١).

◁ 2/ ناطقٌ باسم الحسين؟

عندما نستقرئ حوادث كربلاء نجد أنَّ حبيبًا بن مظاهر، كأنّه كان ناطقًا عن الحسين عليه السلام:

فإنه في اليوم التاسع وعندما جاءت رسالة ابن زياد لعمر

---

(١) الفتوح، لابن أعثم الكوفي ٥/ ٩١.

بن سعد بحسم الموقف، تحت تهديد عزله إن لم يفعل، قال الإمام الحسين عليه السلام لأخيه أبي الفضل العباس: «يَا عباس، اركب بنفسي أنت يَا أخي حَتَّى تلقاهم فتقول لَهُمْ: مَا لكم؟ وما بدا لكم؟ وتسألهم عما جَاءَ بهم؟ فأتاهم العباس، فاستقبلهم فِي نحو من عشرين فارسًا فيهم زهير بن القين وحبيب ابن مظاهر، فَقَالَ لَهُمُ العباس: مَا بدا لكم؟ وما تريدون؟ قَالُوا: جَاءَ أمر الأمير بأن نعرض عَلَيْكُمْ أن تنزلوا عَلَى حكمه أو ننازلكم، قَالَ: فلا تعجلوا حَتَّى أرجع إِلَى أبي عَبْد اللَّهِ فأعرض عَلَيْهِ مَا ذكرتم، قَالَ: فوقفوا ثُمَّ قَالُوا:

القه فأعلمه ذَلِكَ، ثُمَّ القنا بِمَا يقول، قَالَ: فانصرف العباس راجعًا يركض الى الحسين يخبره بالخبر، ووقف أَصْحَابه يخاطبون القوم، فَقَالَ حبيب ابن مظاهر لزهير بن القين: كلّم القوم إن شئتَ وإن شئتَ كلمتُهم، فَقَالَ لَهُ زهير: أنت بدأت بهذا، فكن أنت تكلمهم!

فَقَالَ لَهُ حبيب بن مظاهر: أما وَاللَّهِ لبئس القوم عِنْدَ اللَّه غدا قوم يقدمون عَلَيْهِ قَدْ قتلوا ذرية نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وعترته وأهل بيته عليهم السلام وعباد أهل هَذَا المصر المجتهدين بالأسحار، والذاكرين اللَّه كثيرا!

فَقَالَ لَهُ عزرة بن قيس (من أنصار بني أمية): انك لتزكي نفسك مَا استطعت، فَقَالَ لَهُ زهير: يَا عزرة، إن اللَّه قَدْ زكاها وهداها، فاتق اللَّه يَا عزرة فإني لك من الناصحين»[١].

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٤١٧.

وفي اليوم العاشر: عندما خطب الحسين خطبته المعروفة أمام جيش بني أمية: «فانسبوني فانظروا من أنا، ثُمَّ ارجعوا إِلَى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا، هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه، وأول الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ والمصدق لِرَسُولِهِ بِمَا جَاءَ بِهِ من عِنْدَ ربه! او ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي! أوليس جَعْفَر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمّي! أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لي ولأخي: هَذَانِ سيدا شباب أهل الجنة!»[1]، فلماَّ وَصَلَ فيهَا إلى نقطة التَّأْثير «قام شمر بن ذي الجوشن فقال: إنَّه -أي شمر- يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ إِنْ كَانَ يَدْرِي مَا يَقُول» الحسين، والغرضُ من قوله هذا هو تشتيت التَّأثير من قول الحسين، فلو كان يتكلّم شخص ويؤثر في النَّاس، فيقوم شخص يريد إفساد تأثير هذا الكلام في النَّاس، فيقول لا نعلم ماذا تقول أو ماذا تريد منَّا، ما الَّذي تتحدّث عنه؟

هنا قام حبيب بن مظاهر وقال له: «والله إنّي لأَرَاكَ تعبدُ الله على سبعينَ حَرْفًا، وأنا أشهدُ أَنَّكَ صَادِقٌ ما تدري ما يقولُ، قَدْ طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِك» فردَّ كلامَه تمامًا، بالقول إنَّك إنسانٌ تعبد الله على الشَّهوات والأهواء ولستَ ثابتًا ومستقيمًا، وتعبد الله على سبعين حرفًا فأنت متقلب، ولو قلتَ لا تفهم فأنت فعلا لا تفهم لأنَّك بهيمة لا عقل لديك، والمقصود هو أن لا تصبحوا مثله حيث

(١) المصدر نفسه ٥/ ٤٢٥.

إنَّكم فهمتم قول الحسين وهو لم يفهمه، فهذا الموقف يحفظ لحبيب في أنَّه صَانَ كلام الحسين عليه السلام من أن يُشتَّت ويَفقد تأثيره.

◁ 3/ ويرد بقوة على الحصين التميمي

حَانَ وقتُ الصَّلاة وقال أبو ثمامة الصَّائدي للحُسَيْن: «هذا وقت الصَّلاة قد حضر وأحبُّ أن ألقى ربِّي وقد صلَّيتُ هذه الصَّلاة معك» فرَفَعَ الحسينُ رأسَه ثمَّ قال: ذَكَرْتَ الصَّلاة جَعَلَكَ اللهُ من المصلّين الذَّاكرين نعم هذا أوَّل وقتها ثمّ قال: سلوهم أن يكفُّوا عنَّا حتَّى نُصلّي، فذهب للقوم العبَّاس بن علي وحبيب بن مظاهر، فطلب منهم العبّاس إيقاف الحرب، وقال: إنَّ الحسين يريد أن يصلي، ويسألكم إيقاف القتال، فقال الحصين بن نمير التَّميمي: فليصلِّ فإنَّ صلاته لا تُقبل، ولكنَّ حبيب رأى نفسه ملزمًا بالرَّد، فقال له: «زعمت الصَّلاة من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تُقبل وتُقبل منك يا خَمَّار»[1].

◁ الحصين بن نمير خَمَّار أم حِمَار؟

نقلت في بعض المصادر التَّاريخية كتاريخ الطَّبري ومن نقلها بعده بهذه الصيغة: «وَتُقْبَلُ مِنْكَ يَا حِمَار» ونعتقد أن هذا تصحيف، وأن الصحيح هو خمّار! وذلك لسببين:

الأوَّل: أنّها نقلت في مصادر تاريخيَّة أخرى بالخاء المعجمة.

الثَّاني: لا معنى لوجود (حِمَار) هنا، ولكن وجود (خَمَّار) أنسب؛ لأنّه لا تقبل صلاة الخَمَّار، كما نصَّت على ذلك كثير من

(١) تاريخ الطبري٥/ ٤٤٠.

الرّوايات، وهؤلاء عُرفوا بشربهم للخمر، بل التّظاهر بشرب الخمر في عهد يزيد كان عاديًّا، فالأنسب أن يخاطبه حبيب بن مظاهر بقوله: أنت الّذي تشرب الخمر تُقبل صلاتك وابن رسول الله لا تُقْبَل صلاته، وهذا معنى صحيح وهو أنَّ الّذي يشرب الخمر وهو أنت يا حصين لا تقبل صلاته، لأنَّ بين الأمرين تنافيًا فشرب الخمر مع الصَّلاة يتنافيان، أمَّا قوله: (حِمَار) لا معنى لها.

◁ كُنْتَ فاضلًا تختمُ القرآنَ في لَيْلَة

ثمَّ بعد هذا الحوار الَّذي دار بينهما تقاتل حبيب بن مظاهر مع الحصين بن نمير،[1] فضرب حبيب على وجه فرس الحصين، فألقى الفرسُ الحُصينَ على الأرض، ووقع عنه وحمله أصحابه فاستنقذوه، وأخذ حبيب بن مظاهر يقاتل قتالا شديدا وهو يقول:

أنـــا حبيـــبٌ وأبي مُظْهِـــرُ فارسُ هَيْجاء وحَرْب تسعرُ
أنتـــمْ أوفـــرُ عـــدَّةً وأكثـــرُ ونحنُ أوفى منكـــمُ وأَصْبَرُ
ونحنُ أعلى حُجَّـــةً وأظهرُ حقًّـــا وأنقى منكـــمُ وأَطْهَرُ

فشدَّ على حبيب بُدَيْلُ بن صريم فضربه بالسّيف، وحمل عليه آخر من بني تميم فطعنه بالرّمح في ظهره فوقع، فذهب ليقوم فضربه الحصين بن نمير على رأسه بالسّيف فوقع، ونزل إليه التَّميمي فاحتزّ رأسه[2]، يعني اشترك ثلاثة أشخاص في قتال حبيب بن مظاهر!

---

(١) سيأتي ذكر حياته السيئة في الحديث عن عصبة الإثم وقتلة الحسين وأصحابه.
(٢) مقتل الحسين، لأبي مخنف الأزدي ص ١٤٥.

وبناءً على هذا النَّقل فإن حبيب استشهد قبل موعد صلاة الجماعة، حيث كان يدافع عن حيثيَّة وشخصيَّة الحسين، ولم يتحمَّل كلمةً نابيةً من قِبَلِ ذلك الرّجل اللَّعين، فاستشهد صلوات الله وسلامه عليه بهذه الطّريقة، حيث أبّنه الحسين عليه السلام وذكر فضائله وما كان من ختمه للقرآن بقوله: «لله درُّك يا حَبِيْبُ! لَقَدْ كُنْتَ تَخْتُمُ القُرْآنَ في ليلةٍ وَاحِدَة»(١).

◁ بشر القاتل بالقتل ولو بعد حين

تنازع الحصين بن نمير التميمي مع تميمي آخر (لا ذكر له في التاريخ سوى هذه الجريمة) احتز رأس حبيب بن مظاهر بعدما صرع على الأرض! فَقَالَ لَهُ الحصين: إني لشريكك فِي قتله! فَقَالَ الآخر: وَاللَّهِ مَا قتله غيري!

فَقَالَ الحصين: أعطنيه أعلقه فِي عنق فرسي كيما يرى الناس ويعلموا أني شركت فِي قتله، ثُمَّ خذه أنت بعد فامض بِهِ إِلَى عُبَيْد اللَّهِ بن زياد، فلا حاجة لي فِيمَا تعطاه عَلَى قتلك إِيَّاهُ!

أقول: المهم عند الحصين أن يعلم الناس أنه شارك في قتله! وهذا الحصين يعلم أن غاية التميمي الآخر هي دراهم وحطام دنيا من قتل فاضل يختم القرآن في ليلة واحدة! المهم أنه صارت مشكلة بينهما! على من يحمل رأس حبيب بن مظاهر! وكان حلها من قومه أن يحمله قليلا.

---

(١) معالي السبطين ج١ ص٣٧٦، ينابيع المودة ص ٤١١.

«فأصلح قومه فِيمَا بينهما عَلَى هَذَا، فدفع إِلَيْهِ رأس حبيب بن مظاهر، فجال بِهِ فِي العسكر قَدْ علقه فِي عنق فرسه، ثُمَّ دفعه بعد ذَلِكَ إِلَيْهِ، فلما رجعوا إِلَى الْكُوفَةِ أخذ الآخر رأس حبيب فعلقه فِي لبان فرسه، ثُمَّ أقبل بِهِ إِلَى ابن زياد فِي القصر فبصر بِهِ ابنه الْقَاسِم بن حبيب، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ قَدْ راهق[1]، فأقبل مع الفارس لا يفارقه، كلما دخل القصر دخل مَعَهُ، وإذا خرج خرج مَعَهُ، فارتاب بِهِ، فَقَالَ: ما لك يَا بني تتبعني! قَالَ: لا شَيْء، قَالَ: بلى، يَا بني أَخْبِرْنِي، قَالَ لَهُ: إن هَذَا الرأس الَّذِي معك رأس أبي، أفتعطينيه حَتَّى أدفنه؟

قَالَ: يَا بني، لا يرضى الأمير أن يُدفَن، وأنا أريد أن يثيبني الأمير عَلَى قتله ثوابًا حسنًا! قَالَ لَهُ الغلام:

لكن اللَّه لا يثيبك عَلَى ذَلِكَ إلا أسوأ الثواب[2]، أما وَاللَّهِ لقد قتلت خيرا مِنْكَ، وبكى فمكث الغلام حَتَّى إذا أدرك لَمْ يَكُنْ لَهُ همة إلا اتباع أثر قاتل أَبِيهِ ليجد مِنْهُ غرة فيقتله بأبيه، فلما كَانَ زمان مُصْعَب بن الزُّبَيْرِ وغزا مصعب باجميرا[3] دخل عسكر مصعب فإذا قاتل أَبِيهِ فِي فسطاطه، فأقبل يختلف فِي طلبه والتماس غرته، فدخل

---

(١) قارب الاحتلام، وغلام راهِق وذلك ابن العشر إلى إحدى عشرة. كما في لسان العرب.

(٢) فانظر إلى الفرق بين منطق الغلام الذي لم يبلغ وقد يكون ابن احدى عشرة سنة حيث يدور فكره مدار ثواب الله وعقابه وبين ذلك الجلف القاتل الذي يرفض إعطاء الابن اليتيم رأس أبيه لأنه يريد أن يثيبه الأمير ثوابا حسنا! .

(٣) موضع من سواد الكوفة كما عن / معجم ما استعجم.

عَلَيْهِ وَهُوَ قائل نصف النهار فضربه بسيفه حَتَّى بَرَد»[1].

وعظة ذلك: أنه لم يكن بين قتل حبيب بن مظاهر وموقف ابنه القاسم من قاتل أبيه وبين هلاك هذا التميمي مجهول الاسم، وقبيح الفعل سوى ست سنوات، حيث دخل مصعب بن الزبير إلى الكوفة سنة ٦٧هـ. وقد أخذ القاسم بن حبيب بثأر أبيه من قاتله المجرم.

(١) تاريخ الطبري (دار المعارف) ٥/ ٤٤٠.

من سائر الشهداء الأبطال

◄ الحرُّ بن يزيد الرِّياحي

◁ التَّوْبَة حُريَّة

لم تكن واقعةُ عاشوراء مجرّدَ معركةٍ بين فئتين محدَّدةً بزمان ومكان معينَيْنِ بل هي مدرسةٌ متجدّدة في كلّ زمان ومكان بما قدّمته من نماذج إنسانيَّة وفكريَّة وفلسفيَّة، ومن هذه النَّماذج الرائعة (الحرّ بن يزيد الرّياحي) الَّذي جَسَّد أروع نموذج للضَّمير الإنسانيّ الحيّ والإرادة الحرّة الواعية بانتقاله من خندق الظَّلام إلى ساحة النُّور، وخروجه من حياة العبوديّة إلى طريق الأحرار، فأصبح رمزًا من الرّموز الإنسانيَّة الخالدة، ومِثَالًا يُحتَذَى بِهِ في سلوك الإنسان وتمسّكه بالقيم العليا والمبادئ المثلى.

هذا الرَّجل مَثَّل شخصيَّة مختلفة عن سائر الشّهداء من جهتين: (الحريّة) و(التَّوبة):

للحريَّة معنى خاطئ عند بعض النَّاس حين يَتصوَّر أنَّه لا

يوجد أمامه قيود تحجز حركته، وأنَّ الإنسان الحرّ – في زعم هؤلاء– إذا أراد شيئًا فعله، فحين يُقال له: لماذا تفعل هذا الشَّيء؟ يقول: أنا حرّ، خصوصًا إذا كان الفعل مرتبطًا بماله أو شهوته.

هذا المفهوم للحريَّة هو عين العبوديّة المبغوضة، فهذه ليست حريّة بل استعباد من قبل الشَّهوات لهذا الإنسان، فشهوة الأكل تستعبده وتقوده فيتوجّه للأكل دون أن يتحرَّى الحلال والحرام، وكذلك شهوة الجنس يخضع لها ويكون عبدًا مأمورًا لهذه الشَّهوة فتراه ينجرف وراء الأفلام الخليعة والعلاقات المحرَّمة ويمارس شهوته الجنسيَّة خارج القانون الشَّرعي، ولكنَّه لو تأمَّل نفسه لوَجَدَ أنَّه عبدٌ خاضع لشهواته، وليست هذه حريَّة، ونُقِلَ في الحديث عن النَّبيّ ﷺ أنَّه قال: «تَعِسَ عبدُ الدِّينَار وعبدُ الدِّرْهم، وعبد الخَمِيْصَة، وعبد القَطِيْفَة إِنْ أُعْطِي رَضِيَ وإِنْ لم يُعْطَ لم يَرْضَ»[1]، فالَّذي يخضع لشهواته هو عبد لمتعدّدينَ وليس لواحدٍ هو عبدٌ لشهوة الجنس وعبدٌ لشهوة البطن وعبدٌ لشهوة حبّ المال وحبّ الذّات، بالنسبة له فَرْجهُ إِلَهٌ، وبطنه إِلَهٌ، وماله ربٌّ.

وإنما يكون الإنسان حرًّا حين ينجو من كلّ الضّغوط ويكون خاضعًا لله تعالى الّذي خلقه حرًّا.

ومن هذه الحريّة تتفرّع التّوبة فإنَّ الإنسان الحر حين يُذنب لا يجد نفسه أسيرًا للتمادي في المعصية، وإنما يجد في نفسه الحرية

---

(١) صحيح البخاري، ج ٣ ص ٢٢٣.

للتمرد على دواعي الاستمرار فيها، ولا يرى أن ذلك قدَر لا مفر منه! ولذلك فهو حين يلتفت إلى عصيانه وزلل قدمه، سرعان ما يتراجع بالتَّوبة، ولأجل هذا الارتباط بين الحريّة الحقيقيّة والتَّوبة يمكن لنا أن نفهم ما قاله الإمام الحسين في حواره مع الحر الرياحي حيث فقد قال له الحر: «أفترى ذَلِكَ لي توبة؟

قَالَ: نعم، يتوب اللَّه عَلَيْك، ويغفر لك، مَا اسمك؟ قَالَ: أنا الحر بن يَزِيدَ، قَالَ: أنت الحر كما سمتك أمك، أنت الحر إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا والآخرة»[1].

◄ أَضْوَاء على شَخْصِيَّة الحرّ الرّياحي

أمَّا ماضي حياته فلا نعلم منها شيئًا، لأنَّه كان واحدًا من آلاف النَّاس العاديّين الّذين لم يكن لهم تَمَيُّزٌ في عِلْم أو عَمَل فإذا كان عملا خيّرًا ذُكر بهذا الاعتبار، وكذلك لو كان عملًا سيئًا استثنائيًا فيذكر ضمن هذا الاطار.

وإنّما ذُكِر الحرّ الرّياحي دون غيره في الجيش الأمويّ، لأنَّ قصته متميزة وواعظة لتقول لنا بأن لا نترك هذه الحياة وقد خلفنا ذكرًا حسنًا بعدنا.

فليس من ماضٍ يذكر له سوى أنَّه من قبيلة بني رياح اليربوعيَّة التميميَّة، وهذه القبيلة فيهم شخصيات عملوا خيرًا فذُكروا في

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٤٢٨، وفي بعض المصادر: إن ذلك كان في تأبينه حيث قال: أنت حر في الدنيا وسعيد في الآخرة.

الخيّرينَ، فمن هذه الشخصيّات المتميّزة في هذه القبيلة (مَالِك بن نُوَيْرَة اليَرْبُوعيّ التَّميمي) الّذي جاء لرسول رسول الله ﷺ وأسلم على يديه وعلّمه النَّبيّ معالم الدّين، ثمَّ عيَّنه زعيمًا على قومه ومرشدًا ومعلّمًا لهم، وأخبره النَّبيّ إن صارت عندهم زكوات وقدم للمدينة فليدفعها للنَّبيّ إن كان موجودًا، وإنْ لم يكن موجودًا فليدفعها لعليّ بن أبي طالب، توجَّه إلى قومه (بني يربوع) وانشغل بتعليمهم ووعظهم وتعريفهم بالإسلام حتَّى أسلموا، ثمَّ صارت فرصة أنَّه قَدِم بزكوات قومه للنّبيّ وصل للمدينة وقد ارتحل النَّبيّ عن عالم الدنيا، فرأى الّذي على المنبر ليس رسولَ الله ولا عليًّا، فرجع بزكوات قومه وقال لهم: النّبيّ أخبرني أن أعطيَها له أو لعليّ بن أبي طالب، أمَّا وقد فارق النّبيّ الحياة، وأبعد عليٌّ عن خلافته، فخذوا زكواتكم هذه وادفعوها لمن شئتم!

اعتبرت الخلافة ذلك تمردًا وردّةً عن الإسلام! فجرَّدت عليه وعلى قومه حملةً عسكرية بقيادة خالد بن الوليد، وبيّتوهم ليلاً وقتلوا الرّجال وسَبَوا النّساء وجرى ما جرى حتَّى دُخِلَ بزوجة مالك بن نويرة في نفس ذلك اليوم مِنْ قِبَلِ قائد الحملة العسكريَّة[1].

وكان قد ورد في شَأْن مالك بن نويرة مدحٌ مِنْ قِبَلِ رسول الله حيث قال في حقّه: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إلى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجنَّةِ فَلْيَنْظُر إِلى هَذَا الرَّجُل»[2].

(١) يُنظر تفاصيل الحادثة في: تاريخ الطبري ٢ / ٥٠٢.
(٢) بحار الأنوار، للعلامة المجلسّي، ج ٣٠ ص ٣٤٣.

وبينما ترك مالك هذا الذكر الرائع مطوقًا بحديث رسول الله، فقد ترك في المقابل بعض شخصيات قبيلته الذكر السيء واللعنة الباقية وهو (شَبَث بن رِبْعِي اليربوعيّ التّميميّ) الَّذي شهد كربلاء مُحَشِّدًا على ابن بنت رسول الله وقائدًا للعسكر ضدَّه.

وشتان بين الذِّكرين، والتاريخين! ولربّ موقفٍ صالحٍ في نهارٍ واحدٍ يجعل للمرء ذكرا خالدًا ما دام الزمان والانسان، وعكسه في المواقف السيئة. والأول هو ما حصل مع الحر الرياحي.

◄ صفات الحرّ بن يزيد الرّياحي

من خلال التأمل في قصة الحر يمكن لنا أن نستكشف بعض جوانب شخصيته وصفاته:

◁ الصّفة الأولى: القدرة على القيادة العسكريَّة

مَنْ يتأمّل في بعض مواقف كربلاء يجد أنَّ الحرّ كانت له قدرة عسكريّة مميّزة في القيادة والشَّجاعة، وهناك فرق بين القيادة العسكريَّة والشَّجاعة[1]، فالحرّ كان جامعًا بين القيادة العسكريَّة

---

(١) ولهذا اتِهُّم أميرُ المؤمنين من قِبَلِ قريش بأنَّه شجاعٌ ومقاتلٌ قويٌّ ولكن ليست عنده إدارة وقيادة عسكريَّة لذلك لا يمكنه أن ينجح، فكذَّب الإمامُ عليه السلام مقالتهم وردّ عليهم بقوله: «حتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْش إِنَّ ابنَ أَبي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلَكِن لا عِلْمَ لهُ بالحَرْب، لله أَبُوهُم وهَلْ أَحَدٌ مِنْهُم أَشَدُّ لها مِرَاسًا وَأَقْدَمُ فيهَا مُقَامًا منّي لَقَد نَهَضتُ فِيْهَا وَمَا بَلَغْتُ العِشْرِيْنَ، وهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرفْتُ عَلَى السِّتينَ». يُنظر: نهج البلاغة، ج ١ ص٧٠.

والشَّجاعة، ويظهر ذلك من خلال تَوْلِيَتِهِ على قيادة ألف مقاتل من قبل السُّلطة الأمويّة، عندما أُرسل الحرّ لاعتقال الإمام الحسين عليه السلام - وهذه كانت مهمّته الرئيسة أن يعتقل الحسين ويسلّمه لابن زيادٍ في الكوفة - ووُضِعَ تحت إِمْرَتِهِ ألفُ مقاتل وفيهم الشّجعان والفُرسان لتنفيذ هذه المهمّة وهذا كاشفٌ عن قوّة قيادته العسكريَّة.

◁ الصّفة الثَّانية: البطولة والشَّجاعة

إضافةً إلى ذلك نستكشف من كلام بعض مَنْ كان معه في ذلك الوقت أنَّه مقاتل شجاع بل وصفه بأنه أشجع أهل الكوفة، لأنَّ الحرّ لَمَّا رأى أنَّ القوم قد صمَّموا على قتال الحسين عليه السلام جاء لعمر بن سعد وقال له: أَيْ عُمَر، أمقاتلٌ أنت هذا الرَّجُل؟، فقال ابنُ سعد: إي والله قتالًا أَيْسَرُه أن تسقط الرُّؤوس وتطيح الأيدي، عندها أقبل الحرُّ حتَّى وقف من النَّاس موقفًا، ومعه رجلٌ من قومه يقال له: قُرَّة بن قيس، فقال: يا قُرَّة هل سَقَيْتَ فَرَسَكَ اليوم؟ قال: لا، قال: فما تُريد أن تَسْقِيَه؟ قال قرَّة: فظننتُ والله أنَّه يريد أن يتنحَّى فلا يشهد القتال، ويكره أن أراه حين يصنع ذلك، فقلتُ له: لم أَسْقِهِ وأنا منطلق فأسقيه، فاعْتَزَلَ ذلك المكان الَّذي كان فيه، فواللهِ لو أنَّه أطلعني على الَّذي يريد لخَرَجْتُ معه إلى الحسين بن عليّ!، فأخذ يدنو من الحسين شيئا فشيئًا، فقال له المهاجرُ بنُ أوس: ما تريد يا بن يزيد، أتريد أن تحمل؟، فلم يجبه وأخذه مثل الإفْكَل - وهي الرَّعْدَة - فقال له المهاجر: إنَّ أمرَكَ لمريب، والله ما رأيتُ

منك في موقفٍ قطّ مِثْلَ هذا، ولو قيل لي: مَنْ أَشْجَعُ أهلِ الكُوفة مَا عَدَوتُك، فما هذا الَّذي أرى منك؟!

فقال له الحرّ: إنّي واللهِ أُخيِّر نفسي بين الجنَّة والنَّار، فواللهِ لا أختار على الجنَّة شيئًا ولو قُطِّعْتُ وأُحْرِقْتُ![1]

ثمّ ضرب فرسه فلحق بالحسين عليه السلام، ولو عَلِم الجيشُ الأمويّ أنّ الحرّ كان يقصد الحسين لرُمِيَ بسهمٍ كما صرَّح بذلك أحدُ أبناء قبيلته – وهو يزيد بن سفيان التَّميميّ – حيث قال: «لو عَلِمْتُ أنَّ الحرَّ ذاهبٌ للحُسَيْن لَرَمَيْتُه بسَهْمٍ مِنْ خَلْفه»، ولعل غيره وهم كثيرٌ كانوا سيفعلون ما صرَّح به يزيد بن سفيان وإن لم يعلنوه؛ لأنَّ الحرّ لم يكن مقاتلًا عاديًّا في جيش بني أميَّة، بل كان قائدًا في الجيش بحيث إنَّ قبيلتين كانت تحت إمْرَتِه يوم عاشوراء، فقد جعله عمر بن سعد على قبيلتي تميم وهمدان، لكنَّه لذكائه قال لقُرَّة بن قيس أسقيتَ فرسك اليوم؟ – وهو بذلك يهدف للتَّعمية على خروجه والتحاقه بالحسين– فقال له: بلى، لقد سقيتُه الصَّباح، فوكز الحرّ فرسه كأنَّه سيسقيه، وبعدها توجَّه إلى جهة الحسين للانضمام في ركبه.

◁ الصّفة الثَّالثة: الحكمة في التَّصرفات

حكمة الإنسان في تصرفاته هي الَّتي تقوده إلى أحسن النّتائج، بينما غوغائيّته وانفعاله وغضبه واتّخاذ المواقف الحادّة هي الَّتي تُورده المهالك، والَّذي يظهر من تصرفات الحرّ الرّياحيّ أنَّه كان

---

(١) الإرشاد، للشيخ المفيد، ج ٢ ص ١٠٠.

حكيمًا، وحين يدرس الباحث ردود أفعاله يجدها تدلّ على حكمته، ومن ذلك موقفان:

الأوَّل: حين جاء على رأس ألف مقاتل من الكوفة، وكان الحسين قد وصل إلى عُذَيْب الهجّانات والتقى به، وكان قد أضرَّ به وبأصحابه العطش، فأَمَرَ الحسين عليه السلام بسقي الرّجال، وأَنْ يُرشّفوا الخيل ترشيفا [١]، بعدها سأل الحرّ: يا حرّ لنا أم علينا؟

فقال له: إنّي أُمِرْتُ إن لقيتُك ألَّا أتركك حتَّى آخذ بيدك لابن زياد، دار الكلام بينهما في أخذ وردّ حتَّى قال الحرّ للحسين: إِنْ قاتلتَ لَتُقتلنَّ، فقال له الحسين: أبا لقتل تخوّفني، ثمَّ التفت لأصحابه قائلا: انصرفوا، فلمَّا ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف، فقال الحسين عليه السلام للحرّ: ثَكَلَتْكَ أمُّك، ما تريد؟[٢]

«فقال الحر: والله لو غيرك يقولها ما تركت ذكر أمه. ولكنه والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما أقدر عليه، فقال الحسين: فما تريد؟ قال: أريد أن أقدمك على عبيد الله بن زياد، قال: فإني والله لا أتبعك، فقال الحر: وأنا والله لا أدعك.

---

(١) والترَّشيف معناه رشّ الماء على الخيل لا سقيها؛ لأنَّه يُقَال إذا قَطَعَت الخيل مِشْوارًا طويلًا وسقيت الماء مباشرة هذا السَّقي المباشر قد يؤذيها ويُوْدِي بحياتها، لذلك أوَّل الأمر يبرّدوها بالتَّرشيف بعد ذلك تُسْقَى الماء على دفعات.

(٢) إن صحَّ هذا النقل فلا يُثِيُر إشكالا؛ لأنّ الحرّ في هذا الموقف كان باغيًا على إمام زمانه ويستحقّ أكثر من هذا، وجاء جائرًا ليأخذ إمام زمانه ليسلّمه لابن زياد لكي يسجنه أويقتله.

فلما ترادّا الكلام قال له الحر: لم أؤمر بقتالك وإنما أمرت أن أقدم بك الكوفة فإذا أبيت فخذ طريقا لا يدخلك الكوفة ولا يردك إلى المدينة يكون بيني وبينك نصفا حتى أكتب إلى الأمير عبيد الله بن زياد وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية إن أحببت ذلك، أو إلى ابن زياد إن شئت، فلعل الله أن يرزقني العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك»[١] وهنا نلاحظ رد الحر على الحسين عندما قال له ثكلتك أمك! فقد بقي احترامه لسيدة نساء العالمين غالبا على موقف الغضب بل وقال إن الزهراء لا تذكر إلا بأحسن ما يُقدر عليه، فإن ردّة الفعل هذه تكشف عن شخصيَّة تتصف بالحكمة.

ومع أنه كان الأكثر عدة ورجالا، وفي مثل هذه الحالة يميل صاحب الغلبة الظاهرية أن يحسم الموقف عسكريا! إلا أنه قدَّم اقتراحًا وسطًا ينتهي إلى أن ينزع فتيل الأزمة وألّا يبتلى بدم الحسين عليه السلام. فلا يدخل الحسين الكوفة ولا يرجع إلى المدينة!

إن هذا الموقف من شخصية عسكرية لها غلبة ظاهرية، وضمن ظروف يكون الحسم فيها بالسيف، ويقول بعضهم فيها إن كلمته لا تتثنى، ولا بد من الحسم في الثقافة العسكرية.

ولأن الحسين عليه السلام هو كجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي ما عُرِض عليه أمران في أحدهما الرّفق إلا اختاره، لم يُصرّ على الذهاب للكوفة ولا على الرّجوع إلى المدينة!

---

(١) أنساب الأشراف ٣/ ٣٨١.

الثَّاني: حين حان وقت الصَّلاة قال الحسين عليه السلام للحرّ: أتصلّي بأصحابك وأصلّي بأصحابي؟، فقال الحرّ: لا، بل نصلّي بصلاتك، هؤلاء بحسب النَّظرة الظاهريَّة أعداء وقد تنشب المعركة بينهما في أيّ لحظة، ولكن مع ذلك لأنَّه يعرف أنَّ هذا هو الحسين بن عليّ وهو أفضل منه دينًا وعلمًا وهو إمام الصَّلاة، فلم يستقلّ بالصَّلاة مع أصحابه بل صلَّى هو وأصحابه بصلاة الحسين عليه السلام.

هذه الصّفات الّتي تجسَّدت في شخصية الحرّ هي الّتي قادته إلى تلك النتيجة الحسنة «أَنْتَ حُرٌّ في الدّنيَا وسَعِيْدٌ في الآخِرَة».

◁ الخيرُ والبركةُ في نَسْل الحرّ الرّياحي

لعل من بركات تلك المواقف، ومنها احترام الحرّ بن يزيد الرّياحي لذكر فاطمة الزهراء عليها السلام، أن بارك الله في نسله، فكان من ذلك أسرة في لبنان تنسب إليه، ورجالها الصالحون والعلماء كثيرون، ولو لم يكن إلا الحر العاملي رحمه الله لكفاه فضلا وسؤددا.

فإن المحدث محمد بن الحسن الحر العاملي[1]، (المتوفى سنة ١١٠٤هـ) قد ألف كتابًا بقي إلى يومنا هذا لا يستغني عنه فقيه أو مجتهد وهو كتاب (وسائل الشيعة) حيث جمع فيه (٣٦) ألف حديث من أوَّل أبواب الطَّهارة إلى آخر أبواب الدّيات.

◁ أَنْتَ حُرٌّ في الدّنيَا وسَعِيْدٌ في الآخِرَة

انطلق الحرّ نحو الحسين تائبًا وقد غيَّر من هيئته حيث غمد

---

(١) تحدثنا عن شخصيته وسيرته في كتابنا (من أعلام الإمامية).

سيفه ونزع خُوذته وجاء مطأطئًا برأسه وهو يقول: جُعِلْتُ فداك - يا ابن رسول الله - أنا صَاحبُك الَّذي حبستُك عن الرّجوع، وسايرتُك في الطَّريق، وجَعْجَعْتُ بك في هذا المكان، وما ظننتُ أنَّ القوم يردّون عليك ما عرضتَه عليهم، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، واللهِ لو عَلِمْتُ أنَّهم ينتهون بك إلى ما أرى ما ركبتُ منك الَّذي ركبت، وإنّي تائبٌ إلى الله تعالى مما صنعت، فترى لي من ذلك توبة؟، فقال له الحسين عليه السلام: نعم، يتوب الله عليك فانزل، قال: أنا لك فارسًا خيرٌ منّي راجلًا، أقاتلهم على فرسي السَّاعة، وإلى النّزول يصير آخر أمري.

◁ خطبة ونصيحة للقوم

فقال له الحسين عليه السلام: فاصنع - يرحمك الله - ما بدا لك، واذهب للقوم وعظهم لعلّ أحدهم ينجو بوعظك، فأقبل نحو القوم وقام فيه خطيبًا وقال: يا أَهْلَ الكوفة، لأُمّكُم الْهَبل والعَبَر، أَدَعَوتُم هذا العبدَ الصَّالح حتَّى إذا أتاكم أَسْلَمْتُمُوه، وزَعَمْتُم أنَّكم قَاتِلُوا أَنْفُسَكم دونه ثمَّ عَدَوْتُم عليه لتقتلوه، أَمْسَكْتُم بنفسه وأَخَذْتُم بكَظْمِه[1]، وأحطتم به من كلّ جانب لتمنعوه التَّوجه في بلاد الله العريضة، فصار كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه نفعًا ولا يدفع عنها ضرّا، وحَلأْتُمُوه[2] ونساءَه وصبيتَه وأهلَه عن ماء

(١) يقال: أَخَذْتُ بكَظْمِهِ أي: بمخرج نفسه. يُنظر: الصحاح، للجوهري، مادة (كظم)، ٥: ٢٠٢٣.

(٢) حَلاه عَنِ الماء: طَرَدَهُ ولم يَدَعْهُ يشرب. يُنظر: الصحاح، للجوهري، مادة (حلا)، ١: ٤٥.

الفرات الجاري يشرب به اليهود والنَّصارى والمجوس وتَمرّغُ فيه خنازيرُ السَّواد وكلابُه، وها هم قد صَرَعَهم العطش، بئس مَا خَلّفتُم محمَّدًا في ذريته، لا سَقَاكم الله يوم الظّمأ الأكبر!

فحمل عليه رجالٌ وصاروا يرمونه بالنَّبل[1]، فضربوا لبَّةَ فرسه فشبَّ به الفرس من الألم حتَّى قفز من على ظهره وصار يُقاتل القوم راجلاً حتَّى تكاثروا عليه وضربوه بأسيافهم ومضى شهيدًا، فأتاه الحسين عليه السلام ودمه يشخب مؤبّنًا له قائلا: «أَنْتَ حُرٌّ كما سُمّيْتَ في الدّنيَا والآخِرَة»[2].

◄ زُهَيْرُ بنُ القَيْنِ البَجَلي

◁ مَنْ هو زُهَيْر ابن القين؟

يقسم الباحثون قبائل العرب إلى قسمين:

١/ عرب الشَّمال أو القبائل العدنانيَّة؛ مضر وربيعة ومنهم: (قُرَيْش، وهوازن، وتميم، ووائل وبكر وتغلب).

٢/ عرب الجنوب أو القبائل اليمنيّة أو القحطانيّة ومنهم: (طيء ولخم ومذحج ومراد وهمدان والأزد وقضاعة).

وزُهير بن القين الأَنْمَارِيُّ البَجَلِيّ هو من قبيلة (بَجِيْلَة) من قبائل اليمن، وقبائل تُعتبر خَزَّان العرب من حيث الوفرة السكانيَّة، وقد انتشرت على أثر الهجرات المتعدّدة من اليمن إلى المناطق الجديدة

---

(١) الإرشاد، للشيخ المفيد،ج ٢ ص ١٠٠.
(٢) الأمالي، للشيخ الصدوق ص٢٢٣.

المسلمة، مثل الكوفة، والبعض منهم استقر في المدينة المنورة وغيرهما من المناطق إما لنيل الثَّقافة والمعرفة الدينيَّة، أو لطلب الرّزق، وقيل إن قبيلة (أَنْمَار) الَّتي تنتمي إلى الدَّائرة الأوسع وهي (بَجِيْلَة) الَّتي ينتمي إليها زُهير بن القَيْن.

◁ هل كان زُهير بن القَيْن في المدينة المنورة

تذكر المصادر التاريخية أن زهيرًا كان في الكوفة ويعد من أشراف قومه فيها، وهناك خبر قد ذكر في بعض المصادر المتأخرة، من غير إسناد يفيد أنه كان في المدينة في وقت زواج الإمام علي عليه السلام بأم البنين الكلابية وقد نقله الشيخ النقدي (ت ١٣٧٠هـ) عن الفاضل الدربندي (١٢٨٥هـ) الذي ذكره غير مسند هكذا: «في الأسرار للفاضل عند ذكر شهادة العباس عليه السلام: قيل أتى زهير إلى عبد الله بن جعفر بن عقيل قبل ان يقتل فقال يا أخي ناولني الراية فقال له عبد الله أو في قصور عن حملها قال لا ولكن لي بها حاجة قال فدفعها إليه واخذها زهير واتى فجاء إلى العباس بن علي وقال يا بن أمير المؤمنين أريد ان أحدثك بحديث وعيته فقال حدث فقد حلا وقت الحديث:

حدث ولا حرج عليك فإنما ... تــروي لنا متواتر الاســـناد

فقال أعلم يا أبا الفضل أن أباك أمير المؤمنين لما أراد ان يتزوج أم البنين بعث إلى أخيه عقيل وكان عارفا بأنساب العرب فقال عليه السلام: يا أخي أريد منك ان تخطب لي امرأة من ذوي البيوت والحسب والنسب والشجاعة لكي أصيب منها ولدًا شجاعًا وعضدًا ينصر

ولدي هذا – وأشار إلى الحسين – ليواسيه في طف كربلا وقد ادخرك أبوك لمثل هذا اليوم فلا تقصر عن حلائل أخيك وعن أخواتك»[١] وانتقل إلى عدد من كتب المقاتل المتأخرة[٢] بهذا النحو. فإن تم هذا أو كانت عليه قرائن، فهو يشير إلى جهتين؛ إلى كون زهير في تلك الفترة في المدينة المنورة وإلى أنه كان قريبا من البيت العلوي. خصوصا أن ظاهره يشي بعدم نقله الخبر عن آخرين.

لكن المشكلة هي في أصل الخبر أننا لا نعرف كيف نقله الدربندي[٣] وعن أي طريق وصله؟

نعم يمكن أن يشير إلى وجوده في المدينة الخبر المعروف بين المؤرخين وهو خروج زهير بن القين ضمن الجيش الذاهب لقتال الفُرس في سنة ٢٢هـ والذي انتهى إلى فتح منطقة بلنجر[٤] في فارس،

---

(١) الأنوار العلوية، الشيخ جعفر النقدي، ص ٤٤٣.

(٢) كمعالي السبطين للحائري، ج ١، ص ٤٣٤/ ومقتل الحسين للمقرّم، ص ٢٠٩ بتفاوت.

(٣) قد أشرنا فيما سبق إلى الملاحظة العامة التي يذكرها بعض العلماء على روايات المرحوم الدربندي.

(٤) معجم البلدان ١/ ٤٨٩: «بَلَنْجَرُ: بفتحتين، وسكون النون، وجيم مفتوحة، وراء: مدينة ببلاد الخزر (الصين) خلف باب الأبواب» وقد امتد فتح بلاد فارس من سنة (١٧هـ) إلى حدود سنة (٢٦هـ) أي: قرابة التّسع سنوات وذلك لسعة الرّقعة الجغرافيّة لم يكن المسلمون قد فتحوها مرَّة واحدة وإنَّما كانت السَّيطرة على منطقة معينة ومن ثمَّ البدء في أخرى وهكذا تمَّ فتح بلاد فارس. ولذلك ترى بعضهم قد ذكر أن هذه البلدة تم فتحها أيام الخليفة الثاني بينما قال آخرون أنه كان في زمان عثمان بن عفان، وهكذا.

وكان قائد الجيش آنذاك سُليمان بن ربيعة الباهلي وذلك في أيام الخليفة الثَّاني، وعندما تمَّ الفتح والنَّصر للمسلمين سَادَ الاستبشار والفرح بين المقاتلين ومن ضمنهم سلمان المحمديّ(١) الَّذي سرَّ لهذا النَّصر الإسلاميّ ممَّا سيُسَاهِم في التَّعرف على هذا الدّين القويم في مقابل الدّيانات الخاطئة الَّتي كان عليها النَّاس في ذاك الزَّمان لا سيما المجوسيَّة الزُرادشتية، فتمثّل سلمان المحمديّ بقوله الّذي نقله فيما بعد زُهير بن القين في يوم كربلاء حيث قال لأصحابه: «إنّي سَأُحدّثكم حديثًا: إنَّا غزونا البحر(٢)، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْنَا وَأَصَبْنَا غَنَائِم، فقال لنا سَلْمَان الفَارسيّ رضي الله عنه أَفَرَحْتُم بما فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُم، وَأَصَبْتُم مِنَ الغَنَائِم؟، فقلنا: نعم، فقال: إذا أَدْرَكْتُم شبابَ آلِ محمَّد فَكُونُوا أشدَّ فرحًا بِقِتَالِكُم مَعَهُم ممَّا أَصَبْتُم الْيَوْمَ مِنَ الغَنَائِم»(٣)،ومن هذا يتَّضِح علم زهير بن القين بواقعة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام فيها مُنذ وقتٍ مبكّر، وقد كان عمره آنذاك في أدنى الفروض عشرين سنة، أي أنَّه كان يعلم بما سيجري في كربلاء قبل (٤٠) سنة من وقوع الحادثة.

---

(١) إنَّ مشاركة سلمان الفارسّي وزُهَيرْ بن القين مع جيوش المسلمين في الفتوحات يكشف عن انضمام قسمٍ من أولياء أمير المؤمنين عليه السلام إمَّا على مستوى القيادة المباشرة، أو على مستوى الاستشارة العسكريَّة، أو على مستوى الجنديَّة والمشاركة القتاليَّة في هذه الجيوش.

(٢) وهي (بلنجر) التي ذكرناها آنفًا.

(٣) الإرشاد، للشيخ المفيد، ج ٢ ص ٧٣.

◁ (عُثْمَانيّ الْهَوى) بين القبول والرّفض

انتشرت فكرة عُثمانيَّة زهير بن القين عند بعض من المؤلفين والخطباء وقد اعتمد هؤلاء في نقلهم على ما ذكره البلاذري (ت ٢٧٩هـ) تارة حيث ذكر هذا بقوله: «قالوا: وكان زهير بن القين البجلي بمكة، وكان عثمانيا، فانصرف من مكة متعجلا»[١] ولا نعرف من هم الذين قالوا؟ وعلى أي شيء اعتمدوا وبالتالي فلا قيمة لهذا القول!

ثم ظهرت في تاريخ الطَّبري الذي تُوفي سنة (٣١٠هـ)، والظاهر أنه منه انتشرت وشاعت، لما للطبري من موقع في تدوين التاريخ ونقلها عن أبي مخنف الأزدي، في ضمن حوار بين زهير وبين عزرة بن قيس وهو جندي من الجيش الأموي.

وقبل أن نناقش الفكرة ينبغي أن نوضح ماذا يعني أن يكون الشَّخصُ عُثمانيًّا؟ فنقول:

إنه قبل ظهور المذاهب الفقهيَّة كانت الانتماءات العقائديَّة بين النَّاس هي السَّائدة فيقال: هذا من شيعة عليّ عليه السلام إذا كان من الموالين له، ويُقال في العادة لمخالفي الإمام علي عليه السلام: عُثمانيّ ولم يكن ينسب هذا حينئذ لبني أمية، فلا يقال له: أُمويّ الهوى، إنَّما يُعَبَّر عنه بالعُثمانيّ؛ والناظر لاستعمالهم[٢] هذه الكلمة يلحظها بوضوح.

---

(١) أنساب الأشراف ٣/ ٣٧٨.

(٢) من ذلك ما وصف به حسان بن ثابت عند حديثه عن عزل الإمام علي قيسًا بن سعد بن عبادة الانصاري عن مصر، «فخرج منها مقبلا إِلَى الْمَدِينَة، فقدمها،

وفي تاريخ الطَّبري تُنقل رواية انتقال زهير بن القين إلى الحسين عليه السلام [1] عن رجلٍ من بني فزارة قال: «كنَّا مع زهير بن القين البَجَليّ حين أقبلنا من مكَّةً نساير الحسين فلم يكن شيءٌ أبغضَ إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سَارَ الحسين تخلَّف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدَّم زهير، حتَّى نزلنا يومئذٍ في منزل لم نجد بدًّا من أن ننازله فيه، فنزل الحسين في جانب ونزلنا في جانب، فبينا نحن جلوس نتغدى من طعام لنا إذا أقبل رسولُ الحسين حتَّى سلَّم ثمَّ دخل فقال: يا زهير بن القين إنَّ أبا عبد الله الحسين بن عليّ بعثني إليك لتأتيَه، قال: فطرح كلّ إنسان ما في يده حتَّى كأنَّنا على رؤوسنا الطَّير، فقالت له [دلهم بنت عمرو امرأة زهير بن القين]: أيبعث إليك ابنُ رسول الله ثمَّ لا تأتيه، سبحان الله لو أتيتَه فسَمِعْتَ من كلامه ثمَّ انصرفت، فأتاه زهير بن القين فما لَبِثَ أن جاء مستبشرًا قد أسفر وجهُه قالت: فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقُدّم وحُمِلَ إلى الحسين ثمَّ قال لامرأته: أنت طالق الحقي بأهلك»[2].

فجاءه حسان بن ثَابِت شامتا بِهِ- وَكَانَ حسان عثمانيا- فَقَالَ لَهُ: نزعك عَلِيّ بن أَبِي طَالِبٍ» تاريخ الطبري ٤/ ٥٥٥. وفي الطبقات الكبير لابن سعد ٦/ ٤١٩: عن شيبان بن مُخَزَّم قال: «وكان عثمانِيًّا يبغض عليًّا».

(١) هذا الموضوع بُحِثَ بشكلٍ جيّد وتمّت فيه تحقيقات قيّمة ومهمّة في كتاب (الركب الحُسينيّ من المدينة إلى المدينة) وهو كتاب يقع في ٦ مجلدات ألّفه المشايخ الطّبسيّون. وهناك كتاب نافع أيضًا في هذا الشأن بعنوان (زهير بن القين عَلَويٌّ خَرَجَ يتلَقّى الحسين) ألّفه السّيّد عليّ جمال أشرف وهو كتاب يقع في ٢٧٢ صفحة.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٤ ص ٢٩٨.

وفيما بعد دار حوارٌ بين عَزْرَة بن قيس - وهو أحد رجال عمر بن سعد ومن قادة الأمويّين- وبين زهير بن القين: «فقال له زهير: يا عَزْرَة إنَّ الله قد زكَّاها وهَدَاهَا فاتقِ الله يا عَزْرَة فإنّي لك من النَّاصحين أنشدك الله يا عَزْرَة أن تكون ممَّن يعين الضُّلّال على قتل النّفوس الزكيّة، قال: يا زهير ما كُنْتَ عندنا مِنْ شِيْعَةِ أهل هذا البَيْتِ إنَّما كُنْتَ عُثْمَانيًّا، قال: أَفَلَسْتَ تستدلّ بموقفي هذا أنّي منهم، أما والله ما كتبتُ إليه كتابًا قطّ، ولا أرسلتُ إليه رسولًا قطّ، ولا وعدتُه نصرتي قطّ، ولكنَّ الطَّريق جمع بيني وبينه فلمَّا رأيتُه ذكرتُ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومكانه منه، وعرفتُ ما يُقْدِمُ عليه من عدوّه وحزبكم، فرأيتُ أن أنصره وأن أكون في حزبه وأن أجعل نفسي دون نفسه حفظًا لما ضيّعتم من حقّ الله وحقّ رسوله عليه السلام»[(١)].

◁ تأملات في رواية الطَّبريّ

أوّلا: إنَّ رواية الطَّبري مرويةٌ عن شخصٍ غير معروف، ونُقلت بعد (٢٥٠) سنة من زمان وقوع الحادثة فهذه الرّواية تعتبر لا حُجيَّة لها؛ لأنَّ الرَّاوي غيرُ معروف، والمؤرخ غيرُ مُعاصر للحدث.

ثانيًا: ذُكِر في الرّواية «فإذا سَارَ الحسين تخلَّف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدَّم زهير»، وهذه الصُّورة غير ممكنة الحدوث حيث إنَّ زهير بن القين خرج من مكَّة بعد الحج في اليوم الثَّاني عشر، والإمام الحسين عليه السلام خرج من مكَّة قبل الحج في اليوم الثَّامن فيتحصَّل من هذا أنَّ هناك فارقَ أربعةِ أيَّام تفصل بين

---

(١) المصدر نفسه، ج ٤ ص ٣١٦.

الحسين عليه السلام وزهير، فهذا لا يمكن أن يحدث إلا في حالة وقوف الإمام عليه السلام منتظرا وصول زُهير له.

◁ (إنَّما كُنْتَ عُثْمَانيًا) في الميزان

لا يمكننا أن نقبل نسبة زهير بن القين إلى العثمانيَّة وذلك لعدَّة أسباب منها:

أوَّلا: عَزْرَة بن قَيْس شخصيَّة أُمويَّة:

عَزْرَة بن قيس هو من أواخر الَّذين أرسلوا للإمام الحسين الرّسالة المشهورة: «أمَّا بعد فقد اخْضَرَّ الجنَابُ وأَيْنَعَت الثّمار فإذا شِئْتَ فاقْدِمْ عَلَى جُنْدٍ لكَ مُجنَّد والسَّلام عَلَيْك»[1]، وكان معه في هذه الرّسالة المشتركة مجموعة تتَّسم بالنّفاق وهم: (شَبَث بن ربعي- حجَّار بن أبجر- عمرو بن الحجاج الزّبيدي)، وهذا هو موقفهم الوحيد الَّذي ظهر تجاه الإمام الحسين عليه السلام ولمَّا قَدِمَ رسولُ الإمام الحسين مُسْلِمُ بنُ عقيل إلى الكوفة لم يبايعوه، وكانوا أسرع في مُبايعة عبيد الله بن زياد والانضواء تحت رايته، بل وأصبح كلُّ واحدٍ منهم بمسمَّى (قائد عسكريّ)، لذلك حين أمر عُمَرُ بنُ سعد عَزْرَةَ بنَ قيس في كربلاء بالذَّهاب للإمام الحسين واستطلاع خبره وسؤاله عن مقدمه إلى أرض كربلاء رفض مُعلّلاً ذلك بأنَّه كان من الَّذين كتبوا للإمام الحسين فكيف به يأتي ويسأله! لكنه

---

(١) مقتل الحسين، لأبي مخنف الأزدي، ص ١٦.

صار قائد الخيالة في جيش عمر بن سعد[١] كلُّ ذلك يعبرّ عن عناصر الخيانة الواضحة عند هذه الشَّخصية، إضافةً على ذلك يُذْكَر أنَّ عَزْرَة بن قيس من القلائل الَّذين كانوا يحومون حول خيم النّساء ليجدوا فيها ثغرةً ومنفذًا لكي يَنْفُذوا من خلاله، وهذا مما يُنْبِئ عن شخصيَّة رذيلة وفي غاية السّوء.

وهو في أحسن أحواله يعتبر فاسقًا بخيانته لعهده مع الإمام الحسين عليه السلام، ثم بخروجه لقتاله وتحينه الفرصة لقتله، ومهاجمة مخيمه. فمن العجيب أن يتم الاعتماد على كلمة قالها وهو بهذا الوصف، وقد نهى الله سبحانه عن متابعة أقوال الفاسقين[٢].

ثانيا: زُهَيْر بن القين شخصيَّة عَلَويَّة:

ومن الأهداف الَّتي دَعَت عَزْرَة بن قيس لأن يقول هذا القول هو تسقيط شخصيّة زهير بن القين صاحب المرتبة الشَّريفة عند الإمام الحسين والَّذي أَثْنى عليه بقوله: «لَئنْ كَانَ مُؤْمِن آل فرعون نَصَحَ لِقَوْمِهِ وأَبْلَغَ في الدُّعاء لقد نَصَحْتَ لهؤلاءِ وأَبْلَغْتَ لو نَفَعَ النُّصْح والإِبْلاغ»[٣].

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ٣/ ٣٩٥. «وجعل عمر بن سعد على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيدي، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن الضبابي، وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسي».

(٢) الحجرات: ٦ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.

(٣) المصدر نفسه، ص١٢٠، هذه العبارة قالها الإمام الحسين عليه السلام في حقّ زُهير بن القين عندما خرج إلى الأعداء وهو شاكي السّلاح وخطب فيهم خطبة

وكان زهير بن القين أيضًا من الثَّلاثين الّذين خرجوا إلى المشرعة يوم السَّابع من المحرَّم مع أبي الفضل العبّاس لجلب الماء، وممَّا زاد الفضلُ فضلاً في مرتبة زهير هو تَوَلّيه قيادة فرقة الميمنة -وهي الأقوى عادة- في جيش الإمام الحسين عليه السلام وهو بذلك التّرتيب يكون متقدّمًا على حبيب بن مظاهر الأسديّ الّذي تَوَلَّى قيادة فرقة الميسرة.

فهذا الرَّجل الشُّجاع وبهذه المرتبة العالية لا بد أَنْ يُسْقَطَ ويُفْتَرى عليه بأيّ طريقة كانت، فما كان من عَزْرَة بن قيس الأُمويّ إلا أن يوجّه له هذه الفِرْيَة الباطلة، وللأسف لم تَأْخُذ هذه الكذبة تأثيرها في المتقدّمين الَّذين مضوا وإنَّما أثَّرت في المتأخّرين منهم، فأصبح البعض من النَّاس يعتقد أنَّ زهير بن القين عثمانيّ الهوى، والحال أنَّ ما انتهى إليه المحققّون بعدم صحّة نسبة زهير بن القين إلى العثمانيَّة؛ لأنَّه لم يوجد له أيَّ موقف يؤيّد هذا المعنى، ولم يُشِر الإمام الحسين عليه السلام ولا غيره إلى وجود إشكال فيه فضلاً عن ميله للعثمانيَّة.

◁ شَاهِدٌ على سَلامَة سِيْرة زُهَيْر بن القَيْن

من الَّذين التقى بهم الإمام الحسين عليه السلام عبيد الله بن الحرّ

عالية المضمون أثنى عليها الإمام عليه السلام، فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم وقال: اسكت أَسْكَتَ اللهُ نَأمتكَ أَبْرَمْتَنا بكَثَرةِ كلامِك، فقال له زهير: يا بن البوّال على عقبيه ما إيَّاك أخاطب، إنَّما أنت بهيمة، واللهِ ما أظنّك تحكم من كتاب الله آيتين فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم. ثمّ أرسل الإمام الحسين وراءه رسولاً وأمره بإرجاع زهير بهذه المقولة الَّتي خَلُدَت.

الجُعفي فحين نزل الحسين عليه السلام في قصر بني مقاتل، فإذا هو بفسطاطٍ مضروب ورمحٍ منصوب وسيفٍ معلّق وفرس واقف، فقال الحسين: لِمَنْ هذا الفسطاط؟ فقيل: لرجل يقال له عبيد الله بن الحرّ الجعفي، قال: فأرسل الحسين برجل من أصحابه يقال له الحجّاج بن مسروق الجعفي.

فأقبل حتَّى دخل عليه في فسطاطه فسلَّم عليه فردّ عليه السّلامَ ثمَّ قال: ما وراءك؟، فقال الحجّاج: يا بن الحرّ! والله قد أهدى الله إليك كرامة إن قبلتها! قال: وما ذاك؟، فقال: هذا الحسين بن عليّ يدعوك إلى نصرته، فإن قاتلتَ بين يديه أُجِرْتَ، وإِنْ مِتَّ فإنَّكَ اسْتُشْهِدْتَ!، فقال له عبيد الله: والله ما خرجتُ من الكوفة إلَّا مخافة أن يدخلها الحسين وأنا فيها، فلا أنصره لأنَّه ليس له في الكوفة شيعة ولا أنصار إلا وقد مالوا إلى الدّنيا إلا مَنْ عصم الله منهم، فارجع إليه وخبّره بذاك.

فأقبل الحجّاج إلى الحسين فخبّره بذلك، فقام الحسين ثمَّ ذهب إليه، فلمَّا دخل وسلَّم وثب عبيد الله بن الحرّ من صدر المجلس، وجلس الحسين فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: أمَّا بعد، يا بن الحرّ! فإنَّ أهل مِصْركم كتبوا إليَّ وخبَّروني أنَّهم مجتمعون على نصرتي، وأن يقوموا دوني ويقاتلوا عدوّي، وأنَّهم سألوني القدوم عليهم، فقَدِمْتُ ولستُ أدري القوم على ما زعموا، وأنت يا بن الحرّ فاعلم أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- مؤاخذك بما كسبتَ وأسلفتَ من الذّنوب في الأيَّام الخالية، وأنا أدعوك في وقتي هذا إلى توبةٍ تغسل بها ما عليك من

الذّنوب، وأدعوك إلى نصرتنا أهل البيت، فإِنْ أعطينا حقّنا حَمِدْنَا الله على ذلك وقبلناه، وإِنْ مُنعنا حقّنا وركبنا بالظّلم كنتَ من أعواني على طلب الحقّ، فقال عبيد الله بن الحرّ: والله يا بن بنت رسول الله! لو كان لك بالكوفة أعوان يقاتلون معك لكنتُ أنا أشدّهم على عدوّك، ولكنّي رأيتُ شيعتَك بالكوفة وقد لزموا منازلهم خوفًا من بني أميّة ومن سيوفهم، فأنشدك بالله أن تطلب منّي هذه المنزلة، وأنا أواسيك بكلّ ما أقدر عليه وهذه فرسي ملجمة، والله ما طلبتُ عليها شيئًا إلا أذقته حياض الموت، وخذ سيفي هذا فو الله ما ضربتُ به إلا قطعت، فقال له الحسين: يا بن الحرّ! ما جئناك لفرسك وسيفك، إنّما أتيناك لنسألك النّصرة، فإِنْ كنتَ قد بخلتَ علينا بنفسك فلا حاجةَ لنا في شيءٍ من مالك، ولم أكن بالّذي اتخذ المضلين عَضُدا، لأنّي قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: «مَنْ سَمِعَ داعيةَ (واعية) أَهْلِ بَيْتي ولم يَنْصُرْهُم على حقّهم إِلَّا أَكَبَّه اللهُ عَلَى وَجْهِهِ في النَّار»، ثمَّ سار الحسين من عنده ورجع إلى رحله[1].

يُلاحظ هنا أنَّ الإمام الحسين عليه السلام قد ذكر وأشار إلى سوابق هذا الرَّجل من الذّنوب وحرَّضه على التَّوبة منها، ولكنَّه لم يفعل ذلك مع زُهير بن القين حيث إنَّه أرسل وراءه وتحدَّث إليه قليلاً وعلى الفور التحق به وقطع صلته حتَّى بأُسرته، ولو كان زهيرٌ أمويَّ الهوى لكان الإمام الحسين قد أدلى بذلك وأخبر به كما أخبر عن عبيد الله الجُعفي، ولا تصح الحجيّة والاعتماد على قول أحد الأعداء المتحفّزين ضد

(١) يُنظر تفاصيل الحادثة في كتاب: الفتوح، لابن أعثم الكوفي، ٥/ ٧٣.

الإمام الحسين عليه السلام والأخذ بكلامه ضدّ زُهير بن القين الّذي هو من حواريّ الإمام الحسين ومن المخلصين إليه والمقرّبين عنده.

◁ قَرائِن أُخْرَى

إضافةً على الشَّاهد السَّابق الّذي ذكرناه على سلامة سيرة زهير بن القين هناك عدّة قرائن أخرى تؤكّدُ لنا هذه الحقيقة:

القرينة الأولى: ما قاله زُهَيْر بن القين في خُطبته الّتي ألقاها على القوم: «إِنَّ اللهَ قَدْ ابْتَلانَا وإيَّاكُم بذريَّة نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لِيَنْظُرَ مَا نَحنُ وأَنْتُم عَامِلُونَ»، إنَّ هذا المنطق من القول لا يمكن أَنْ يَصْدرَ من شخصٍ أُمويّ الهوى إنَّما هو شخصٌ مُتشرّب بهذه المعاني العظيمة وبحبٍّ أهل بيت العصمة عليهم السلام.

القرينة الثَّانية: ما يُنقل عن زوجة زهير بن القين (دَلْهَم بنت عمرو)[1] وأنهَّا كانت في غاية المعرفة بأهل البيت عليهم السلام، ويُستبعد أن تبقى مع زوجٍ ذي توجّه أمويّ، ويتبين ذلك من خلال موقفها حين جاء رسول الإمام الحسين إلى زهير وهو مع جماعة وخاطبه من بين الجالسين معه فخاطبه قائلًا: «يا زهير بن القين إنَّ أبا عبد الله الحسين بعثني إليك لتأتيه، [يقول الراوي]: فطرح كلُّ إنسان منَّا ما في يده حتَّى كأنَّ على رؤوسنا الطَّير، فقالت له امرأته: سبحان الله، أيبعث إليك ابنُ رسول الله ثم لا تأتيه، لو أتيته فسمعتَ من كلامه،

(١) اخْتُلِف في اسم زوجة زهير بن القين، فبعضهم قال: (دلْهَم) وهذا الاسم هو من الأسماء المشتركة بين الرَّجل والمرأة، والبعض قال: (دَيْلَم) وهذا الاسم اسم للمرأة أكثر ممَّا هو للرَّجل.

ثمَّ انصرفت، فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشرًا قد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ورحله ومتاعه فقُوِّض وحمل إلى الحسين عليه السلام، ثمَّ قال لامرأته: الحقي بأهلك، فإنِّي لا أحبُّ أن يصيبك بسببي إلا خَيْر»[1]، يتأكّد لنا من خلال نمط هذا الحديث وهذه الثَّقافة استحالة أن يكون زهير بن القين عثمانيَّ الهوى وأن تبقى معه زوجته وفي تمام الانسجام والموائمة كُلّ هذه الفترة إلى قريب شهادته.

القرينة الثَّالثة: موقف زهير بن القين عندما قال له عَزْرَة بن قيس: «يا زهير ما كُنْتَ عندنا مِنْ شِيْعَةِ أهل هذا البَيْتِ إنَّما كُنْتَ عُثْمَانيًّا»، لم ينفِ زهير ذلك ولم يعتبر هذا صحيحًا بل قال له: «أَفَلَسْتَ تستدلّ بموقفي هذا أنّي منهم»، أي: أليس موقفي هذا دليلًا على أنّي علويّ الاتجاه وأنّني منهم، وكفى بذلك دلالة وصدقًا، ولو كان الأمرُ صحيحًا بكونه عثمانيَّ الهوى لقَال: نعم كنتُ عثمانيًّا ولكنّي أصبحتُ عَلَويًّا، كما فعل الحرّ الرّياحي.

القرينة الرَّابعة: ما نُقل عن زُهَيْر بن القين من الكلام البديع بتضحياته في سبيل الله وفي سبيل نُصرة الإمام الحسين عليه السلام حيث قال: «واللهِ لوددتُ أنِّي قُتِلْتُ ثمَّ نُشِرْتُ ثمَّ قُتِلْتُ حتَّى أُقْتَلَ هكذا ألفَ مرَّة، وأنَّ اللهَ تعالى يَدْفَعُ بذلك القَتْلَ عَنْ نَفْسِكَ، وعَنْ أَنْفُسِ هَؤلاءِ الفِتْيَان مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ»[2].

---

(١) الإرشاد، للشيخ المفيد، ٢/ ٧٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٢.

القرينة الخامسة: الرَّجز الَّذي قاله زهير بن القين يوم عاشوراء وهو:

أَقْدِم حُسَيْناً هَادِياً مَهْدِيّا ... الْيَوْمَ أَلْقَى جَدَّكَ النَّبِيّا
ثُمَّ أَبَاكَ ذا النَّدى عليّا ... وذَا الجناحَيْنِ الشَّهيدَ الحيَّا(١)

وظاهرة الرَّجز في معسكر الإمام الحسين عليه السلام كانت ظاهرة واضحة، بخلاف المعسكر الأمويّ الَّذي لا يملك شيئاً ليفخر به، وبذلك يُنقل عن زهير بن القين هذا الرَّجز الَّذي عبَّر عنه بعضهم بأنَّ المؤرخين اشتبهوا في نسبته لزهير وهو ليس له إنَّما هو لشخص آخر وهذا احتمال، ولكن هناك احتمال آخر أقرب وهو أنَّه لا يُوْجَد اشتباه وإنَّما هو تَمَثُّلٌ فإنَّ الشَّخص حينما يُريد إيصال معنى ويجدُ قولاً بليغاً هو أقوى في إيصاله لهذا المعنى فإنَّه يتمثَّل به، حيث كان من ضمن الأشعار الَّتي تمثَّل بها الإمام الحسين عليه السلام هو قول الشَّاعر:

فَإِنْ نَهزِم فَهَزَّامونَ قِدْمًا ... وَإِنْ نُغْلَب فَغيْر مُغَلَّبيْنَا
وَمَا إِنْ طِبّنا جُبْنٌ ولَكِن ... مَنَايَانَا وَدَوْلَةُ آخرينَا(٢)

فهذا الشّعر ليس للحسين عليه السلام، ولكنَّ الحسين في ذلك

---

(١) نُسِبَ هذا الرّجز في كُتِب المقاتل والسّير للحجّاج بن مسروق الجعفي، يُنظر: كتاب الفتوح، لابن أعثم الكوفي،ج ٥ ص١٠٩/ مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب، ج ٣ ص ٢٥٢ / لواعج الأشجان، للسيد محسن الأمين ص ١٦٤ / بحار الأنوار، للمجلسي، ج ٤٥ ص ٢٥.

(٢) هذا قائله فروة بن مسيك المرادي، يُنظر: الاحتجاج، ص ٣٠٠، المناقب لابن شهرآشوب ج٤ ص ١١٠، بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٨٣.

الموقف يرى أنَّ أبلغَ شيءٍ يُتَمَثَّلُ به لكي يعطي المعنى المطلوب هو هذا الشّعر، وهذا عند العرب كثيرٌ جدًّا فإذا أراد أحدٌ أن يعبّر عن شيءٍ معيّن بحيث يكون بليغًا مؤدّيًا للمعنى المطلوب يستخدم قول غيره ويتمثَّل به، وهذا ليس ببعيد أنَّ قسمًا من أبطال كربلاء استخدموا كلمات غيرهم لبيان ما في أنفسهم، فمثلا حين أُريدُ أن أُعبّر عن قوّة انتمائي للحسين أتمثّل بهذا القول: «أَمِيْرِي حُسَيْنٌ وَنِعْمَ الأَمِيْر»، مع أَنَّه ليس لي ولكنّي أراه أفضل ما يعبّر عمّا في داخلي، فلعلَّ زهير بن القين سمع مَنْ قبله قد قَالَ رَجَزًا قويًّا، من الممكن أنَّه أعاده على سبيل التَّمَثُّل.

كما أن خطبته في مقابل جيش عمر بن سعد لتبين بوضوح اعتقاداته وأفكاره حيث روى المؤرخون:

«خرج إلينا زهير بن قين عَلَى فرس لَهُ ذَنوب[1]، شاك فِي السلاح، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، نذارِ لكم من عذاب اللَّه نذارِ! إن حقا عَلَى المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حَتَّى الآن إخوة، وعلى دين واحد وملة واحدة، مَا لم يقع بيننا وبينكم السيف، وَأَنْتُمْ للنصيحة منا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وَأَنْتُمْ أمة، إن اللَّه قَدِ ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد لينظر مَا نحن وَأَنْتُمْ عاملون، إنا ندعوكم إِلَى نصرهم وخذلان الطاغية عُبَيْد اللَّهِ بن زياد، فإنكم لا تدركون منهما إلا بسوء عمر سلطانهما كله، ليسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثلان بكم،

(١) الفرس طويل شعر الذّنَب.

ويرفعانكم عَلَى جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقراءكم، أمثال حجر بن عدي وأَصْحَابه، وهانئ بن عروة وأشباهه، قَالَ:

فسبوه، وأثنوا عَلَى عُبَيْد اللَّهِ بن زياد، ودعوا لَهُ، وَقَالُوا: وَاللَّهِ لا نبرح حَتَّى نقتل صاحبك ومن مَعَهُ، أو نبعث بِهِ وبأَصْحَابه إِلَى الأمير عُبَيْد اللَّهِ سلما.

فَقَالَ لَهُمْ: عباد اللَّه، إن ولد فاطمة رضوان اللَّه عَلَيْهَا أحق بالود والنصر من ابن سمية، فإن لم تنصروهم فأعيذكم بِاللَّهِ أن تقتلوهم، فخلوا بين الرجل وبين ابن عمه يَزِيد بن مُعَاوِيَة، فلعمري إن يَزِيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الْحُسَيْن!

قَالَ: فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم وَقَالَ: اسكت أسكت اللَّه نأمتك، أبرمتنا بكثرة كلامك! فَقَالَ لَهُ زهير: يا بن البوال عَلَى عقبيه، مَا إياك أخاطب، إنما أنت بهيمة، وَاللَّهِ مَا أظنك تُحكم من كتاب اللَّه آيتين، فأبشر بالخزي يوم الْقِيَامَة والعذاب الأليم، فَقَالَ لَهُ شمر: إن اللَّه قاتلك وصاحبك عن ساعة!

قَالَ: أفبالموت تخوفني؟ فو الله للموت مَعَهُ أحب إلي من الخلد معكم!

قَالَ: ثُمَّ أقبل عَلَى الناس رافعا صوته، فَقَالَ: عباد اللَّه، لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه، فو الله لا تنال شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قومًا أهرقوا دماء ذريته وأهل بيته، وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم، قَالَ: فناداه رجل فَقَالَ لَهُ: إن أبا عَبْد اللَّهِ يقول

لك: أقبل، فلعمري لَئِنْ كَانَ مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ فِي الدعاء، لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ»[1].

وقد أبّنه المعصوم في زيارة الناحية المتضمنة لذكر شهداء كربلاء بهذه الكلمات: «السَّلَامُ عَلَى زُهَيْرِ بْنِ الْقَيْنِ الْبَجَلِيِّ، الْقَائِلِ لِلْحُسَيْنِ وَ قَدْ أَذِنَ لَهُ فِي الِانْصِرَافِ: لَا وَ اللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَداً، أَتْرُكُ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَسِيراً فِي يَدِ الْأَعْدَاءِ وَ أَنْجُو، لَا أَرَانِيَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ».

◄ بُرَيْر بن خُضَيْر الهَمْدَانيّ

◁ العَابِدُ المُتَنَسّك

قَالَ تَعَالى: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[2].

تمثّل الإمام الحسين عليه السلام بهذه الآية المباركة في ليلة العاشر من المحرّم، وهي تكشف عن قاعدة إلهيَّة وهي أنّ الله سبحانه وتعالى يعرّض النَّاس للامتحانات والابتلاءات ليتميّز الطيّبون من الخبثاء، والمؤمنون من المنافقين، وأصحاب الحقيقة من أصحاب الادّعاء، والقرآن الكريم يعيّن للإنسان مسارًا وطريقًا ويطلب منه أن يسير

(١) تاريخ الطبري (دار المعارف) ٥/ ٤٢٧.

(٢) سورة آل عمران آية (١٧٩).

عليه حتَّى يصل إلى هدفه الَّذي خُلِقَ من أجله والَّذي عَبَّرت عنه الآية المباركة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١].

في مقابل هذا نجد الكثير من النَّاس مَنْ يتعامل مع هذه الحياة تعاملاً عبثيًا، تعامل البطَّالين الَّذين يتَّخذون هذا العمر ضحكة وعبثاً، فتراه يقضي أيامه يومًا بعد يوم وسنةً بعد أخرى غير عَابِئ بما ينتظره، يصرف رصيده الأساس - وهو أيَّام عمره وسنوات حياته - حتَّى إذا وصل إلى نهاية المشوار واستنفد هذا الرَّصيد قال: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾[٢].

هكذا تكون حياة الكثير من النَّاس، وتمضي أيَّام عمرهم وهم في غفلة. بينما ينظر البعض الآخر من النَّاس وهو المطلوب من الجميع إلى هذه الحياة نظرةً جديَّة، فيعتبرون أيَّام عمرهم جزءًا منهم كما ورد في الحديث عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّما أَنْتَ عَدَدُ أيَّام، فكُلُّ يَوْمٍ يَمْضِي عَلَيْكَ يَمْضِي ببَعْضِكَ»[٣]، فأيَّام حياتك عبارة عن ساعات إذا ذهب منها ساعة ذهب قسم منك، وإن مَضَى منك يوم فقد مضى جزء منك، وكما في الحديث المعروف كلّ يوم يمرُّ على ابن آدم يخاطبه أوَّل الصَّباح فيقول: «يا بْنَ آدَمَ أَنَا يومٌ جديد، وأنا عليك شَهِيْد، فقُلْ فيَّ خيرًا واعْمَلْ فيَّ خيرًا أَشْهَدُ لك به يوم القيامة فإنَّك لن تراني بعده أبدًا»[٤]، فإذا انتهى اليوم لا يرجع

---

(١) سورة الذاريات آية (٥٦).

(٢) سورة الزمر آية (٥٦).

(٣) غرر الحكم: ٣٨٧٤.

(٤) الأمالي، للشيخ الصدوق، ص ١٦٩.

إليك ولو بذلت المستحيل وأعطيتَ الغالي والنَّفيس ولا يعود؛ لأنَّه انتهى وسقط من الرَّصيد.

وهذا الأمر هو الَّذي يجعل أهل المعرفة ينظرون إلى الغرض الأساس من حياتهم وهي العبادة – ولو بمعناها الأعمّ– فيجعلونها عنوان حياتهم، وهذا ما عُرِفَ به أحدُ شهداء كربلاء وأبطالها وهو (بُرَيْر بن خُضَيْر الهَمْدَانيّ)، حيث كلّ مَنْ أُرّخ له ومَنْ تحدَّث عنه قال إنَّه كان عابدًا متنسّكًا؛ لأنَّه عرف الهدف من حياته وهو العبادة، فسَلَكَ العبادة بأنساكها، والعبادة المقصودة هنا هي بمعناها الأعمّ وليست العبادة الخاصّة من صلاة وصيام فقط وإن كان هذا جزءًا مهمًّا منها، ولكن قد يكون إنفاقُك على أهلك ناوياً به وجه الله عبادة، ومساعدتُك الضَّعيف ناوياً به وجه الله عبادة، وإبعادُك الأذى عن طريق المؤمنين ودفاعُك عن أعراضهم ممَّن يغتابهم أو يتهجّم عليهم قاصداً بذلك وجه الله عبادة وهكذا، هذا الرَّجل كان عابدًا متنسّكًا وهو مثالٌ للحياة الهادفة والجادَّة في مقابل أهل العبث في هذه الدّنيا مِنْ أعدائه وممّن واجههم في كربلاء وقبل كربلاء.

◁ بُرَيْر بن خُضَيْر هَمْدَانيّ مَشْرِقيّ

هذا الرَّجل أسماه بعض المؤلّفين (يَزِيد بن حصين) وهو تحريف لاسمه وتصحيف، والصَّحيح (بُرَيْر بن خُضَيْر) وهو همدانيّ مشرقيّ[1].

---

(١) لا يخفى على القارئ الكريم الفرق في النسبة إلى هْمَدان بسكون الميم وهي

وقد لاحظ المرحوم الشَّيخ شمس الدّين في كتابه (أنصار الحسين) أنّ الفئة الأكبر في أنصار الثَّورة الحسينيَّة كانت من القبائل اليمنيَّة[1]، ولو استثنينا قادة الثَّورة وهم بنو هاشم، لأنَّ بني هاشم من قريش ومضر وعدنان أي: من عرب الشّمال، ثمَّ أحصينا أصحاب الحسين وأنصاره لوجدنا أنّ النّسبة الغالبة هي من قبائل اليمن من الجنوب، بل أكثر من هذا كانت هذه القبائل وتلك المنطقة في زمان الإمام الحسين عليه السلام معروفة بتشيّعها وولائها لآل محمّد عليهم السلام، وربما على هذا الأساس اقترح ثلاثة من معاصري الإمام الحسين عليه السلام عليه أنّه إذا أراد النّصرة والمنعة والأعوان فليذهب إلى اليمن، وهم:

محمَّد بن الحنفية عندما رأى الإمام الحسين عليه السلام عَازمًا على الخروج قال له: «اخْرُجْ إلى مَكَّة فَإِنْ اطْمَأَنَّتْ بكَ الدَّار فَذَاكَ الَّذي تُحِبُّ وأُحِبّ، وَإِنْ تَكُن الأُخْرَى خَرَجْتَ إلى بِلادِ اليَمَن فَإِنَّهم أَنْصَارُ جَدِّكَ وأَبيْكَ وأَخِيْك، وهم أَرْأَفُ النَّاس وأرقُّهُم قُلُوبًا وَأَوْسَعُ النَّاس بلادًا وأَرْجَحُهُم عُقُولًا»[2].

وكذلك ابن عبَّاس اقترح على الإمام الحسين عليه السلام أنَّه إذا ذهب إلى اليمن فإنّ فيها منعة، حيث نظر إلى الحالة الجغرافيَّة.

قبيلة عربية يمانية، عن النسبة إلى همَدان بفتح الميم وهي منطقة في إيران. وينسب لها الفقيه الحاج رضا الهمَداني مثلا.

(١) يُنظر: أنصار الحسين، للشيخ شمس الدّين، ص٢٤١.

(٢) الفتوح، لابن أعثم الكوفي، ٥ / ٢٠.

وكذلك الطّرماح بن عدي الطّائي عندما التقى بالحسين عليه السلام في الطَّريق اقترح عليه أن يأتي إلى اليمن، وأنّه يستطيع أن يحشّد له من الأنصار والأعوان من الرّجال والنّساء، ولعلّ هذا الولاء كان منذ أن آمنت هَمْدَان بالإسلام على يد أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ذهب إليهم في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم داعياً إلى الإسلام في اليمن فاستجابت له سريعاً قبائل اليمن ولا سيما هَمْدَان، وقد نُسِبَ شعرٌ للإمام عليّ قاله فيهم:

وَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لهَمْدَانَ ادْخُلُوا بسَلامِ

وهذا يشير إلى مقدار تقديره لهذه القبيلة ليس فقط رجالها بل حتّى نساؤها.

حيث يُنقل موقف شجاع لنساء هذه القبيلة حيث إنَّ عبيد الله بن زياد كان بحاجة للرّجوع إلى البصرة فأراد أن يعيّن عمرَ بن سعد على الكوفة مدَّة غيابه، فقامت نساء هَمْدَان في كلّ مكان وظَلَلْنَ يبكين الحسين ويعدّدن مصائبه وبالتّالي كنَّ يعدّدْنَ جرائم عمر بن سعد قائلات: لم يكف عمر بن سعد قتلُ ابن بنت رسول الله وسبطه حتَّى أراد أن يتأمّر علينا لا كان ذلك أبداً! فكان هذا بمثابة مظاهرة نسائيّة في الكوفة ضد تعيين عمر بن سعد، وعلى أثرها تمَّ التَّراجع عن هذا الاقتراح، خصوصًا أنَّ ذلك تزامن مع نهضة التَّوابين ممّا شكَّل ضَغْطًا على بني أميَّة في هذه الجهة الّذين أرادوا إخماد هذه الثّورة، وإنهاء كلّ ما يتعلق بقضيّة الحسين عليه السلام.

هذه القبيلة هي الَّتي ينتمي إليها برير بن خضير الهمدانيّ، وكان في أوّل أمره كباقي القبيلة في المنطقة اليمنيَّة، وتمّ الانتقال إلى الكوفة بعد ذلك؛ لأنَّ القبائل اليمنيَّة انتقلت إلى الكوفة على مرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى: مع بدء تمصير الكوفة حين كانت للتَّوّ تتأسّس كمدينة في زمان الخليفة الثَّاني سنة (١٧) هـ، حيث انتقلت لها قبائل كثيرة على أساس أنّهم سوف يشكّلون عمدة الجيش الَّذي سيذهب لقتال الفرس، واستقرَّ قسم من هؤلاء ثمَّ استدعوا نساءهم وعوائلهم.

المرحلة الثَّانية: كانت بعد مجيء أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة بحدود سنة (٣٥)هـ، حيث انتقل كثيرٌ من القبائل اليمنيَّة من الرّجال والشّخصيات - سواء كانوا من الّذين لا يزالون في المنطقة الجنوبيَّة في اليمن أو كانوا في مكّة والمدينة - إلى الكوفة، وبُرَيْر بن خُضَيْر أصبح من أهل الكوفة بناءً على هذا، لذلك عندما التحق بالحسين عليه السلام خرج من الكوفة مبكّرًا والتحق بالحسين وهو لتوّه قد خرج من مكَّة المكرمة.

◁ بُرَيْر بن خُضَيْر الهَمْدَانيّ مُعَلِّمُ القرآن

يُحدّثنا التَّاريخ أنَّ بُرَيْرًا بن خُضَيْر الهَمْدَانيّ كان يعلّم القرآن أثناء وجوده في الكوفة منذ زمان أمير المؤمنين عليه السلام إلى شهادته في كربلاء سنة (٦١) هـ وقد أشار إلى ذلك أكثر من مصدر تاريخيّ، بل نُقِلَ عن

أعدائه وبعضُ مَنْ أراد قتله أنَّه كان يُؤْمَر من قبل آخرين بقولهم له: لا تقتل هذا الرَّجل إنّه بُرَيْر بن خُضَيْر الهَمْدَانيّ معلّم القرآن الَّذي كان يُقْرِئُنا القرآن في مسجد الكوفة[1]، ويروى عن زوجة قاتل بُرَيْر بن خُضَيْر وهو (كعب بن جابر الأسديّ) أنّه لما رجع إلى الكوفة قالت له زوجته: «أَعَنْتَ عَلَى ابنِ فاطمة وقَتَلْتَ سيِّدَ القُرَّاء لَقَد أَتَيْتَ عظيمًا مِنَ الأَمْرِ واللهِ لا أُكَلِّمك مِنْ رَأْسِي كَلِمَة»[2].

فيتبيَّن من هذه الكلمات أنّ بُرَيْر بن خُضَيْر كان معروفاً بأنه مُقْرِئٌ للقرآن لأكثر من جيل، بل إنَّنا نجد زوجة كعب بن جابر قاتل برير وصفته بأنّه سيّد القرّاء في الكوفة.

◁ وَقْفَةٌ مَعَ قَارِئ القُرآن

هنا لا بدّ لنا من وقفة مع قارئ القرآن والمهتم فيه فيما يرتبط بمنهج أهل البيت عليهم السلام، حيث إنَّنا نعتقد أنّ بُرَيْرًا بن خُضَيْر كان يهتمّ بمعاني القرآن وبمواضيعه وبأفكاره وأحكامه أكثر من اهتمامه بالألفاظ، لأنَّه في تاريخ المسلمين نجدُ توجّهين فيما يرتبط بقضية القرآن الكريم:

التَّوجّه الأوَّل: توجّه الخلافة الرسميَّة:

باستثناء أيام خلافة أمير المؤمنين عليه السلام الظَّاهريَّة وبعدها في زمان الأمويين والعباسيين، فالحاكمون لم يكن بإمكانهم أن يمنعوا

---

(١) تاريخ الطبريّ، ج٤ ص ٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٤ ص ٦٣٠.

النَّاس عن قراءة القرآن لأنَّ القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل ومعجزة النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فلا يستطيع أيّ شخص أن يمنع أحدًا من قراءة القرآن الكريم، وعندئذ لو قرأ النَّاس القرآن وأقبلوا عليه، فإنّ فيه من الإشارات بل التَّصريحات في حقّ أهل البيت عليهم السلام وسَلامَةِ منهجهم وأَمْرِ النَّاس باتّباعهم الشَّيءَ الكثير كآية التَّطهير وأمثالها من الآيات الكثيرة الَّتي تشير إلى حقّ أهل البيت عليهم السلام، وهذا ما لا تريد الخلافة الرسميَّة أن يصل الناس إليه، وفي الوقت نفسه لا تستطيع منع النَّاس عن قراءة القرآن الكريم، فالحل هو بتوجيه النَّاس إلى غير المعاني المشيرة لتلك الحقائق، وهو الألفاظ، فبدلا من الفهم ينبغي التركيز على الحفظ المجرد، وبدلا من المعرفة بصراط القرآن لا بدّ من إتقان التَّجويد وإخراج الحرف من مخرجه الدَّقيق وإظهار الغنَّة بالشَّكل الصَّحيح، ولا بد من الاهتمام بالأصوات، فصار توجّه الخلافة الرسميَّة إلى التَّأكيد على أشكال القرآن وألفاظه وإعرابه وتجويده، أما بالنّسبة إلى باطن القرآن ومعانيه ومضامينه وعقائده وفلسفته فهذا ممنوع، بل هناك أمر صريح صرّح به معاوية بن أبي سفيان لعبد الله بن عبَّاس حيث قال له: «إنَّا قد كتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب عليّ وأهل بيته فكُفَّ لسانَك!

فقال: يا معاوية أتنهانا عن قراءة القرآن؟، قال: لا!

قال: أفتنهانا عن تأويله؟ قال: نعم!

قال: فنقرأه ولا نسأل عمَّا عَنَى الله به؟ ثمَّ قال: فأيُّهما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟

قال: العمل به!

قال: كيف نعملُ به ولا نعلم ما عَنَى الله؟

قال: سَلْ عن ذلك من يتأوّله على غير ما تتأوّله أنت وأهل بيتك!

قال: إنَّما أُنزل القرآن على أهل بيتي، أنسأل عنه آلَ أبي سفيان؟ يا معاوية أتنهانا أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلالٍ وحرامٍ فإن لم تسأل الأمَّة عن ذلك حتَّى تعلم تهلك وتختلف!

قال: اقرؤوا القرآن وتأوّلوه ولا ترووا شيئًا مما أنزل الله فيكم، واروُوا ما سوى ذلك، قال: فإنَّ الله يقول في القرآن: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾.

قال: يا ابن عبَّاس أربع على نفسك، وكُفَّ لسانك، وإن كنتَ لابد فاعلًا فليكن ذلك سرًّا لا يسمعه أحدٌ علانيّة»(١). فكان الأمر قاطعًا بمنع تفسير القرآن الكريم، وأصبح التَّوجّه العام لألفاظه وحروفه وإعرابه فقط، والأداء الصوتي لآياته وهكذا.

التَّوجّه الثَّاني: توجّه أَهْل البيت عليهم السلام:

في مقابل ذلك كان توجّهُ أهل البيت عليهم السلام فيما نفهم والَّذي

---

(١) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج ٤٤ ص ١٢٥.

كان يركّز على موضوع معاني القرآن الكريم وأحكامه وفلسفته وهدايته، وكانوا يأمرون أصحابهم بذلك، ففي الرّواية عندنا عن الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: «قرَّاء القرآن ثلاثة: رَجُلٌ قَرَأَ القرآنَ فاتَّخذَه بضَاعَةً واسْتَدَرَّ به الملوك واسْتَطَالَ بهِ عَلَى النَّاس، ورَجُلٌ قَرَأَ القرآنَ فحَفِظَ حُروفَه وضَيَّعَ حُدُودَه وأَقَامَه إقَامَةَ القَدَح فلا كَثَّرَ اللهُ هؤلاءِ من حملة القرآن، ورَجُلٌ قَرَأَ القرآنَ فوَضَعَ دَوَاءَ القُرآن عَلَى دَاءِ قَلْبِهِ فَأَسَهر بهِ ليلَه وأَظْمَأَ بهِ نهارَه وقَامَ بهِ في مَسَاجِدِهِ وتَجَافَى بهِ عَنْ فِراشِهِ فبأولئك يدفعُ اللهُ العزيزُ الجبَّار البلاءَ وبأولئكَ يُدِيْلُ الله عزَّ وجلَّ من الأعداء وبأولئكَ يُنَزِّلُ اللهُ عزَّ وجلَّ الغَيْثَ من السَّماء فواللهِ لهؤلاء في قرّاء القُرآن أعزّ من الكبريت الأحمر»[١]، فالإمام الباقر عليه السلام يقسّم المسلمينَ الذين يتعاملون مع القرآن إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: رَجُلٌ قَرَأَ القرآنَ فاتَّخذَه بضَاعَةً واسْتَدَرَّ به الملوك واسْتَطَالَ بهِ عَلَى النَّاس.

القسم الثاني: رَجُلٌ قَرَأَ القرآنَ فحَفِظَ حُروفَه وضَيَّعَ حُدُودَه.

القسم الثالث: رَجُلٌ قَرَأَ القرآنَ فوَضَعَ دَوَاءَ القُرآن عَلَى دَاءِ قَلْبِهِ فَأَسَهر بهِ ليلَه وأَظْمَأَ بهِ نهارَه وقَامَ بهِ في مَسَاجِدِهِ وتَجَافَى بهِ عَنْ فِراشِهِ فبأولئك يدفعُ اللهُ العزيزُ الجبَّار البلاءَ[٢].

---

(١) الكافي، للشيخ الكليني، ج ٢ ص٦٢٧.

(٢) لبيان تفاصيل هاتين الرؤيتين يراجع كتابنا: معارف قرآنية.

◁ بُرَيْر بن خُضَيْر واضح المنهج ثابت العقيدة

بُرَيْر بن خُضَيْر كان واضح الخطّ والمنهج والعقيدة وخير شاهد على ذلك ما دار بينه وبين يَزِيْد بن مَعْقِل وهو من ضمن جند بني أميَّة حيث التفت إلى بُرَيْر بن خُضَيْر وقال له: «فقال: يا بُرَيْر بن خُضَيْر كيف ترى اللهُ صَنَعَ بك؟ قال: صَنَعَ اللهُ بي خيرًا وصَنَعَ اللهُ بك شرًّا، قال: كَذبْتَ وقبل اليوم ما كنتَ كذَّابًا! هل تذكر وأنا أُمَاشِيْكَ في بني لوذان[١] وأنت تقول: إنَّ عثمان بن عفان كان على نفسه مُسْرِفًا، وإنَّ معاوية بن أبي سفيان ضالٌّ مُضِلّ، وإنَّ إمام الهدى والحقّ عليُّ بنُ أبي طالب؟

فقال له بُرَيْر: أَشْهَدُ أنَّ هذا رأيي وقولي! فقال له يَزِيْد بن مَعْقِل: فإنّي أَشْهَدُ أنَّك من الضَّالّين! فقال له بُرَيْر بن خُضَيْر: هلمَّ أُباهِلْكَ ولنَدْعُ الله أن يلعن الكاذب وأن يقتل المبطل، ثمَّ اخرج فَأُبَارزُك، فخرجا فرفعا أيديهما إلى الله يَدْعُوانِهِ أن يلعن الكاذب وأن يقتل المبطل، ثمَّ برز كلُّ واحد منهما لصاحبه فاختلفا ضربتين فضرب يَزِيْدُ بنُ مَعْقِل بُرَيْرَ بنَ خُضَيْر ضربةً خفيفة لم تضرّه شيئًا، وضربه بُرَيْرُ بنُ خُضَيْر ضربة قدَّت المغفر وبَلَغَت الدّماغ فخَرَّ كأنَّما هَوَى مِنْ حَالِق»[٢].

نستفيد من هذا الحدث أنّ بُرَيْرَ بنَ خُضَيْر - إِضَافةً إلى كونه

---

(١) منطقة في الكوفة وحيّ من أحيائها.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٤٣٢..

معلّمًا للقرآن ومفسّرًا له وسيّد القرّاء في الكوفة – كان واضح الخط والمنهج فهو يتحدث عن معاوية بن أبي سفيان بما مرّ عليك لفظه، وهكذا عن الخليفة عثمان، وأما حين يتحدث عن الإمام علي بن أبي طالب فهو يصفه بأنه إمام الهدى والحق. وهذا يكشف عن أمرين:

١/ وضوح هذه الفكرة عند بُرَيْرَ بنَ خُضَيْر.

٢/ أنّه كان يبلّغها وينشرُها والدّليل أنّ الرّجل قال له كنت أتماشى معك وأنت تحدّثنا بهذا الكلام وتُعبّئنا بهذه الأفكار، أي أنَّه كان يمارس دور التّبليغ والإرشاد مع هؤلاء ومع غيرهم من أجل أن يقنعهم بهذه الأفكار وهذا مما يضاف إلى سيرته.

وقد ذكر الشيخ علي النَّمازي الشَّاهرودي في كتابه (مستدركات علم الحديث) أن بريرًا قد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام [(١)] كتابًا باسم (القضايا والأحكام) فإذا صحّت هذه النّسبة فهو يكشف عن أنه بالإضافة إلى كونه معلّمًا للقرآن وسيّد القرّاء، بأنه راوٍ لروايات فقهيّة[(٢)].

◁ دَوْرُه في كربلاء

لمّا علم بُرَيْر بخروج أبي عبد الله الحسين عليه السلام من مكّة المكرمة التحق به وخرج معه ورافقه طوال الطَّريق، إلى أن صارت ليلة

---

(١) مستدركات علم رجال الحديث، للشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج ٢ ص ٢٠.

(٢) قد شكك السيد محسن الأمين العاملي في أعيان الشيعة، ج ٣ ص ٥٦١ في انتساب الكتاب المذكور لبرير بن خضير.

العاشر من المحرَّم حيث حصل فيها أكثر من حدث يستوقف المتأمّل، وأحد هذه الأحداث أنّ الإمام الحسين عليه السلام لمّا طلب الاستمهال إلى يوم العاشر، كان الحسين وأصحابه في تلك اللَّيلة يتعبّدون ويقرؤون القرآن في الخيمة فجعل الحسين عليه السلام بعض الأشخاص حرسًا خارج الخيمة، ومن جملتهم بُرَيْر بن خُضَيْر وكذلك الضَّحاك بن عبيد الله المشرقيّ كلاهما مشرقيّان هَمْدَانيَّان وأبناء عمومة، وفي هذه الأثناء كان الإمام الحسين عليه السلام يتلو هذه الآية الَّتي توّجنا بها مطلع حديثنا: ﴿**مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾، وهي الآية المناسبة لهذا الموقف الَّذي كانوا فيه من الابتلاء حتَّى يتميّز فيها من يثبت ومن يستمر ومن ينهزم ومن يتراجع ومن لا يُقبل على الحسين، وفي هذه الأثناء مرّ جماعة من جند بني أميَّة قرب الخيمة فسمعوا كلام الحسين عليه السلام وهو يقرأ الآية المباركة فظنّوا أنّهم هم المخاطبون بها ﴿**حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾ فرفع أحدُهم صوته لكي يُسْمِعَ بُرَيْرًا والضَّحّاك وقال: نحن الطيّبون وأنتم الخبثاء!

فالتفت الضَّحّاك لبُرَيْر بن خُضَيْر يسأله إن كان يعرفه فلم يعرفه، فقال الضَّحاك: هذا أبو حرب السُّبيعي وهو رجلٌ مبطالٌ مضحاكٌ منادِمٌ – يعني أنَّه عابث في حياته ويُعاقر الخَمْرَة– فَقَالَ لَهُ برير بن خضير: يَا فاسق، أنت يجعلك اللَّه فِي الطيبين! فَقَالَ لَهُ: من

أنت؟ قَالَ: أنا برير بن خضير!

قَالَ: إنا لِلَّهِ! عزَّ عليَّ! هلكتَ وَاللَّهِ، هلكتَ وَاللَّهِ يَا برير!

قَالَ: يَا أَبَا حرب، هل لك أن تتوب إِلَى الله من ذنوبك العظام! فو الله إنا لنحن الطيبون، ولكنكم لأنتم الخبيثون!

قَالَ: وأنا عَلَى ذَلِكَ من الشاهدين.

قلت: ويحك! أفلا ينفعك معرفتك! قَالَ: جعلتُ فداك! فمن ينادم يَزِيد بن عذرة العنزي من عنز بن وائل! قال: ها هو ذا معي، قَالَ: قبح اللَّه رأيك عَلَى كل حال! أنت سفيه قَالَ: ثُمَّ انصرف[1].

فقد كان بُرَيْر بن خُضَيْر يعيش الإحساس بمسؤوليّة الهداية للآخرين حتَّى في هذا الموقف، مع أن المشهور عنه أنه كان عابدًا متنسّكًا، ولكنه أيضًا صاحب مسؤوليّة اجتماعيَّة تجاه المنحرفين، وهو يبحث عن توبتهم واسترجاعهم إلى طريق الهدى، وهذا يذكرنا بما سبق منه أيضا في قضية المباهلة التي أراد منها أن يبين للآخرين صدق منهجه وصواب اتجاهه.

بقي أن نشير إلى ملاحظة هامة في موضوع المباهلة التي جرت بين برير بن خضير وبين خصمه يزيد بن معقل وهي: أن المباهلة ليست هي الخيار الأول في المحاورات والمناظرات، وإنما قد يلجأ إليها حين يلج أحد الطرفين في الخصومة معاندًا عن الخضوع للدليل، ناكبًا عن الاستضاءة بنور الهدى، فقد تكون هناك حاجة

---

(١) تاريخ الطبري (دار المعارف) ٥/ ٤٢١.

للمباهلة. ولذلك نجد أن المباهلات في تاريخ الإسلام لا تكاد تذكر بالقياس إلى المناظرات والمحاورات، ونشير إلى موردين من تلك المباهلات:

الأوَّل: ما كان في حياة رسول الله محمّد ﷺ من الدعوة إلى المباهلة مع نصارى نجران وهو الذي أشارت الآية المباركة إليه: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[1]، ولم تتمّ المباهلة وإنما كان الاستعداد لها فقط، حيث إنّ نصارى نجران لمَّا وجدوا النَّبيَّ ﷺ مُصِرًّا عليها، وأتى بأهل بيته وقال ما قال تراجعوا، لأنَّه نُقل أنّ كبير النَّصارى قال: أرى وجوهاً لو أقسمت على الله لامتلأ علينا الوادي نارًا، فخافوا من مواجهتهم وانسحبوا واعترفوا بأن الحق مع رسول الله.

الثَّاني: وكان في زمان العبّاسيّين فإن عبد الله بن مصعب الزبيري سعى بيحيى بن عبد الله المحض الحسني كاذبا من أنه دعاه للثورة على العباسيين وأنه قال شعرا يحرض على ذلك، وكل ذلك كان افتراءً وبغرض أن ينتقم هارون الخليفة من يحيى فدعاه إلى المباهلة، التي ما أن حصلت المباهلة حتى مات الزبيري بعدها ثلاثة أيام.

وهذا المورد هو الثالث وقد جرى بين برير بن خضير وبين يزيد بن معقل، وقد ذكرنا في صفحات سابقة ما جرى من الحوار

---

(١) سورة آل عمران آية (٦١).

بينهما، وانتهاءهما إلى المباهلة وكانت نتيجة ذلك أن دعاه برير إلى المباهلة قائلًا «هل لك فلأباهلك، ولندع اللَّه أن يلعن الكاذب وأن يقتل المبطل، ثُمَّ اخرج فلأبارزك، قَالَ: فخرجا فرفعا أيديهما إِلَى اللَّهِ يدعوانه أن يلعن الكاذب، وأن يقتل المحق المبطل، ثُمَّ برز كل واحد منهما لصاحبه، فاختلفا ضربتين، فضرب يَزِيد بن معقل برير بن حضير[١] ضربة خفيفة لم تضره شَيْئًا، وضربه برير بن حضير ضربة قدت المغفر، وبلغت الدماغ، فخر كأنما هوى من حالق، وان سيف ابن حضير لثابت فِي رأسه، فكأني أنظر إِلَيْهِ ينضنضه من رأسه»[٢] وكأنَّما كانت تلك إجابةً من الله سبحانه وتعالى لبَرُيْر وبيان أنّ يَزِيْد بن مَعْقِل مبطلٌ وظالم، وأنّ برير هو صاحب الحقّ.

وفي هذه الأثناء جاء المجرم رَضِيّ بن مُنْقِذ العَبْديّ وحمل على برير ليقتله فاستدار له بُرَيْر واعترك معه وأوقعه على الأرض وصار على ظهره حتَّى يريد ذبحه، فنادى العَبْديّ في الجيش الأموي مستنجداً، فاستجاب له كعبُ بنُ جابر وأتى لبرير وهو جالس على صدر العبدي فطعنه برمحٍ في ظهره، وأراد أن يقوم بُرَيْر فثنّى عليه بضربة على رأسه[٣]، فذهب إلى رحاب ربّه راضيًا مرضيًّا شهيدًا حسينيًّا، وقد أبّنه الإمام الحسين عليه السلام بما يناسب شأنه ومقامه كسيّد للقراء سائرًا على منهاج آل محمّد في الاهتمام بالقرآن الكريم.

---

(١) ينظر إلى الحاشية التالية وفيها أن ما ذكر في الطبري بهذا الضبط، تصحيف لاسم أبيه. كما أن ما ورد في زيارة الناحية في المزار تصحيف لاسمه واسم ابيه.

(٢) تاريخ الطبري السابق ٥/ ٤٣٢.

(٣) المصدر نفسه.

ونلاحظ أن اسم برير بن خضير لم يأت في زيارة الناحية الذاكرة لأسماء الشهداء، وإنما الموجود فيها هو «السَّلَامُ عَلَى زَيْدِ بْنِ حُصَيْنٍ الْهَمْدَانِيِّ الْمُشْرِقِيِّ الْقَارِيِّ الْمُجَدَّلِ» وبقرينتي نسبته؛ مشرقي وهمداني، وصفته أنه القاري، يتعين أن يكون هو المقصود بالسلام، لكن الرجز المنسوب إليه لا يتناسب مع كون اسمه زيد بن حصين، وإنما يتناسب مع ما ذكرناه وهو المشهور من اسمه والذي ذكرته كتب التاريخ[(١)]، ولعل الموجود في الزيارة هو من تصحيف النساخ. أما الرجز المنسوب إليه فإنه نسب له قوله:

أنا برير وأبي خضير ليث يروع الأسد عند الزير
يعرف فينا الخير أهل الخير أضربكم ولا أرى من ضير
كذاك فعل الخير من برير

◄ سَعِيْد بن عَبْدِ الله الحَنَفِيّ

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[(٢)].

---

(١) ذكره بهذا الضبط البلاذري في أنساب الاشراف ٣/ ٣٩٦، والشيخ الصدوق في الأمالي، ص ٢٢٢، والشيخ المفيد في الإرشاد ٢/ ٩٥ وابن الأثير في الكامل في التاريخ ٣/ ١٧٢.

وفي الطبري (٥/ ٤٢١) برير بن حضير، وأما زيد بن حصين فقد ذكره الطبري في كبار رجال الخوارج الذين واجهوا أمير المؤمنين عليه السلام. وقال الشيخ محمد تقي التستري في قاموس الرجال، ج ١١/ ٩٨ في حل المسألة: «وأمّا الناحية فكثيرة التصحيف، والظاهر كونه محرّف «برير بن خضير «لتحقّقه».

(٢) سورة طه آية (١٣٢).

نفتتح بهذه الآية المباركة ذكرنا حول شهيد الصَّلاة والمحامي عن المصلّين في يوم عاشوراء سعيد بن عبد الله الحنفيّ الَّذي وقف بمثابة الدّرع الصّاد للنّبال والسّهام عن سيّده أبي عبد الله الحسين في كربلاء، ولأنَّه كان المدافعَ عن الصَّلاة، والمساهمَ في إقامتها، يجدر بنا أن نتعرَّض أيضًا إلى موقع الصَّلاة في دين الإسلام وأن نلفت النَّظر إلى كيفية تعامل قادتنا أهل البيت عليهم السلام مع هذه العبادة.

◁ بين معرفة الله والصَّلاة

الرّوايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام تجعل الصَّلاة أعظمَ شيءٍ بعد معرفة الله عزَّ وجلَّ، فأوَّل شيء وأكبر شيءٍ في الدّين هو معرفة الله عزَّ وجلَّ كما ورد عن مولانا أمير المؤمنين قوله: «أَوَّل الدين معرفته»[1] يعني معرفة الله عزَّ وجلَّ، وفي روايةٍ أخرى يَسأل معاويةُ بنُ وهب الإمامَ الصَّادق فيقول: «سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن أَفْضَل مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ العِبَادُ إلى ربّهم وَأَحَبّ ذلك إلى الله عزَّ وجلَّ مَا هو؟ فقال: مَا أَعْلَمُ شَيْئًا بَعْدَ المعْرِفَة أَفْضَلَ مِنْ هَذهِ الصَّلاة، أَلَا تَرَى أنَّ العَبْدَ الصَّالحَ عِيْسَى بنَ مريم عليه السلام قال: وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا»[2]، يعني بعد معرفة الله عزَّ وجلَّ الَّتي هي في المرتبة الأولى من الإيمان تأتي الصَّلاة باعتبارها رأس العبادات وأعظمها.

◁ الصَّلاة ذِكْرٌ وَ شُكْرٌ لله

الصَّلاة ذِكْرٌ لله وشُكْرٌ له، كيف تكون الصَّلاة شُكْرًا لله؟، الشّكر

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ١ ج ١ ص ١٤.

(٢) الكافي، للشيخ الكليني، ج ٣ ص ٢٦٤.

مُنْطَلِقٌ من أنَّ الله سبحانه هو المنعِمُ الأوَّل والأكبر، أنعم علينا بنعمة الوجود والحفظ والرّعاية والرّزق ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[1].

فالعقل يهدي الإنسان إلى أنَّه يجب عليه أن يشكر مَنْ أنعم عليه، ويقرّر العلماء هذه القاعدة في علم الكلام بعنوان لزوم شكر المُنْعِم، فإذا أنعم اللهُ عليك بنعمةٍ - بل حتى مَنْ كان دون الله عزَّ وجلَّ إذا أنعم عليك بنعمة - فإنَّ عقلك السَّليم ينبغي أن يهديَك أن تشكر مَنْ أنعم عليك بهذه النّعمة.

والصَّلاة هي أجلى مظاهر الشّكر لله، ذلك أنَّ أوَّل جملة في افتتاحك الصَّلاة في سورة الفاتحة بعد البسملة هي حمدك لله وشكرك إياه بقولك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2]، وهكذا حال الحركات والأفعال فأنت تركع تواضعًا لله وتسجد خضوعًا لله وتقوم مستعينًا بالله وتؤكّد ذلك بقولك: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».

◁ الصَّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

وللصلاة أثر في محيط المصلي الاجتماعيّ وهو ما عبَّر القرآن عنه بأنَّها تنهى عن الفحشاء والمنكر قال عزَّ وجلَّ: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[3] وبناء عليه فإنَّ الصَّلاة طريقٌ

---

(١) سورة النَّحل آية (١٨).

(٢) سورة الفاتحة آية (٢).

(٣) سورة العنكبوت آية (٤٥).

للتَّكامل الأخلاقيّ عند الإنسان، والبعد عن التسافل في دركات الفحشاء والمنكر وبمقتضى الآية المباركة فإن الصَّلاة تنهى عن الفحشاء مطلقًا سواء كانت الفاحشة اللّفظيّة أو الفاحشة العمليَّة، وهكذا المنكر وهو كلّ ما ينكره الشّرع أو العقل، فالصَّلاة تنهى عنه.

◁ لماذا لا تؤثّر الصَّلاة فينا؟

من المبرّرات الباطلة التي يذكرها البعض في تركه الصَّلاة حين يُسأل: لماذا لا تحافظ على الصَّلاة؟ تراه يجيب: إنَّه لا يجد تأثيرا للصَّلاة في المصلين، فقد تجد مصليًا ومع ذلك هو يخون، وآخر يصلّي ويُخلف الوعد، وثالثًا يصّلي ولا يُسدّد دينه أو يظلم أهله. إذن هذه الصَّلاة لا تنفع ولا تنهى عن المنكر، فلماذا أقوم بها؟

ومع أن لهذه المغالطة أجوبةً كثيرة إلا أننا نقتصر هنا على جوابين:

الأوَّل: أنَّ الله عزَّ وجلَّ عندما خلق هذا الإنسان عَرَفَ ما الَّذي يرفعه إلى أعلى علّيين وما الّذي ينزله إلى أسفل درك السَّافلين وهذه طبيعة كلّ صانع مع مصنوعه قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾(١)، وليتضح لك المعنى نورد مثالًا لنفرض أنّ الشركة المُصَنِّعة لجهاز الهاتف تقول لك: إذا استخدمتَه بهذا النحو تحصل على أفضل النَّتائج، ولكن لو وضعتَه في الماء يفسد عليك، فالّذي

---

(١) سورة ق آية (١٦)..

صنع هذا الجهاز يعرف بشكل دقيق ما يصلحه وما يفسده، كذلك الّذي خلق هذا الإنسان ويعلم وسوسات نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد قرَّر أنَّ الصَّلاة فيها قابليةٌ لتكامل الإنسان ورفعته!

وإنما لا تحصل هذه النتيجة للبعض بسبب وجود الموانع لا بسبب أن في الصلاة عجزًا عن التأثير. ومثال ذلك هو ما في سائر الأمور إذا وُجِدَ مانعٌ من تحقق تأثيرها!

فالطَّبيب يَصِفُ لمريض السّكر حِمْيَةً معينة ودواءً خاصًا يمنع من ارتفاع السُّكر في بدنه، ثمَّ يقوم هذا المريض بأخذ الدَّواء لكنه لا يلتزم بالتّعليمات كالامتناع مثلا عن تناول الحلوى فيرتفع لديه السُّكر وربما ساء حاله، فالخطأ ليس خطأ الطَّبيب ولا في وصفة العلاج وإنَّما من المريض الّذي لم يرفع الموانع عن تأثير العلاج فلم يحصل له الشفاء.

وما نحن فيه هو من هذا القبيل فليست المشكلة تأثير في الصلاة، وإنما في أن بعض المصلين لا يتركون الموانع التي تمنع تأثير الصلاة.

الثَّاني: أن من تأثير الصلاة أنها قللت من انحرافات هذا الشخص، بحيث لو كان لا يصلي لكان يغش مثلا بمقدار أربعين في المئة من معاملاته، لكنه لأنه يصلي فقد صار الغش عنده بمقدار عشرين في المئة. وذلك الذي يصلي ويظلم قد يظلم عشرة أشخاص لكنه لو لم يكن يصلي لكان يظلم ثلاثين وهكذا!

فحتى بالنسبة لهذا الشخص الذي لا تؤثر فيه الصلاة تأثيرًا كاملا فإنها تؤثر فيه بمقدار تخفيف السوء والفحشاء وإلا لو لم تكن الصلاة مؤثرة في النهي عن الفحشاء لا بمعنى تخفيف السوء، ولا بمعنى التأثير في الأشخاص المستعدين للتأثر، لكان ينتهي الأمر إلى تكذيب القرآن، وقول الله تعالى وهو أصدق القائلين أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

ولأجل ذلك كانت الثَّابت الأساس في كلّ ديانات السَّماء ومع كلّ الأنبياء والأوصياء والمؤمنين من عهد آدم إلى زمان نبيّنا الخاتم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ولا تسقط بحال حتى مع الاختلاف في كيفيتها، بين الأديان بل حتى في الدين الواحد، فصلاة القصر في الإسلام نصف صلاة التّمام، وصلاة المريض مختلفة عن صلاة السَّويّ الصَّحيح، وصلاة العيد تختلف عن صلاة الفجر، وهكذا.

◁ اهتمام أهل البيت بالصَّلاة

ونظرًا لهذا الموقع العظيم للصَّلاة نجد اهتمامًا كبيرًا من سادة الخلق من رسول الله وأهل بيته عليهم السلام بهذه العبادة، وهم بذلك يعلّموننا الاهتمام بها.

أعلم أن مقدمة الحديث عن شهيد الصلاة السعيد الحنفي قد طالت ولكن لا بأس أن نعطيها الأهمية التي تستحقها. ونعرض سريعا لشيء من اهتمامهم عليهم السلام بالصلاة.

أوَّلا: الإمام عليّ بن أبي طالب:

رُويَ «أنَّ عليًّا عليه السلام إذا حَضَرَ وَقْتُ الصَّلاة، يَتَمَلْمَلُ ويَتَزَلْزَلُ، ويَتَلَوَّنُ، فقِيْلَ لهُ: مَا لَكَ يَا أَمِيْرَ المؤمنينَ؟ فيقولُ: جَاءَ وَقْتُ الصَّلاة وَقْتُ أَمَانَةٍ عَرَضَهَا اللهُ عَلَى السَّمَاواتِ والأَرْضِ، فأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا»[١].

فتصوّر لو كنت تنتظر مكالمة من رئيس البلاد، وأنه سيكلّمك شخصيًّا في قضيّة مهمّة فأنت تفرّغ نفسك لهذه المكالمة متى تأتي فتردّ عليها، هناك نداء أهمّ من نداء رئيس البلاد وهو نداء الله عزَّ وجلَّ للنَّاس عبر الأذان، كيف تستقبل هذا النّداء؟

ثانيًا: الإمام الحسن المجتبى:

وأما الإمام الحسن عليه السلام كان إذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربّه عزّ وجلّ، وكان إذا ذكر الجنّة والنّار اضطرب اضطراب السَّليم[٢]، وسأل الله الجنَّة، وتعوَّذ بالله من النَّار[٣].

وسيأتي ذكر اهتمام الإمام الحسين بالصلاة حتى في المعركة في يوم عاشوراء.

ثالثًا: الإمام عليّ بن الحسين السَّجّاد:

وكان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا قام في صلاته غَشِيَ لونَه لونٌ

(١) عوالي اللآلي، لابن أبي جمهور الأحسائيّ، ج ١ ص٣٢٤.

(٢) السَّليم: الملدوغ، يقال: سَلَمَتْه الحيَّة أي: لدغته، وقيل: إنَما سمّي سليماً تفؤلاً بالسَّلامة.

(٣) الأمالي، للشيخ الصدوق، ص٢٤٤.

آخر، وكان قيامُه في صلاته قيام العبد الذَّليل بين يدي الملك الجليل، وكانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله عزّ وجلّ، وكان يصلّي صلاة مودّع يرى أنّه لا يصلّي بعدها أبدًا(١).

رابعًا: الإمام محمَّد بن عليّ الباقر:

أمَّا الإمام الباقر عليه السلام فقد رُوِي عن الإمام الصَّادق عليه السلام في وَصْفِهِ لأبيه أنَّه قال: «كَانَ أبي يصلّي في جوف اللَّيل فيسجد السَّجدة فيطيل حتَّى نقول إنَّه راقد، فَمَا نَفْجَأ منه إلا وهو يقول: لا إلهَ إلا اللهُ حقًّا حقًّا، سجدتُ لك يا رب تعبّدًا ورقًّا وإيمانًا وتصديقًا وإخلاصًا، يا عظيمُ يا عظيمُ إنَّ عملي ضعيفٌ فضاعفه فإنَّك جوادٌ كريمٌ، يا حنَّان اغفر لي ذنوبي وجرمي، وتقبَّل عملي يا حنَّان يا كريم، اللَّهمَّ إنّي أعوذ بك أن أخيب أو أعمل ظلمًا»(٢). هذا في الصلاة المستحبة فما ظنك بالواجبة؟

خامسًا: الإمام جعفر بن محمَّد الصَّادق:

وأمَّا الإمام الصَّادق عليه السلام فعن أبان بن تغلب قال: «دخلتُ عَلَى أبي عبد الله عليه السلام وهو يصلّي فعَدَدتُ له في الرّكوع والسّجود سِتّينَ تسبيحة»(٣)، نحن في الرّكوع والسّجود إذا أردنا أن نطيل فيهما نقول: «سبحان ربّي الأعلى وبحمده سبحان الله سبحان الله سبحان

---

(١) الخصال، للشيخ الصدوق، ص٥١٧.
(٢) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج ٨٤ ص ١٩٧.
(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٣ ص ٣٢٩.

الله»، بينما الإمام عليه السلام في الركوع والسجود كان له ستون تسبيحة.

سادسًا: الإمام موسى بن جعفر الكاظم:

دخل أبو حنيفة النعمان - إمام المذهب المعروف - على الإمام الصَّادق عليه السلام فقال له: «رأيتُ ابنك موسى عليه السلام يصلّي والنّاس يمرّون بين يديه فلا ينهاهم وفيه ما فيه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ادعوا لي موسى فدُعِيَ فقال له: يا بنيَّ إنَّ أبا حنيفة يذكر أنَّك كنتَ تصلّي والنَّاس يمرّون بين يديك فلم تنههم فقال: نعم يا أبه إنَّ الَّذي كنتُ أصلّي له كان أقرب إليَّ منهم يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾، قال: فضمَّه أبو عبد الله عليه السلام إلى نفسه ثم قال: بأبي أنت وأمّي يا مودعَ الأسرار»[1].

هذه شذراتٌ سريعة من اهتمام أهل البيت عليهم السلام بالصَّلاة.

ومن المهم أن يمارس الوالدان ومن لهم التأثير في المنزل دورًا استثنائيا في التشجيع على الصلاة بمختلف الوسائل كما قال الله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾[2] ومن ذلك؛ التأثير بالقدوة كما كان يصنع الرسول فقد قالت عنه احدى زوجاته: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحدّثنا ونحدّثه فإذا حضرت الصَّلاة فكأنَّه لم يعرفنا ولم نعرفه»[3]، ومنها إعلان الأذان في المنزل: فإن له آثاره العظيمة، فعن محمَّد بن راشد قال: حدَّثني هشام بن إبراهيم أنَّه

(١) المصدر نفسه، ج ٣ ص٢٩٧.

(٢) سورة طه آية (١٣٢).

(٣) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج ٦٧ ص ٤٠٠.

شكا إلى أبي الحسن الرّضا عليه السلام سُقْمَه وأنَّه لا يولد له، فأمره بأن يرفع صوته بالأذان في منزله قال: ففعلتُ فأذهب الله عنّي سُقْمِي وكَثُرَ وُلدي، قال محمَّد بن راشد: وكنتُ دائمَ العلّة ما أنفكّ منها في نفسي وجماعة خَدَمِي، فلمّا سمعتُ ذلك من هشام عَمِلْتُ به فأذهب الله عنّي وعن عيالي العِلَل(١).

◁ الحسين والصَّلاة

لم يؤخر الحسين عليه السلام هذه الصَّلاة يوم كربلاء ولا أصحابه، فهذا أبو ثمامة الصائديّ يقول للحسين: يا أبا عبد الله، نفسي لك الفداء إنّي أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تُقْتَل حتَّى أُقْتَلَ دونك إن شاء الله، وأُحِبّ أن ألقى ربّي وقد صلّيتُ هذه الصَّلاة الَّتي دنا وقتها، فرفع الحسين رأسه ثمَّ قال: ذَكَرْتَ الصَّلاة، جَعَلَكَ اللهُ من المصلّين الذَّاكرين، نعم هذا أوَّل وقتها؛ ثمَّ قال: سلوهم أن يكفّوا عنَّا حتَّى نصلّي(٢)، ولكنَّ عسكر بني أمية لم يستجيبوا لوقف القتال ومع ذلك قام الحسين وصلَّى في ذلك الوقت، وهنا بزغ نجمُ سعيد بن عبد الله الحَنَفِيّ.

◁ من هو سَعِيْد الحَنَفِيّ؟

سعيد بن عبد الله الحَنَفِيّ من بني حنيفة من بكر بن وائل من ربيعة من عدنان، وحنيفة قسمان: قسمٌ هم أهل اليمامة من وسط نجد وهم الّذين خرج منهم الانحراف الديني والارتداد على يد مسيلمة

(١) تهذيب الأحكام، للشيخ الطوسي، ج ٢ ص٥٩.
(٢) تاريخ الطبري، ج ٤ ص٣٣٤.

الكذَّاب المعروف حيث إنَّه حَنَفِيّ، وهناك قسمٌ آخر من حنيفة وهم من بكر بن وائل الّذي كان منهم سعيد بن عبد الله الحَنَفِيّ.

نزل سعيد بن عبد الله الحَنَفِيّ الكوفة وكان من شيعة أهل البيت عليهم السلام وكان يُوصف بأنّه وجيهٌ وشجاعٌ وكان على منهاج أمير المؤمنين عليه السلام، ولمَّا مات معاوية وبدأ التَّحرك باتجاه رفض السّلطة الأمويّة بدأ المعارضون لبني أميّة على اختلاف اتجاهاتهم يرسلون رسائل للحسين عليه السلام وهو في مكّة المكرّمة، ومن جملة مَنْ حمل هذه الرَّسائل بل آخر من حملها (سعيد بن عبد الله الحَنَفِيّ) وشخص آخر يسمّى (هاني بن هاني السّبيعي)، وهما آخر مَنْ جاء برسائل أهل الكوفة للحسين، وعلى ضوئها كتب لهم الحسين رسالة وأعلن فيها قدومه إليهم وأنَّه سيوجّه لهم مسلمًا بن عقيل، وأعطى الحسين عليه السلام هذه الرّسالة إلى سعيد بن عبد الله الحَنَفِيّ، وهذا يدلُّ على أنَّ الإمام الحسين كان واثقاً تمام الثّقة في سعيد بن عبد الله الحَنَفِيّ وفي صاحبه هاني السّبيعي؛ لأنَّ الإمام في هذه الرّسالة يكشف خطّته المستقبليّة.

ذلك أنَّ موقف الإمام تجاه الرَّسائل الّتي وصلته، كان متنوعًا فبعضها ردّ على أصحابها بجواب، ولم يردّ على بعضها الآخر، لكن الرسالة التي حملها سعيد الحنفي وهي الأخيرة، كانت موجهة إلى أهل الكوفة عمومًا وفيها أعلن عن خطّته وماذا سيصنع؟ وهذا يقتضي أن يسلّمها إلى شخصيّة لا شكّ في إخلاصها وولائها للإمام.

وكان جواب الإمام في تلك الرسالة كالتالي: «بسم الله الرّحمن الرّحيم أمَّا بعد، فإنَّ سعيدًا وهانيًا قَدِمَا عليَّ بكُتُبِكم، وكَانَا آخرَ مَنْ قَدِمَ عليَّ مِنْ رُسُلِكُم، وقَدْ فَهِمْتُ كلَّ الَّذي اقْتَصَصْتُم وذَكَرْتُم، ومقالَة جُلّكم أنَّه ليس علينا إمامٌ فأقبل لعلَّ الله أن يجمعنَا بك على الهُدَى والحقّ، وقد بَعَثْتُ إليكم أخي وابنَ عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلمَ بنَ عقيل وأمرتُه أن يكتب إليَّ بحالكم وأَمْرِكُم ورأيكم»[1]، وبالفعل أخذ سعيد بن عبد الله الحَنَفيّ هذه الرّسالة وقرأها على سليمان بن صُرَد الخُزاعي، والمسيّب بن نُجبة وحبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة وكبار أهل الكوفة، ولمّا حَضَر مسلمٌ إلى الكوفة وجرى ما جرى فيما بعد، حيث استشهد مسلم واستشهد هاني بن عروة، وأُعلنت حالة الطّوارئ، وسُجِنَ مَنْ سُجِنَ واختفى مَنِ اختفى، وكان من هؤلاء سعيد بن عبد الله الحنفيّ فقد اختفى فترة في الكوفة حتَّى سمع بمقدم الحسين إلى كربلاء فانسلّ من الكوفة باتجاه كربلاء والتحق بالحسين عليه السلام، وكان ممَّن شهد اجتماع الحسين ليلة العاشر وله كلمات في شأن الحسين تبيّن مقدار عزيمته وفدائيّته.

◁ موقفه في كربلاء

رخّص الإمام الحسين لأصحابه الانسحاب فقال: «هذا الليل قد غشيكم، فاتخذوه جملا، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله، فان القوم

---

(١) الإرشاد، للشيخ المفيد، ج٢ ص٣٩.

إنما يطلبوني، ولو قد أصابوني لَهوا عن طلب غيري»[١].

وبعد هذه الخطبة قام سعيدٌ وقال كلامًا، نُقِل في زيارة النَّاحية[٢]، كما نقل أيضا في المصادر غير الإمامية كتاريخ الطبري وغيره.

ولَمَّا صار اليوم العاشر وحضر وقت الصَّلاة، طلب الإمام الحسين من العبّاس عليهما السلام أن يطلب منهم إيقاف القتال لأجل الصلاة، ومع رفضهم ذلك أصرَّ الإمام على الصَّلاة في نفس المكان ليبعث رسالة لأتباعه وشيعته ألّا يشغلكم عن صلاتكم شيء!

◁ شهيد الصَّلاة

بدأ الحسين يصلّي ووقف سَعِيْدُ بنُ عبد الله الحَنَفِيّ رِدءًا ودرعًا عن إمامه الحسين يصدُّ عنه السِّهام والرّماح بيده وكتفه وجسده، فكانت السّهام تقع عليه بدل أن تقع على الحسين، حتَّى سقط إلى الأرض وهو يقول: اللَّهمَّ العنهم لَعْنَ عَادٍ وثمود، اللَّهمَّ أبلغ نبيَّك

---

(١) تاريخ الطبري (دار المعارف) ٥/ ٤١٩.

(٢) تم التأكيد فيه بعد التسليم عليه، على نقل كلماته والنص هو هكذا: «السَّلامُ على سعيدِ بن عبد الله الحَنَفي، القائلِ للحسين وقد أَذِنَ له في الانصراف: لا واللهِ لا نُخلّيك حتَّى يَعْلَمَ اللهُ أنّا قد حَفِظْنا غَيبةَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فيك، واللهِ لو أَعْلَمُ أنّي أُقتَل ثمّ أُحْيَا، ثمّ أُحْرَقُ ثمّ أُذرّى، ويُفعلُ بي ذلك سبعينَ مرّةً ما فارَقتُك، حتّى ألقى حِمامي دونك، وكيف لا أفعلُ ذلك وإنّما هي قَتْلَةٌ وَاحِدَة، ثمّ بَعْدَها الكرامةُ الَّتي لا انقضاءَ لها أبداً؟! فقد لَقِيتَ حِمامَك، وواسيتَ إمامَك، ولَقِيتَ من الله الكرامة في دار الْمُقام، حَشَرَنا اللهُ معكم في المستشهَدينَ، ورزَقَنا مُرافقتكم في أعلى عِلِّيّين».

عنّي السَّلام، وأبلغه ما لقيتُ من ألم الجراح، فإنّي أردتُ ثوابَك في نصر ذريّة نبيّك،[1] ثمَّ قضى نحبه رضوان الله عليه، فوُجِدَ به ثلاثة عشر سهمًا سوى ما به من ضرب السّيوف وطعن الرّماح، فلما أنهى الحسين صلاته إلا وسعيد أثخنته الجراح سقط وهو لا يستطيع الحركة، ولم يَصِلْ للحسين مكروه ولا سوء، ومع ذلك تجد هذه الشَّخصية العظيمة يلتفت للحسين وهو يقول له: يا أبا عبد الله أوفيتُ لك؟ يعني هل قدّمتُ ما كان ينبغي أن أقدّم لك؟

قال: نعم، أنت أمامي في الجنَّة، فاقرأ رسول الله منّي السّلام وأعلمه أنّي في الأثر[2]!

رحمك الله يا سعيد فقد لَقِيتَ حِمامَك، وواسيتَ إمامَك، ولَقِيتَ من الله الكرامة في دار المُقام، حَشَرَنا اللهُ معكم في المستشهَدين، ورزَقَنا مُرافقتكم في أعلى عِلِّيّين.

◄ نافع بن هلال المِذْحَجِيّ

ورد في زيارة النَّاحية عند السلام على أنصار الحسين قوله عليه السلام: «السَّلامُ عليكم يا خيرَ أنصار، السَّلام عليكم بما صبرتُم فنِعْمَ عُقْبَى الدَّار، وبَوَّأَكُم الله مبوّأ الأبرار، أشهدُ لقد كَشَفَ الله لكم الغِطَاء، ومَهَّدَ لكم الوِطاء»[3].

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، للموفق الخوارزمي ٢/ ٢١.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف، للسيد ابن طاووس، ص ٦٤. .

(٣) إقبال الأعمال، للسيد ابن طاووس، ج ٣ ص ٨٠.

◁ زيارة النَّاحية لمن؟

هذه الفقرة هي إحدى فقرات زيارة (النَّاحية)[1]، وهي بحسب التَّاريخ يُفترض أنَّها صادرة من الإمام العسكريّ عليه السلام، وبعضهم احتمل صدورها من الإمام الهادي عليه السلام، لكنَّ بعض العلماء قال: إنَّ لفظ (النَّاحية) عندما يُطلق ينصرف إلى الإمام المهدي (عجّل الله فرجه)، فحين تقول الرواية: «خرج من النَّاحية» يُفترض أن يكون ذلك مشيراً إلى الإمام المهدي (عجّل الله فرجه)، ولكن من النَّاحية التَّاريخيَّة لا تنسجم مع ميلاد المهديّ، وإنَّما كما ورد في مقدّمتها «خرج من النَّاحية سنة ٢٥٢هـ»، وبحسب هذا التَّاريخ لا يمكن أن تكون صادرة من الإمام المهديّ، فإمّا أن نصنع كما احتمل العلامة المجلسي[2] إذ اعتبر أنَّ هذا التَّاريخ (٢٥٢هـ) ربما وقع التصحيف فيه وانه يحتمل أن يكون (٢٦٢هـ)، وبالتَّالي تكون منسوبة إلى الإمام المهديّ ولا مشكلة فيها، أو أن نُبقي التاريخ على محلّه (٢٥٢هـ) وآنئذٍ لا يمكن أن تكون صادرةً من الإمام المهدي (عجّل الله فرجه) وتكون قد صدرت عن الإمام الهادي حيث كان زمان إمامته.

إذن لابد من التَّصرف في أحد الأمرين وسواء كان الإمام

---

(١) لتفصيل هذا الأمر يمكن مراجعة كتابنا الصادر أخيرا عن العتبة الحسينية المقدسة، بعنوان: زيارة الناحية المقدسة: تأملات في السند والدلالات.

(٢) العلّامة المجلسّي: «واعلَمْ أنّ في تاريخ الخبر إشكالًا، لتقدّمه على ولادة القائم عليه السلام بأربع سنين، لعلّها كانت اثنتين وستيّن ومائتين، ويُحتمل أن يكون خروجه عن أبي محمّد العسكري عليه السلام» (بحار الأنوار: ٩٨ / ٢٧٤).

المهديّ أو الإمام الهادي عليه السلام فلا محذور من هذه الجهة إذ كلّهم نورٌ واحدٌ.

◁ السَّلامُ عَلَيْكُم يا خَيْرَ أَنْصَار

في هذه الزيارة تمَّ السَّلام على أكثر أنصار الإمام الحسين عليه السلام بدءًا من الطَّالبيين وانتهاءً بغير الطَّالبيين، وهي تعدّ بمثابة وثيقةٍ تاريخية يُرجع إليها في تعيين اسم الشَّهيد وقبيلته كما يُرجع إليها في تحديد قاتل هذا الشَّهيد، وربما كيفية قتله وبعض المواصفات المتعلّقة به، ثمَّ تنتهي آخر الأمر بالسَّلام العام «السَّلام عليكم يا خَيْر أنصار السَّلام عليكم بما صبرتم فنعم عُقبى الدَّار»وقد ورد فيها السَّلام على (نافع بن هلال الْمُذْحَجِيّ المراديّ) وهو موضوع بحثنا هنا.

◁ بين (نافع بن هلال) و(هلال بن نافع)

ينبغي أولاً أن نُشير إلى أن هناك خلطًا بين اسمين وشخصيّتين وهما (نافع بن هلال) و(هلال بن نافع) وهما متعاكسان من حيث الموقع والاعتقاد والعمل، وربما وجدنا هذا الخلط في بعض الكتب[1] المصنفة في المقاتل، فصاحب الإمام الحسين ونصيره

(١) راجع الترجمة الفارسية لكتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي. ومقتل الحسين عليه السلام، للموفق الخوارزمي ج ١/ ٣٣٦، وفي اللهوف على قتلى الطفوف السيد ابن طاووس وقد أشار المترجم في الترجمة الفارسية إلى هذا الاشتباه ص ١٠٣. وفي روضة الشهداء للكاشفي تارة يعبر عنه بهلال بن نافع وأخرى بنافع بن هلال. وكذلك في كتاب: قادتنا كيف نعرفهم؟ للسيد محمد هادي الميلاني ج ٣/ ٦١٧. وغيرها. .

والشهيد بين يديه هو (نافع بن هلال)[١]، بينما عدوّ الإمام الحسين هو (هلال بن نافع)، وإذا أردت التَّمييز بين الاسمين فلاحظ بداية الاسم نافع (نفع نفسه) وهلال (مخسوف).

وقد ذكره مترجموه فقالوا هو: نافع بن هلال بن نافع بن جمل بن سعد العشيرة، وقد كان سيدًا شريفًا، سريًّا شجاعًا، وكان قارئًا كاتبا من حملة الحديث ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وحضر معه حروبه الثلاث؛ الجمل وصفين والنهروان. وللأسف فلم نجد معلومات مفصلة عن مشاركته في تلك الحروب.

◁ التحاقه بركب الحسين

ما أن سمع نافع بن هلال عن خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة متجها إلى كربلاء حتى شد الرحال للقائه، كما أمر بعض أصحابه الذين كان لهم نفس العزم على أن يصطحبوا معهم فرسه (الكامل)، وبالفعل فقد التقى نافعٌ الإمامَ الحسين عليه السلام، قبل منطقة (عُذيب الهجّانات)، حيث واجههم الحر بن يزيد الرياحي وقد جاء على رأس ألف مقاتل، كما سبق أن ذكرنا ذلك عند الحديث عن شهادته، «وإذا هم بأربعة نفر مقبلين من الكوفة على رواحلهم يجنبون فرسا لنافع بن هلال يقال له الكامل، وكان الأربعة النفر: نافع بن هلال المرادي، وعمرو بن خالد الصيداوي وسعد مولاه

(١) ولعل الذين اشتبهوا في اسمه باعتبار أن اسمه هو هكذا: نافع بن هلال بن نافع بن سعد. الجملي. .

ومجمع بن عبد الله العائذي من مذحج. فقال الحر: إن هؤلاء القوم ليسوا ممن أقبل معك فأنا حابسهم أو رادّهم. فقال الحسين: إذن أمنعهم مما أمنع منه نفسي، إنما هؤلاء أنصاري وأعواني، وقد جعلت لي ألا تعرض لي حتى يأتيك كتاب ابن زياد. فكف عنهم.

وسألهم الحسين عن الناس فقالوا: أما الأشراف فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم ليستمال ودهم وتستنزل نصائحهم فهم عليك ألب واحد، وما كتبوا إليك إلا ليجعلوك سوقا وكسبا، وأما سائر الناس بعد فأفئدتهم تهوي إليك، وسيوفهم غدا مشهورة عليك»(١).

«فقام الحسين عليه السلام خطيبا في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه وذكر جدّه فصلّى عليه، ثمّ قال: انه قد نزل بنا من الامر ما قد ترون، وانّ الدنيا قد تغيّرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت حذاء، ولم تبق منها إلّا صبابة كصبابة الاناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل.

ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه، محقّا، فانّى لا أرى الموت الّا سعادة، والحياة مع الظالمين الّا برما»(٢).

فقام نافع بن هلال فقال: يا بن رسول الله أنت تعلم أن جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يقدر أن يُشرب الناس محبته، ولا أن يرجعوا إلى

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ٣/ ٣٨٢.

(٢) مسند الإمام الحسين عليه السلام، للشيخ عزيز الله عطاردي ١/ ٤٧٨.

أمره ما أحب، وقد كان منهم منافقون يعدونه بالنصر، ويضمرون له الغدر، يلقونه بأحلى من العسل، ويخلفونه بأَمَرّ من الحنظل، حتى قبضه الله إليه، وان أباك عليًّا قد كان في مثل ذلك، فقوم قد أجمعوا على نصره، وقاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين، وقوم خالفوه حتى أتاه أجله، ومضى إلى رحمة الله ورضوانه. وأنت اليوم عندنا في مثل تلك الحالة، فمن نكث عهده، وخلع نيته، فلن يضر إلّا نفسه، والله مُغنٍ عنه فسر بنا راشدًا معافى، مشرّقا إن شئتَ، وإن شئتَ مغرّبا، فوالله ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربنا، فانا على نياتنا وبصائرنا نوالي من والاك، ونعادي من عاداك[1].

وأنت ترى في هذه القطعة من الكلام على اختصارها وعيًا متقدما بتاريخ الإسلام من أيام رسول الله إلى أيام أمير المؤمنين وانتهاءً بيوم الحسين عليه السلام. كما أن فيها من الاستعداد الجهادي والروح القوية ما يبعث العزيمة والإرادة في النفوس بما لا مزيد عليه.

◁ دَوْرُهُ في كربلاء

لنافع بن هلال في كربلاء أدوارٌ مهمَّة يُستكشف منها شدّة التصاقه بالحسين عليه السلام، ومن أبرزها:

١/ مشاركتُه في حملة السَّقيّ:

فقد شارك في الحملة الَّتي قادها أبو الفضل العبَّاس ومعه ثلاثون فارسًا لسقي النّساء والأطفال الماء في اليوم السَّابع من

---

(١) الفتوح، لابن أعثم الكوفي ج ٥/ ٨٣. .

المحرّم، وكان دوره فيها استثنائيًّا، تقول الرّواية: «فاسْتَقْدَمَ نافعُ باللّواء»[١]، وكلمة (اسْتَقْدَمَ) تعني جعلهم خلفه وهو أمامهم، لماذا صار أمامهم؟ لأنَّ القائم على قيادة الجيش وحارس المشرعة من قبل الجيش الأمويّ كان عمرو بن الحجّاج الزَّبيدي وهو ينتمي إلى نفس قبائل الجنوب الَّتي ينتمي إليها نافع بن هلال فهو اختيار مناسب للتَّقدّم، إذ لو تقدَّم واحدٌ من بني هاشم كالعبَّاس أو عليّ الأكبر هذا مضريّ وذاك يماني، فلا يستطيع أن يُدلَّ عليه بالقرابة ويستفيد منها، بينما نافع يستطيع أن يقول له إننا أبناء عمك! فاستقدم عمرو بن الحجاج ومعه الذين يحرسون المشرعة فسأل عمرو: مَن الرَّجل؟ «قال: نافع بن هلال، قال: ما جاء بك؟ قال: جئنا لنشرب من هذا الماء الذي حلأ تمونا عنه. قال: اشرب هنيئًا. قال: أفأشرب والحسين عطشان ومن ترى من أصحابه؟ فقال: لا سبيل إلى سقي هؤلاء، إنما وضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء.

فأمر أصحابه باقتحام الماء ليملأوا قربهم فثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه، فحمل عليهم العباس ونافع بن هلال فدفعوهم ثم انصرفوا إلى رحالهم وقد ملأؤا قربهم»[٢].

٢/ حراستُه للحسين وعنايته بالنساء:

في الأيام التي سبقت يوم العاشر كان نافع بن هلال بمثابة الحارس للحسين عليه السلام، ولقد ذكرنا هذا الأمر في بعض الأصحاب

---

(١) تاريخ الطبري، ج ٣ ص٣١٢.
(٢) أنساب الأشراف٣/ ٣٨٩ وتاريخ الطبري (دار المعارف) ٥/ ٤١٢.

مثل (زهير بن القين) فإنه يظهر أن هؤلاء الأنصار كانوا يخشون على الحسين أن يُقتل بصورة الاغتيال، فرتبوا ما يشبه الحراسة للحسين عليه السلام، وقد نقل السيد المقرم في مقتل الحسين أنه «خرج عليه السلام في جوف الليل إلى خارج الخيام يتفقد التلاع والعقبات فتبعه نافع بن هلال الجملي فسأله الحسين عما أخرجه قال: يا ابن رسول الله أفزعني خروجك إلى جهة معسكر هذا الطاغي فقال الحسين: إني خرجت أتفقد التلاع والروابي مخافة أن تكون مكمنا لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون ثم رجع عليه السلام وهو قابض على يد نافع ويقول: هي هي والله وعد لا خلف فيه.

ثم قال له ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل وتنجو بنفسك؟ فوقع نافع على قدميه يقبلهما ويقول: ثكلتني أمي، إن سيفي بألف وفرسي مثله فو الله الذي منّ بك علي لا فارقتك حتى يكلّا عن فري وجري.

ثم دخل الحسين خيمة زينب ووقف نافع بإزاء الخيمة ينتظره فسمع زينب تقول له: هل استعلمت من أصحابك نياتهم فإني أخشى أن يسلموك عند الوثبة.

فقال لها: والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل إلى محالب أمه.

قال نافع: فلما سمعت هذا منه بكيت وأتيت حبيب بن مظاهر وحكيت ما سمعت منه ومن أخته زينب.

قال حبيب: والله لو لا انتظار أمره لعاجلتهم بسيفي هذه الليلة قلت: إني خلفته عند أخته وأظن النساء أفقن وشاركنها في الحسرة فهل لك أن تجمع أصحابك وتواجهوهن بكلام يطيب قلوبهن»[١].

٣/ دفاعُه عن الحسين:

تجلى أحد مواقف نافع النافعة في صده هجومًا وحشيًّا على الإمام الحسين عليه السلام من أحد الأعداء وهو الزبير بن قرظة بن كعب، فإن هذا الرجل كان في الجيش الأموي، في الوقت الذي كان أخوه عمرو (وقيل اسمه عليٌّ) في صف الإمام الحسين وأنصاره، والزبير هذا الذي لم تدركه الهداية، كان غاضبًا من كون أخيه مع الإمام الحسين عليه السلام، ولهذا فقد «نادى: يا حسين يا كذاب يا بن الكذاب أضللتَ أخي وغررتَه حتى قتلتَه، فقال حسين: إن الله لم يضلّ أخاك ولكنه هداه وأضلك فقال: قتلني الله إن لم أقتلك! وحمل على الحسين فاعترضه نافع بن هلال المرادي فطعنه فصرعه»[٢].

◁ **شهادته**

ويظهر من بعض الروايات أن نافعًا كان مقاتلًا متعدد المواهب، فبالإضافة إلى تفوقه في المبارزة الفردية بالسيف، كان راميًا من الرماة المهرة، فهو يجمع بين الشجاعة التي تحتاجها المبارزة الفردية، وبين قوة التسديد المحكم الذي يحتاجه الرمي.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للسيد عبد الرزاق المقرم، ص ٢٢٦.

(٢) أنساب الأشراف ٣/ ٤٠٠.

فها هو قد برز إلى القتال «وَهُوَ يقول: أنا الْجَمَلِيّ، أنا عَلَى دين علي[1].

قَالَ: فخرج إِلَيْهِ رجل يقال لَهُ مزاحم بن حريث، فَقَالَ: أنا عَلَى دين عُثْمَان! فَقَالَ لَهُ: أنت عَلَى دين شيطان، ثم حمل عليه فقتله، فصاح عمرو بن الحجاج (أحد قادة الأمويين) بِالنَّاسِ: يَا حمقى، أتدرون من تقاتلون! فرسان المصر، قومًا مستميتين، لا يبرزن لَهُمْ منكم احد، فإنهم قليل، وقلما يبقون، وَاللَّهِ لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم، فَقَالَ عُمَر بن سَعْد: صدقت، الرأي مَا رأيت، وأرسل إِلَى النَّاسِ يعزم عَلَيْهِم أَلا يبارز رجل مِنْكُمْ رجلا مِنْهُمْ»[2].

وبالإضافة إلى هذا فقد كان نافع بن هلال راميًا من الرُّماة المهرة، وكان يُعلِم اسمَه على النّبال وحسب التّعبير المعاصر يوقّع عليها وينشد:

أَرْمِي بهَا مُعلَمــةً أَفْوَاقُهَا   والنَّفْسُ لا يَنْفَعُهَا إِشْفَاقُهَا

و(الأفواق) تعني قمة السَّهم والنّبلة حيث كان يكتب عليها اسمه، وقيل إنه أخذ يرمي الأعداء فقتل اثني عشر رجلا، وبعض الرّوايات تقول: قتل سبعين رجلاً، ولعل الجمع بين الروايتين هو: إنّ الرّمي الّذي أدَّى للقتل (١٢ شخصًا) ولكن مجموع من أُصيب

(١) في بعض المصادر جاء الرجز هكذا ولعله الصحيح:

أنا الغلام الجملي   أنا عـلى دين علي

ودينه دين النبي

(٢) تاريخ الطبري (المعارف) ٥/ ٤٣٥.

من الممكن أن يصل إلى (٧٠ شخصًا) على فرض صحّة رواية السَّبعين، وفي أثناء رميه جاءه جماعة من خيَّالة العدو وضربوه على يديه اليمنى واليسرى فكُسرتا «فأخذه شمر بن ذي الجوشن وَمَعَهُ أَصْحَاب لَهُ يسوقون نافعا حَتَّى أتي بِهِ عُمَر بن سَعْدٍ، فَقَالَ لَهُ عُمَر بن سَعْد: ويحك يَا نافع! مَا حملك عَلَى مَا صنعت بنفسك! قَالَ: إن ربي يعلم مَا أردت، قَالَ: والدماء تسيل عَلَى لحيته وَهُوَ يقول: وَاللَّهِ لقد قتلت مِنْكُمُ اثني عشر سوى من جرحت، وما ألوم نفسي عَلَى الجهد، ولو بقيت لي عضد وساعد مَا أسرتموني، فَقَالَ لَهُ شمر: اقتله أصلحك اللَّه! قَالَ: أنت جئت بِهِ، فإن شئت فاقتله، قَالَ: فانتضى شمر سيفه، فَقَالَ لَهُ نافع:

أما وَاللَّهِ إن لو كنت مِنَ الْمُسْلِمِينَ لعظم عَلَيْك أن تلقى اللَّه بدمائنا، فالحمد لِلَّهِ الَّذِي جعل منايانا عَلَى يدي شرار خلقه، فقتله»[١].

وهكذا ذهب نافع إلى لقاء ربه ثابتًا على دين علي بن أبي طالب وهو دين النبي المصطفى، بعدما دافع عن ابن بنت رسول الله، رحم الله نافعًا وحشره مع العترة الطاهرة.

◄ عَابِس بن شَبِيْب الشاكري وشَوْذَب بن عبد الله

أحد أبطال كربلاء من بني شاكر عَابِس بن شَبِيْب، و(بنو شاكر) قبيلة من هَمْدَان وقد ذكرنا سابقًا أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أثنى عليهم ومدحهم وأجلّ موقفهم. فقد نُقِلَ عنه أنه قال في حقّ

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٤٤٢.

بني شاكر الهَمْدَانيين في حرب صفّين: «لو تمّت عدّتهم ألفًا لعُبِدَ الله حقَّ عِبَادَتِهِ»[١]، وهذا المدح لو صحت نسبته للإمام فهو وسام عظيم لبني هَمْدَان إذ أنّ معناه أن تقوم على أكتافهم راية الحق وبناء الإسلام فيُعْبَد الله حقّ عبادته.

كما يعَد عابس بن شبيب من شخصيّات أهل الكوفة وأعلام شيعة أهل البيت فيها، فقد شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام حروبه، وجُرح في صفّين جُرحًا في جبينه بَقِيَ أثره إلى أن اسْتُشْهِد في كربلاء.

◁ عابس ورسالة الإمام الحسين

حين قدم مسلم بن عقيل إلى الكوفة ونزل في دار المختار[٢]، تليت رسالة الإمام الحسين عليه السلام في جمع من أعيان الكوفة، فأوَّل مَنْ قام وردَّ على تلك الرّسالة هو عَابِس بن شَبِيْب الشَّاكري وخاطب مسلمًا بن عقيل سفير الحسين بكلام الحماسة والقوّة: «إنّي لا أُخْبرُكَ عن النَّاس، ولا أعلمُ ما في أَنْفُسِهِم، ولَكِنْ واللهِ أُخْبِرُكَ بما أنا مُوطّنٌ نَفْسِي عليه، واللهِ لأُجيبنَّكم إذا دَعَوْتُم، ولأُقَاتلنَّ معكم عدوّكم ولأضرِبَنّ بسَيْفِي دونكم حتَّى أَلْقَى الله، لا أريدُ بذلك إلا

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي ٣/ ٣٣٩).

(٢) وقد اختلف المؤرخون في المقصود من (دار المختار)، فقال بعضهم: إنهَّا دار المختار بن أبي عبيدة الثَّقفيّ، وقال البعض الآخر: إنَّها تعبّر عن مكان في حيّ بني أسد لا أنَّها خصوص دار المختار الثَّقفي، وبهذا القول الثَّاني يُجمع بين القول إنَّ مسلم بن عقيل نزل في دار المختار وقول آخر إنَّه نزل عند بني أسد في دار مسلم بن عوسجة أو في دار حبيب ابن مظاهر، وعادة ما يذكر بيت المختار دون ذكر الثَّقفيّ مما يقوّي الرَّأي الثَّاني.

ما عِنْدَ الله»[1]، ومثل هذه المواقف في الاجتماعات العامة هي التي تعطي اتجاها للباقين، وتنتصر على مواقع التردد والخوف، بخلاف ما إذا قال القائل كلاما فيه الهزيمة والخذلان، أو التخوف والتردد. ولهذا من المناسب جدا أن يكون للإنسان هذا الموقف في مثل هذه الاجتماعات فإن لم يتمكن منه فليصمت فهو خير له! لكن عابسًا كان قد قال ما ينبغي ويتوقع منه.، فانفتح الباب للآخرين لكي يقولوا مضامين هذا الكلام بعبارات أخر. فقام مسلم بن عوسجة وحبيب بن مظاهر الأسديّ، وغيرهما.

◁ مبايعة مسلم بن عقيل

تولّى مسلمُ بن عوسجة بعد ذلك أخذ البيعة لمسلم بن عقيل حيث لا يمكن له أخذ بيعة الناس مباشرة، وكذلك لأجل مراعاة الظرف الأمني القائم إذ لا تزال سلطة بني أمية ممثلة في النعمان بن بشير، وهكذا كان النَّاس يأتون لمسلم بن عوسجة ويخبرونه ببيعتهم لمسلم حتَّى تكاملوا - فيما ذكره المؤرخون- ثمانية عشر ألفًا، وعندها كتب مسلم بن عقيل رسالة إلى الحسين عليه السلام: «أمّا بعد، فإنّ الرائد لا يَكْذِبُ أهلَه وقَدْ بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفًا فعجّل بالقُدُوم حين يأتيك كتابي فإنَّ النَّاسَ مَعَكَ ليس لهم في آلِ مُعَاوِيةَ رأيٌ ولا هَوَى»[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٧٩.

(٢) المصدر نفسه ٤/ ٢٨١.

◁ عابس رسولُ مسلم بن عقيل للحسين

وأرسل مسلم بن عقيل رسالته هذه للإمام الحسين عليه السلام مع عَابِس بن شَبِيْب الشَّاكري، وأَمَرَهُ أن يوصلها إلى الإمام الحسين عليه السلام في الحجاز وكان في مكّة، وبالطبع يُبيّن هذا الاختيار فضيلةً أخرى من فضائل عَابِس الشَّاكريّ نظرًا لأنَّ الرّسالة تحتوي قضيّة مهمّة.

خرج عَابِس مع مولاه شَوْذَب من الكوفة إلى مكّة المكرّمة وسلّم الرِّسالة للإمام الحسين عليه السلام، وبقي معه في مكّة ثمَّ خرج معه إلى كربلاء ولم يرجع إلى الكوفة؛ لأنَّ غايته كانت نصرة الإمام الحسين وقد وصل لغايته فبقي معه حتَّى خروجه إلى كربلاء.

◀ شَوْذَب مولىً لبني شاكر

لفظ (شَوْذَب) معناه في اللّغة العربيَّة: الرَّجل الطَّويل القَامة حَسَن الخَلْق مُتناسق البدن، وأما المولى فإنه يعني أحد معنيين:

الأوَّل: أن يكون المولى عبدًا فيعتقه مولاه لكنَّه يبقى على ولاء السَّيد الّذي حرَّره وأعتقه لوجه الله، مثل: (قَنْبر) مولى الإمام علي، و(جون) مولى أبي ذر الغفاري، و(أَسلم التّركي وواضح) مَوْلَيَي الإمام الحسين.

الثَّاني: أن يكون المولى حرًّا لكنَّه ليس عربيًّا أو ليس له قبيلة في المنطقة التي يعيش فيها، فيلتحق بإحدى القبائل ويكون ولاؤه لها كنوع من الضَّمان والحماية الاجتماعيَّة، وقد كان هذا النّظام

جاريًا قبل الإسلام وأمضاه الإسلام، ومن هذا القسم مثلا كان (المقداد بن الأسود الكِنْدِي) فلم يكن ينتسب لقبيلة كِنْدَة لكنَّه كان خائفًا لأنّه اُتّهم بجريمة قتل، فتحالف مع قبيلة كِنْدَة فنُسب إليها، و(شَوْذَب) كان كذلك أيضًا فهو حرٌّ انتسب بالولاء إلى بني شاكر من هَمْدَان فيقال شَوْذَب بن عبد الله الشَّاكريّ.

والمثال الواضح في وقتنا الحاضر لهذا القسم هو أن يتعرّض إنسانٌ ما لاضطهاد إنسانيّ أو سياسيّ أو دينيّ في بلده فيهاجر إلى بلد آخر ويأخذ جنسيّة البلد الآخر وهو ما يسمَّى باللّجوء السّياسيّ لتأمين الحماية، أمَّا في الزّمن الماضي لم تكن الجنسيّة الحكوميّة بل كان يقدّم الولاء ليأخذ اسم القبيلة وحمايتها.

◁ **منزلة شَوْذَب**

ينقل عن شَوْذَب أنه كان من خُلّص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وكان يأتي إليه المؤمنون ليسألوه عمّا أُبهم عليهم من قضايا دينهم فكان حاملًا لكثير من علم الإمام عليّ عليه السلام، وكان لديه مجلس للإفتاء والإجابة على أسئلة النَّاس، لذلك رأى المحقّق النّوري أنَّ مرتبة شَوْذَب أعلى من مرتبة عَابِس، فما وصلنا من أخبار عن شَوْذَب تبيّن أنَّ رتبته أعلى من عَابِس، لكنَّ المشهور هو عابس.

◁ **عابس وشوذب في كربلاء**

«وجاء عابس بن أبي شبيب الشاكري وَمَعَهُ شوذب مولى شاكر، فَقَالَ: يَا شوذب، مَا فِي نفسك أن تصنع؟ قَالَ: مَا أصنع!

أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله ﷺ حَتَّى أقتل، قَالَ: ذَلِكَ الظن بك، أما الآن فتقدم بين يدي أبي عَبْد اللَّهِ حَتَّى يحتسبك كما احتسب غيرك من أَصْحَابه، وحتى أحتسبك أنا، فإنه لو كَانَ معي الساعة أحد أنا أولى به مني بك لسرني أن يتقدم بين يدي حَتَّى أحتسبه، فإن هَذَا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فِيهِ بكل مَا قدرنا عَلَيْهِ، فإنه لا عمل بعد الْيَوْم، وإنما هُوَ الحساب.

فتقدم فسلم عَلَى الحسين، ثم مضى فقاتل حتى قتل ثُمَّ قَالَ عابس بن أبي شبيب: يَا أَبَا عَبْد اللَّهِ، أما وَاللَّهِ مَا أمسى عَلَى ظهر الأرض قريب وَلا بعيد أعز علي وَلا أحب إلي مِنْكَ، ولو قدرت عَلَى أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعز علي من نفسي ودمي لفعلته، السلام عَلَيْك يَا أَبَا عَبْد اللَّهِ، أشهد اللَّه أني عَلَى هديك وهدي أبيك، ثُمَّ مشى بالسيف مصلتا نحوهم وبه ضربة عَلَى جبينه.

قال أبو مخنف: حدثني نمير بن وعلة، عن رجل من بني عبد من همدان يقال لَهُ ربيع بن تميم شهد ذَلِكَ الْيَوْم، قَالَ: لما رأيته مقبلا عرفته وَقَدْ شاهدته فِي المغازي، وَكَانَ أشجع الناس، فقلت: أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا أسد الأسود، هَذَا ابن أبي شبيب، لا يخرجن إِلَيْهِ أحد مِنْكُمْ، فأخذ ينادي:

أَلا رجل لرجل! فَقَالَ عُمَر بن سَعْد: أرضخوه بالحجارة، قَالَ: فرمي بالحجارة من كل جانب، فلما رَأَى ذَلِكَ ألقى درعه ومغفره، ثم شد على الناس، فو الله لرأيته يكرد أكثر من مائتين مِنَ

النَّاسِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ تعطفوا عَلَيْهِ من كل جانب، فقتل، قَالَ: فرأيت رأسه فِي أيدي رجال ذوي عدة، هَذَا يقول: أنا قتلته، وهذا يقول: أنا قتلته، فأتوا عُمَر بن سَعْدٍ فَقَالَ:

لا تختصموا، هَذَا لم يقتله سنان واحد، ففرق بينهم بهذا القول»[١].

◁ حتَّى أحتسبك

تكرَّرت فكرة الاحتساب والتعبير عنها كثيرًا في كربلاء وبشكل واضح من الحسين وأصحابه، فكأنّهم يدّخرون ألم فقدهم لأحبّتهم وأعزّتهم ومرارة الصّبر عليه يحتسبونه ثوابًا عند الله عزّ وجلّ، فقد ورد عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه كان يقول: «عِنْدَ الله أَحْتَسِبُ نَفْسِي وحُمَاةَ أَصْحَابي»[٢]، وفيما ورد من قضيّة أبي الفضل العبّاس وإخوته حين قال لهم: «تَقَدَّمُوا حتَّى أَحْتَسِبَكم وأَرَاكُم قد نَصَحْتُم لله»[٣].

وفي هذا السّياق طلب عابس من شَوْذَب أن يتقدَّم للقتال حتَّى يحتسبه عند الله فهو الأقرب والأعزّ إلى قلبه، فليس له في كربلاء أخٌ أو ولدٌ أو قريبٌ يحتسبه إلا شَوْذَب، وهكذا سيصيبه الألم والحزن لفقده وسيتصبّر على هذا الألم ليحصل على ثواب الاحتساب.

---

(١) المصدر نفسه (المعارف) ٥/ ٤٤٤.

(٢) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج ٤٥ ص ٢٧.

(٣) وقد أشرنا عند الحديث عن أبي الفضل العباس عليه السلام إلى هذه الناحية.

◁ حبّ الحسين أجنّني

تنقل بعض المصادر المتأخرة أنَّ عابسًا ألقى الدّرع وقاتلهم، فقالوا له: «يا عابس أَجُنِنْتَ؟!، فقال: إي والله حبّ الحسين أَجَنّني»، وهو ما لم أجده في المصادر القديمة، وسواء كانت هذه العبارة موجودة أو غير موجودة لا ريب أنها تجسّد موقف التّفاني في حبّ الحسين والذّوبان في نصرته والعشق للشّهادة في سبيل الحسين عليه السلام، ثم انعطفوا عليه بالحجارة وضربوه حتَّى اسْتُشْهِد رضوان الله عليه، فهؤلاء الصَّفوة لا يحتاجون دروعًا بل جعلوا قلوبهم دروعًا في استعدادهم للقتال لقد أعطوا للحسين عليه السلام من الولاء، وأعطوا الرّسالة من الثَّبات ما عادوا به قدوة لغيرهم، وحَرِيٌّ بالمؤمنين من بعدهم أن يقتدوا بأفعالهم وثباتهم على المبدأ ونصرتهم للمعصومين بالطرق الَّتي يستطيعونها.

◀ الموالي الشُّهداء من أصحاب الحسين

◁ (الموالي) لغةً واصطلاحًا

لغةً: (الموالي) جمع (مَوْلى) وهي من كلمات الأضداد في اللّغة العربيّة، والمقصود من الأضداد هي الكلمات الّتي تحمل معنيين متضادّين، فكلمة (مَوْلى) تحمل معنيين متضادّين هما:

الأوَّل: السيَّد المالك ومَنْ له حقّ التَّصرف في شخص آخر يقال له: (مَوْلى)، ومن استعمال هذا المعنى قوله تعالى: «بَلِ اللَّهُ

مَوْلاكُمْ»[١] بمعنى: مالككم وسيّدكم ومَنْ يتصّرف في أموركم، وقول الرّسول ﷺ في حديث الغدير: «مَنْ كُنْتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه»[٢] بمعنى: من كنتُ سيّده فعلّي بن أبي طالب سيّدٌ له يحقّ له التّصرف في أمره.

الثَّاني: العبد الخاضع ومَنْ يُتصَرَّفُ فيه، ومن استعمال هذا المعنى في القرآن الكريم قوله تعالى: «فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ»[٣]، فالله سبحانه وتعالى يأمر العباد أن ينادوا هؤلاء المماليك بأسماء آبائهم وهم العبيد المُتصَرَّف فيهم.

اصطلاحًا: وفي الاصطلاح فإنَّ عنوان (المولى) يطلق على العبد الَّذي يُعتق لوجه الله وقربةً لله تعالى، لكنَّه لا يرغب في مفارقة الجوّ الاجتماعيّ الذي كان فيه، فيحافظ على هذه العلاقة الَّتي تشكّل له حماية اجتماعيَّة وانتماء فيقال ولاؤه لبني هاشم أو لبني تميم مثلا.

◁ ولاء العتق

كانت القبائل العربيّة تعقد علاقات سببيَّة بينها وبين القادمين من البلاد الأخرى كبلاد التّرك والنُّوبة والسقالبة، وهذه العلاقة توفّر لهؤلاء الانتساب والحماية الاجتماعيَّة وقد جاء الإسلام وأقرَّ

(١) سورة آل عمران آية (١٥٠).

(٢) الكافي للكليني ١ / ٤٢٠.

(٣) سورة الأحزاب آية (٥).

نظام (ولاء العتق) وتترتّب عليه أحكام في الشَّرع، فالعبد المُعْتَق يُصْبِحُ حُرًّا يستطيع أن يعيش حياته الطبيعيَّة لأنَّ صاحبه أعتقه لوجه الله فصار حُرًّا ليس لأحد سلطةٌ عليه، ولكن لو أراد أن يعقد بينه وبين مولاه هذا الولاء فيبقى معه وتحت حمايته ويُعرَّف به، كما يقال: قنبر مَوْلى عليّ بن أبي طالب، فهناك قسم من الأرقّاء كانوا يُعْتَقون لوجه الله، لكنَّهم لا يرغبون في مفارقة جوّهم الاجتماعيّ وسادتهم السَّابقين فيُقال له: مَوْلى باعتبار ولائه. ويترتب على هذا بعض الآثار الفقهية تبحث في كتب الفقه.

◁ تطور لُغويّ لكلمة المولى

تطوّر معنى هذه الكلمة وتوسّع ليشمل كلّ مَنْ كان من غير العرب وإنْ كان حُرًّا بعد أن كانت تطلق على العبيد المحرّرين فقط، فالفرس يقال لهم (موالي) لأنَّهم أسلموا واستوطنوا في البلاد الإسلاميَّة فأطلق عليهم الموالي مع أنَّهم ليسوا عبيدًا في الأصل لكنَّ الاصطلاح توسّع.

◁ منهجان في التَّعامل مع الموالي

اختلف منهج أمير المؤمنين عليه السلام عن منهج الخلافة الرسميَّة في التَّعامل مع الموالي حيث كان الخلفاء يميّزون العرب ويزيدونهم في العطاء، ففي زمان الخليفة الثَّاني قام النّظام الاقتصادي عنده على أساس تمييز النَّاس بحسب نسبهم وحسبهم وغنائهم وأعمالهم الإسلاميَّة، فجعل الموالي كلَّهم في طبقة واحدة دون طبقة العرب،

فلو افترضنا أنَّ عربيًّا شَهِدَ بدرًا، ومَوْلى شَهِدَ بدرًا، فإنه يُميّز بينهما في العطاء ويُفضَّل العربي، وفي زمان بني أميّة تفشّى تمييز الموالي في الاحترام واعتبار الشّخصيّة فضلًا عن التَّمييز الاقتصادي، ومنه ما حصل في زمان الخليفة الأمويّ عمر بن عبد العزيز يذكر أنَّ الشَّعبي وهو القاضي الأكبر في وقته لم يكن يذهب إلى مسجد الكوفة فسئل عن ذلك فعلّل ذلك بقوله: لأنَّ الموالي جعلوا هذا المسجد أبغض عندي من كناسة داري ويصرّح بذلك[1]، وكلام هذا القاضي في زمن عمر بن عبدالعزيز الّذي كان متّصفًا بالإنصاف فكيف ببقية العصور؟

أما بقيّة العصور فينقل أنَّ معاوية بن أبي سفيان استدعى الأَحَنْف بن قَيْس، وسَمُرة بن جُنْدب، استدعاهما معاوية للاستشارة في أمر الموالي فقال لهما: «إنّي رأيتُ هذه الحمراء قد كَثُرت، وأراها قد قطعت على السَّلف، وكأنّي أنظر إلى وَثْبَةٍ منهم على العَرَب والسّلطان، فقد رَأَيْتُ أن أقتلَ شَطْرًا منهم، وأَدَعُ شَطْرًا لإقامة السّوق وعمارة الطَّريق»[2]، إلا أنَّ الأَحَنْف وسَمُرة قاما بتهدئته حتَّى عَدَلَ عن رأيه، فإن كان الحاكم يفكّر بهذه الطَّريقة فكيف ببقية الأجهزة الحاكمة وسائر النَّاس في تعاملها مع هؤلاء الموالي؟

---

(١) فعن صالح بن مسلم قال: قال لي عامر الشّعبيّ يومًا وهو آخذ بيدي: إنما هلكتم حين تركتم الآثار، وأخذتم بالمقاييس، لقد بغّض إليّ هذا المسجد فلهو أبغض إلي من كناسة داري، هؤلاء الصفافقة، يُنظر: الإحكام، لابن حزم، ج ٨ ص ١٠٧٤.

(٢) العقد الفريد، ج٢ ص ٢٦٠.

وفي بعض الفترات عُيّن لهم مسجدٌ خاصّ بهم، وأُصدرت قوانين تمنع زواج المولى بالعربيّة،[١] وقد رُفع للحجّاج الثقفي في وقت لاحق؛ أنَّ مولى تزوّج من عربيّة فأتي به وجلده وحلق رأسه[٢] وأمره أن يطلقها ونفاه من الكوفة رغم أنَّ الإسلام يرى أن المسلم كُفؤ المسلمة.

ونرى في الجهة الأخرى منهج آل محمّد عليهم السلام يمثلّه قول أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ أَبْطَأَ به عَمَلُهُ لم يُسْرِعْ بهِ حَسَبُه»[٣]، فالعربيّ والمولى الَّذي جاء من أقصى بلاد الدّنيا واسْتُعْبِد ثمَّ أُعتق هما على حدّ سواء في الاحترام والمساواة والعطاء، فلم يكن في زمان أمير المؤمنين تمييز في العطاء بل غيّر في أوّل أيّام خلافته الظاهرية النّظام السَّائد قبل خلافته في تمييز العطاء حيث قال كلّ مسلم (عربيًا أو مولى) يحقّ له ما يحقّ للمسلم الآخر.

◁ كلّكم لآدم

ولأن أهل البيت قد التزموا بهذه الفكرة وأن (كلكم لآدم) وأنه كما قال أمير المؤمنين لمن جاءته معترضة بأنه أعطاها كما أعطى مولاتها الأعجمية، فقبض عليه السلام قبضة من تراب وفتّتها في يده

---

(١) بل لقد دخلت المسألة في الفقه الرسمي كما في شرح المنتهى لابن النجار ٩/ ٨٠ قال: «(فلا تُزوَّج عربية) من ولد إسماعيل؛ لأنه أبو العرب (بعجمي)؛ لأن عمر قال: «لأمنعنّ تزوج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء».

(٢) المصدر.

(٣) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٤٧.

وقال: كلّكم لآدم وآدم من تراب والله ما جعل لبني إسماعيل في هذا الفيء على بني إسحاق فضلًا إلا بالتَّقوى والعمل الصَّالح[1]، ولهذا لم يكن غريبًا أن يتمسك الموالي بمنهج أهل البيت، ولا يريدون فراقهم، فقد وجدوا في منهجهم إنصافًا لهم كما رأوه الطريق الصحيح في دين الإسلام.

◁ الموالي في كربلاء

شهدت قضية كربلاء حضورًا كبيرًا للموالي وكان حضورهم منذ بداية الحركة الحسينيَّة مرورًا بمعركة كربلاء ثمَّ في المطالبة بثأر الإمام الحسين عليه السلام مع المختار الثَّقفي، فإنَّ طوعة الَّتي احتضنت مسلم بن عقيل في دارها كانت من الموالي، فقد كانت جارية للأشعث أعتقها، فتزوّجت أُسَيْد الحَضْرَميَ فوَلَدَتْ له بلالًا، وقامت بموقف عظيم عجز عنه الأحرار، وحتّى عبيد الله بن زياد لما أراد معرفة خريطة حركة مسلم بن عقيل وأنصاره استعان بالموالي فبعث (مَعْقِل)-لأنَّه يعلم أنَّ أهل البيت وأنصارهم منسجمون مع الموالي، ونصرة الموالي لأهل البيت أمرٌ طبيعي جدًّا-لأنّ العربي يمكن أن يُعرف بسرعة ولذلك قال مَعْقِل لمسلم بن عوسجة إنَّه من موالي ذي الكلاع الحميريّ فهو يريد أن يبايع مسلم بن عقيل ويسلّم له مبلغًا من المال، وكلّ ذلك لمعرفة مكان مسلم بن عقيل.

وأمَّا في معركة كربلاء فقد بلغ عدد الشّهداء من الموالي في

---

(١) ميزان الحكمة، للريشهري، ج ٤ ص ٣٣٩٤.

كربلاء اثني عشر شهيدًا ستة منهم من موالي بني هاشم وستة منهم من موالي بقيّة الشّهداء جاؤوا إلى كربلاء مع أوليائهم، رغم أنَّهم لم يكونوا مضطرين لمرافقتهم والتّضحية بأرواحهم لأنَّ المولى إذا أُعتق لوجه الله لا تكون لسيّده سلطة عليه.

وبعد واقعة كربلاء قامت ثورة المختار وهي ثورة الموالي في الواقع، فهم العِمَاد في ثورته حيث بادروا للأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام، وأما رؤساء العرب فقد شاركوا في جيش بني أميَّة.

والقاعدة العامة أنَّ الموالي لا يُؤَاخَذُون بجريرة ساداتهم لذا فإنَّ عقبة بن سمعان تُرِكَ ولم يُؤاخَذ لَمَّا قال أنا مولى لهم، حيث كان مولى للرّباب بنت امرئ القيس زوجة الإمام الحسين فكان من نتاج ذلك أنَّه أصبح أحد الطّرق لمعرفة تفاصيل أحداث كربلاء.

◄ الموالي يخلّدون ذكرهم

في نهضة الحسين حيث كانت ساحة المواقف، وليس الأنساب أو الاعتبارات، فقد أبلى فيها الموالي بلاءً حسنًا وضحّوا بأنفسهم في سبيل الله في مواقف فاقوا فيها كثيرا من الأحرار ذوي النسب والحسب ونورد في هذه الصفحات ثلاث شخصيّات:

◁ الأولى: سُلَيْمَان بن رَزِيْن رسولٌ وشهيد

سُلَيْمَان بن رَزِيْن مولى من موالي الإمام الحسين عليه السلام كان والده في بيت الإمامة وأمّه كانت جارية لأمّ إسحاق زوجة الإمام الحسين، وقد أُعتق لوجه الله ولكن بقي ولاؤه للإمام الحسين فصار

يذهب في قضاء حوائجه حتَّى صارت قضيّة كربلاء، وخرج معه من المدينة إلى مكّة ومن مكّة بعثه الإمام الحسين عليه السلام إلى أخماس البصرة، لأنَّ البصرة كانت موزَّعة إلى خمسة أحياء وعلى كلّ حيّ رئيس، فذهب سليمان وسلَّم الرَّسائل إلى أصحابها ومن جملتها رسالة إلى المنذر بن جَارُود العَبْدِي وقد كانت بنته بحريةُ زوجةَ عبيد الله بن زياد.

حين سلّمه سليمان رسالة الحسين ظنَّها مكيدة من ابن زياد ليختبره بها فأخذ سليمان والرّسالة وسلَّمها لابن زياد، وكأنَّها فرصة ليثبت ولاءَه لابن زياد ويحصل على منصب في حكومته، فقام ابن زياد بقتل سليمان على الفور وأخذ الرّسالة وصرف المنذر، وبذلك يعدّ سُلَيْمان بن رَزِيْن من أوائل الشّهداء في نهضة الإمام الحسين عليه السلام.

◁ وقفات

١/ مع المُنْذِر بن جَارُود العَبْديّ:

فقد ورد ذمٌّ من أمير المؤمنين لهذا الرجل وذلك أنه ولَّاه الإمام عليه السلام في أول الأمر على إِصْطَخْر[1]، وكان حسن الظَّاهر لكنَّه مضطرب الباطن، وليس له ثبات، فخان المنذرُ هذا الإمام عليه السلام في بيت المال، فعزله الإمام وحكم عليه بدفع ثلاثين ألف درهم،

(١) مدينة قديمة تقع في جنوب إيران، في محافظة فارس. يُنظر: معجم البلدان، للحموي، ج ١ ص ٢١١.

وحبسه، ثمَّ أطلقه بشفاعة صعصعة بن صوحان، وقد ورد أنَّ عليًّا عليه السلام كتب إليه حين أمر بعزله: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ، وظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَه، وتَسْلُكُ سَبِيلَه، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لَا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً، ولَا تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَاداً، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ»[1]، أي لم تكن نعم الخلف لأبيك ﴿**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ**﴾[2].

٢/ التَّفاخر بالانتماء:

هناك مع مَنْ يقول نحن العبديّون ونحن المقرّبون ونحن من أنصار الأئمّة عليهم السلام وهذا صحيح في الجملة، ولكنَّ هذا المجتمع كسائر المجتمعات كان فيه المخلصون الطيّبون الشّجعان وهم على مستوى عالٍ من الفداء، وكان فيه المصلحيّون الّذين يقدّمون الدّنيا على الآخرة وهذا واحد منهم، ومنهم مرّة بن منقذ العبدي الَّذي قتل عليًّا الأكبر، وكذلك أخوه رجاء (رضي) بن منقذ العبدي أيضا كان ممَّن أعان على الحسين عليه السلام، ولكن أختهم ماريا بنت منقذ العبدي صالحة حيث كان عندها مكان – ما يشبه الحسينيّات في عصرنا الحاضر– ومنها انطلق العبديّون الّذين خرجوا لنصرة الحسين عليه السلام، فلا بدّ ألا يكون عند بعض المجتمعات من الاعتداد والتَّفاخر بالانتماء بأن عندنا الخير وعند غيرنا الشّر، بل كلّ مجتمع

---

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام (تحقيق الصالح)، ص ٤٦٢. .

(٢) سورة مريم آية (٥٩).

فيه الصنفان وينبغي للعاقل أن يجعل نفسه في صنف الصّالحين بالعمل لا بالادّعاء، وبالممارسة لا بالعنوان.

فالمُنْذِر بن جَارُود قدَّم سُلَيْمَان بن رَزِيْن لابن زياد إلى أن قُتِلَ، فالحرّ في الواقع هو سُلَيْمَان رغم أنَّه ابن مملوكَيْن؛ لأنَّه حمل رسالة الحسين عليه‌السلام وبلّغها خير تبليغ، بينما العبد في الواقع هو المُنْذِر الّذي كان عبدًا لشهواته، ورقًّا للخوف والطَّمع في ما عند ابن زياد.

٣/ ابن زياد وقتل الرسول: سوف نفرد تحليلا لعبيد الله بن زياد(١)، الذي لم يكن ليحجزه عن القتل أي شيء، فلا الدين حاجز، ولا العرف الاجتماعي ولا أي شيء آخر! فإن الرسول (من يحمل رسالة إلى جهة) لا يقتل عند العرب حتى قبل الإسلام فضلا عما بعد الإسلام، ولا سيما إذا كان من الموالي الذين لا يتحملون مسؤولية ما يفعله سادتهم! ومع ذلك فقد أقدم هذا المجرم على قتل ذلك المؤمن. من دون أي مبرر سوى أنه نقل رسالة الحسين إلى رجل في البصرة!

◁ الثَّانية: أَسْلَم التّركي خَدُّ الحُسَيْن على خَدّه

أَسْلَم التركي هو أيضًا من موالي الإمام الحسين عليه‌السلام وكان يهتمّ بالإمام وشؤونه إلى أن عزم الحسين على الخروج من المدينة، وهنا أخلى طَرَفَه لكنَّه اختار رفقة الإمام الحسين عليه‌السلام، وكذلك في مّكة فقد أخبره الإمام أنَّ له الحرية وأخلى مسؤوليّتَه لكنَّه أبى إلا

---

(١) تجده إن شاء الله تعالى في كتاب خاص بعصبة الإثم وهم قتلة الحسين والمشاركون في دمه. .

أن يُسْتَشْهَدَ في سبيل الله، وفي يوم عاشوراء استأذن الإمامَ الحسين في القتال فقال له الإمام: ليس عليك ذِمَام وليس في عُنُقِكَ بَيْعَة، ولكنَّه أراد الشَّهادة فبرز إلى القتال وقاتل قتالًا عنيفًا وقتل عددا كبيرًا من جيش الأعداء ثمّ اسْتُشْهِدَ رضوان الله عليه، فجاء إليه الإمام الحسين وبه رمق فوضع خدّه على خدّ أَسْلَم، فقال: من مثلي وقد وضع ابن بنت رسول الله خدّه على خدّي[1]، وقيل إنَّ الإمام الحسين عليه السلام وضع خدّه أيضًا على خدّ وَاضِح التركي مولاه[2] كما فعل ذلك مع ابنه عليّ الأكبر ليبيّن أنّ قيمة الإنسان بعمله.

◁ الثَّالثة: جَوْن بن حوّى اللهمَّ بيّض وَجْهَه

جون هو مولى أبي ذر الغفاري، وقال بعض المؤرخين: إنَّه لم يذهب مع أبي ذر إلى الربذة والتحق بأمير المؤمنين، وقال بعضهم: إنَّه خرج معه إلى الربذة وبعد وفاة أبي ذر التحق بأمير المؤمنين ثمَّ انتقل إلى الإمام الحسن ثمَّ للإمام الحسين عليهما السلام، وخرج مع الإمام الحسين إلى كربلاء وفي يوم عاشوراء طلب الإذن من الإمام الحسين فقال له الإمام الحسين: «يا جون أنت في إذنٍ منّي، فإنَّما تبعتنا طلبًا للعافية فلا تبتلِ بطريقتنا، فوقع جون على قَدَمَي أبي عبد الله يقبّلهما ويقول: يا بن رسول الله أنا في الرَّخاء ألحسُ قِصَاعَكم وفي الشّدة

---

(١) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين، ٣ / ٣٠٣.

(٢) قال الخوارزمي: كان الغلام الترّكي من موالي الحسين عليه السلام، قارئًا للقرآن، عارفًا بالعربيّة، وقد وضع الحسين خدّه على خدّه حين صرع فتبسّم. يُنظر: مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي، ج ٢ ص٢٤.

أخذلكم!، إنّ ريحي لَنَتِن وإنّ حَسَبي للَئِيْم وإنّ لَوْني لأَسَود[١]، فتنفَّس عليّ في الجنّة ليطيبَ ريحي ويَشْرُفَ حسبي ويبيّض لَوْني، لا والله لا أُفَارِقُكُم حتَّى يختلطَ هذا الدّم الأسود مع دِمَائكم»[٢].

فأَذِنَ له الحسين في القتال فقتل منهم ما قتل وهوى إلى الأرض صريعًا فجاء إليه الإمام الحسين عليه السلام ودعا له: «اللّهمَّ بيّض وجهه وطيّب ريحه واحْشُرهُ مَعَ الأبرار وعرّف بينه وبين محمّد وآل محمّد»، حتَّى ورد في الأخبار أنَّ الإمام زين العابدين لمَّا جاء لدفن أبيه بعد ثلاثة أيَّام مع بني أسد كانوا يشمّون رائحةً عطرةً، فلمَّا تتبّعوها وجدوها تفوح من جسد هذا الشّهيد جون بن حوّى فسرعان ما استجيبت دعوة الإمام الحسين عليه السلام في حقّه في الدّنيا وهو ينتظر استكمالها في الآخرة[٣].

فهؤلاء ارتفعوا إلى منازل الشّهداء الأصفياء بين يدي ابن بنت الرّسول وهم مصداقٌ لقول الإمام الحسين عليه السلام: «إني لا أعلمُ أصحابًا خيرًا من أصحابي»، فصلوات الله وسلامه على الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين متواترة إلى يوم القيامة.

---

(١) لعله قال هذا بحسب نظرة الناس إليه، لا بما أنه هو الواقع! أو بأن تلك الصفات التي ذكرها من غير نظر إلى الإيمان والعمل.

(٢) يُنظر: البحار، ج٤٥ ص ٢٣، واللهوف ص ١٦٣.

(٣) المصدر نفسه.

جَرْحَى كربلاء

يوجد بعض الشّهداء في كربلاء مَنْ لم يُسْتَشْهَدُوا في المعركة ومع ذلك وَرَدَ السَّلام عليهم في زيارة الإمام عليه السلام لهم، وهم:

◄ الجريح الأول: عَمْرُو بن عبد الله الجُنْدُعيّ

(بنو جُنْدُع) بطنٌ من هَمْدَان، وعمرو هذا منهم، وقد حضر إلى كربلاء وكان في صف الإمام الحسين، وعندما برز للقتال قاتل الأعداء قتالا عنيفا فقَتَلَ جَماعة وجَرَحَ آخرين وقد عدَّ البعض هؤلاء وأولئك بعشرين جريحًا وقتيلاً، وفي نفس الوقت جرح جراحات كثيرة، وأُغْمِيَ عليه على أثر النَّزف أواخر المعركة.

وبعد استشهاد الإمام الحسين وقيام الضَّجّة ما بين فرح جند بين أمية، وبين بكاء النّساء العلويات ومن كان في مخيم الحسين عليه السلام، وكأنّما هذا الإغماء أخذ مداه من الزَّمان فاستيقظ وسمعهم يقولون: قُتِلَ الحسين، فقام وأخذ يُقاتل من جديد، وهو الأمر الذي جعل أفرادًا من قبيلته، يحيطون به ويأخذونه إلى عمر بن سعد، وتشفعوا

فيه عنده. لا سيما وقد انتهت المعركة وقتل الحسين! هذا وهو جريح بجراحات خطيرة، قد تقضي عليه بمجردها.

واستجاب عمر بن سعد لطلبهم فلم يقتله وبالفعل بقي في الكوفة مدّة سنة كاملة(١)، وفي السنة الّتي تلتها انتقل إلى رضوان الله على أثر تلك الجراحات الَّتي كانت فيه، وقد تمّ التسليم عليه من قِبل المعصوم في الزيارة بعنوان المرتث(٢): «السَّلام على المُرْتَثّ(٣) عَمْرِو بنِ عبد الله الجُنْدُعيّ»(٤).

◄ الجريح المنفي: المُرَقَّع بن ثُمَامة الصَّيْدَاويّ

المُرَقَّع أو المُوَقَّع(٥) بن ثمامة الصّيداويّ، وهو أيضا من قبائل اليمن، وقد قاتل وجرح ثمَّ بعد أن انتهت المعركة أراد بعضهم أخذه وهو جريح إلى عمر بن سعد فمانعتهم أسرته وعشيرته، وطلبوا أن يذهب به إلى عبيد الله بن زياد حتَّى يرى رأيه فيه، وكان ذلك محاولة من أهله وقبيلته لإنقاذه قدر الإمكان باعتبار أنه يكفيه

(١) إبصار العين، للشيخ السماوي، ص ١٣٦.
(٢) المُرْتَثّ: المجروح بجراحات بالغة.
(٣) ملاحظة فقهية: الشَّهيد لا يُغسَّل ولا يُكفَّن وإنَّما يُدفن بملابسه هو الذي يُقتل ويموت داخل المعركة، لكن إذا خرج هذا المقاتل من المعركة وبقي مدةً من الزمن ثمّ تُوفّي على أثر الجُراح فهنا يجب أن يُغسَّل ويُكفَّن وتجري عليه بقية السُّنن المعتادة، نعم هو في منزلة الشّهداء يأخذ ثواب الشّهداء، لكن الآثار الفقهيّة لا تترتّب عليه لأنَّها مختصَّة بمن قد اسْتُشْهِد في داخل المعركة.
(٤) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج ٩٨ ص ٢٧٣.
(٥) يوجد خلاف في ضبط اسمه. .

ما فيه من الجراحات الكثيرة، فأمر عبيد الله بن زياد بتقييده بالحديد وإبعاده إلى منطقة (الزَّارة)[1]، وكان يُنفى إليها بعض معارضي بني أُميَّة، فنُفِي إليها وبعد ستة أشهر توفي إلى رحمة الله.

◄ الجريح الوافد لربه: سَوَّار بن مُنْعِم النَّهْمِي

وهو أيضا من جملة من قاتل الأعداء، وجُرح جراحات بليغة، وبقي إلى ما بعد المعركة مدّة ستّة أشهر، ولكنَّه لم يُسجن ولم يُبعد، إنَّما بقي مع قومه ولكنّه اسْتُشْهِدَ على أثر الجراحات.

فهذه جماعة من أنصار الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه لم يُسْتَشْهَدُوا في نفس المعركة، ولعلّ أحد أسباب الاختلاف في العدد أيضاً هل هؤلاء حُسِبُوا ضمن الشهداء أولا؟، فتارةً يحسب الشُّهداء الَّذين اسْتُشْهِدُوا في داخل المعركة، وتارةً أُخرى تحسب كلّ المجموعة الّتي اسْتُشْهِدَتْ مع الحسين عليه السلام.

فسلام الله ورضوانه عليهم، وحشرنا الله في زمرتهم.

---

(١) في معجم البلدان عن أبي أحمد العسكري قال: الخط والزارة والقطيف قرى بالبحرين وهجر. وتوجد منطقة حتى الآن تسمى بالزارة في القطيف تقع بين القديح والعواميّة.

قائمة بأسماء الشهداء
كما وردت في زيارة الناحية

١/ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِي بن علي بن أبي طالب.

٢/ عَبْد اللَّهِ بْن الْحُسَيْنِ بن علي. الطِّفْلِ الرَّضِيعِ.

٣/ عَبْد اللَّهِ بْن أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ علي بن أبي طالب.

٤/ الْعَبَّاس بْن أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ علي بن أبي طالب.

٥/ جَعْفَر بْن أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ علي بن أبي طالب.

٦/ عُثْمَان بْن أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ علي بن أبي طالب.

٧/ مُحَمَّد بْن أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ علي بن أبي طالب.

٨/ أَبو بَكْر بْن الْحَسَنِ بن علي أمير المؤمنين.

٩/ عَبْد اللَّهِ بْن الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ أمير المؤمنين.

١٠/ الْقَاسِم بْن الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ أمير المؤمنين.

١١/ عَوْن بْن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ الطَّيَّارِ.

١٢/ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ الطيار.

١٣/ جَعْفَر بْن عَقِيلٍ بن أبي طالب.

١٤/ عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ عَقِيلٍ بن أبي طالب.
١٥/ عَبْد اللَّهِ بْن مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ بن أبي طالب.
١٦/ مُحَمَّد بْن أَبِي سَعِيدِ بْنِ عَقِيلٍ بن أبي طالب.
١٧/ سُلَيْمَان مَوْلَى الْحَسَنِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.
١٨/ قَارَب مَوْلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ.
١٩/ مُنْجِح مَوْلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ.
٢٠/ مُسْلِم بن عَوْسَجَةَ الْأَسَدِيِّ.
٢١/ سَعِيد بْن عَبْدِ اللَّهِ الْحَنَفِيِّ.
٢٢/ بَشِير بْن عُمَرَ الْحَضْرَمِيِّ.
٢٣/ زَيْد بْن حُصَيْنٍ الْهَمْدَانِيِّ الْمَشْرِقِيِّ[١].
٢٤/ عِمْرَان بْنِ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيِّ.
٢٥/ نُعَيْم بْن عَجْلَانَ الْأَنْصَارِيِّ.
٢٦/ زُهَيْر بْن الْقَيْنِ الْبَجَلِيِّ.
٢٧/ عَمْرو بْن قَرَظَةَ الْأَنْصَارِيِّ.
٢٨/ حَبِيب بْن مُظَاهِرٍ الْأَسَدِيِّ.
٢٩/ الْحُرّ بْن يَزِيدَ الرِّيَاحِيِّ.
٣٠/ عَبْد اللَّهِ بْنِ عُمَيْرٍ الْكَلْبِيِّ.
٣١/ نَافِع بْن هِلَالٍ الْبَجَلِيِّ الْمُرَادِيِّ.
٣٢/ أَنَس بْن كَاهِلٍ الْأَسَدِيِّ.
٣٣/ قَيْس بْن مُسْهِرٍ الصَّيْدَاوِيِّ.

---

(١) قد تقدم أن الصحيح في اسمه هو برير بن خضير.

٣٤/ عَبْد اللَّهِ.
٣٥/ وَعَبْد الرَّحْمَنِ ابْنَيْ عُرْوَةَ بْنِ حَرَّاقٍ الْغِفَارِيَّيْنِ.
٣٦/ جَوْن مَوْلَى أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ.
٣٧/ شَبِيب بْن عَبْدِ اللَّهِ النَّهْشَلِيِّ.
٣٨/ الْحَجَّاج بْن زَيْدٍ السَّعْدِيِّ.
٣٩/ قَاسِط.
٤٠/ وَكُرْدُوس ابْنَا زُهَيْرٍ التَّغْلِبِيّانِ.
٤١/ كِنَانَة بْن عَتِيقٍ.
٤٢/ ضِرْغَامَة بْن مَالِكٍ.
٤٣/ جُوَيْن بْن مَالِكٍ الضُّبَعِيِّ.
٤٤/ عَمْرو بْن ضُبَيْعَةَ.
٤٥/ زَيْد بْن ثُبَيْت الْقَيْسِيِّ.
٤٦/ قَعْنَب بْن عَمْرٍو النَّمِرِيِّ.
٤٧/ عَامِر بْن مُسْلِمٍ.
٤٨/ سَالِمٍ مَوْلَى عَامِرِ بْنِ مُسْلِمٍ.
٤٩/ زُهَيْر بْن بِشْرٍ الْخَثْعَمِيِّ.
٥٠/ بَدْر بْن مَعْقِلٍ الْجُعْفِيِّ.
٥١/ سَيْف بْن مَالِكٍ.
٥٢/ مَسْعُود بْن الْحَجَّاجِ.
٥٣/ وَابْنه.
٥٤/ عَمَّار بْن حَيَّانَ بْنِ شُرَيْحٍ الطَّائِيِّ.

٥٥/ جُنْدَب بْن حَجَر الْخَوْلَانِيِّ.
٥٦/ مُجَمِّع بْن عَبْدِ اللَّهِ الْعَائِدِيِّ.
٥٧/ عُمَر بْن خَالِدٍ الصَّيْدَاوِيِّ.
٥٨/ سَعِيد مَوْلَاهُ.
٥٩/ يَزِيد بْن زِيَادِ بْنِ الْمُظَاهِرِ الْكِنْدِيِّ.
٦٠/ جَبَلَة بْن عَلِيٍّ الشَّيْبَانِيِّ.
٦١/ أَسْلَم بْن كَثِيرٍ الْأَزْدِيِّ الْأَعْرَجِ.
٦٢/ زُهَيْر بْن سُلَيْمٍ الْأَزْدِيِّ.
٦٣/ قَاسِم بْن حَبِيبٍ الْأَزْدِيِّ.
٦٤/ عُمَر بْن الْأُحْدُوثِ الْحَضْرَمِيِّ.
٦٥/ أَبو ثُمَامَةَ عُمَر بْن عَبْدِ اللَّهِ الصَّائِدِيِّ.
٦٦/ حَنْظَلَة بْن أَسْعَدَ الشِّبَامِيِّ.
٦٧/ عَبْد الرَّحْمَنِ بْن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ [الْكَدِنِ] الْأَرْحَبِيِّ.
٦٨/ عَمَّار بْن أَبِي سَلَامَةَ الْهَمْدَانِيِّ.
٦٩/ عَابِس بْن شَبِيبٍ الشَّاكِرِيِّ.(١)
٧٠/ شَبِيب بْن الْحَارِثِ بْنِ سَرِيعٍ.
٧١/ مَالِك بْن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرِيعٍ.
٧٢/ الْجَرِيح الْمَأْسُور سَوَّارِ بْنِ أَبِي حِمْيَرٍ الْفَهْمِيِّ الْهَمْدَانِيِّ.
٧٣/ الْمُرْتَثّ مَعَهُ عَمْرو بْن عَبْدِ اللَّهِ الْجُنْدُعِيِّ.

---

(١) يلاحظ أن اسم «شوذب» لم يذكر في أسماء الشهداء. وهكذا أسماء بعض الشهداء الآخرين.

المصادر

القرآن الكريم.

١. إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، للشيخ محمد بن طاهر السّماوي تحقيق: الشيخ محمد جعفر الطبسي، مركز الدراسات الإسلامية لحرس الثورة، الطبعة الأولى -١٤١٩هـ.

٢. أجوبة المسائل في الفكر والعقيدة والتاريخ والأخلاق، للسيد محمد صادق الروحاني (ت ١٤٤٤هـ)، دار زين العابدين - قم١٤٣٢هـ.

٣. الاحتجاج على أهل اللجاج، لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت٦٢٠ هـ)، تحقيق: إبراهيم البهادري ومحمد هادي به، دار الأسوة - طهران، الطّبعة الأولى -١٤١٣ هـ.

٤. إحقاق الحق وإزهاق الباطل، للعلامة القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري، مع تعليقات نفيسة هامة بقلم: آية الله السيد شهاب الدين النجفي، تصحيح: السيد إبراهيم

الميانجي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم – إيران.

٥. الإحكام في أصول الأحكام، للحافظ أبي محمّد علي بن حزم الأندلسي الظّاهري، أشرف على طبعه الأستاذ العلامة أحمد شاكر، مطبعة العاصمة – القاهرة.

٦. الأخبار الطوال، الدينوري (ت٢٨٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر / مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، الطبعة: الأولى– ١٩٦٠.

٧. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد (٣٣٦ – ٤١٣ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث دار المفيد.

٨. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي الجزري، ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.

٩. الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن محمد بن حجر الشافعي العسقلاني (ابن حجر) (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق: ولي عارف، مطبعة السعادة – مصر، ١٣٢٣ هـ.

١٠. أصحاب النبي محمد، للشيخ فوزي آل سيف (معاصر)، دار المحجة البيضاء بيروت.

١١. أعيان الشيعة، للسيّد محسن بن عبد الكريم الأمين الحسيني العامليّ (ت ١٣٧١ هـ)، حقّقه وأخرجه: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات - بيروت، الطبعة الخامسة -١٤٠٣ هـ.

١٢. إقبال الأعمال، لأبي القاسم علي بن موسى الحلي (ابن طاووس) (ت ٦٦٤ هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مكتب الإعلام الإسلامي - قم، الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ.

١٣. إكسير العبادات في أسرار الشّهادات، لـ آغا عابد الدّربندي (١٢٨٥هـ)، دار الصفوة -١٤٢٩هـ.

١٤. أمالي الصدوق، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمّي (ت٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسسة البعثة.

١٥. أمالي الطوسي، لأبي جعفر محمد بن الحسن (الشيخ الطوسي) (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق: مؤسسة البعثة، دار الثقافة - قم، الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ.

١٦. أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ)، إعداد: محمد باقر المحمودي، دار المعارف- بيروت، الطبعة الثالثة. وكذلك طبعة دار الفكر - بيروت ١٤١٧هـ ت بتحقيق سهيل زكار.

١٧. أنصار الحسين، للشيخ محمّد مهدي شمس الدّين، دار الكتاب الإسلامي -١٤٢٦هـ.

١٨.الأنوار العلوية، للشيخ جعفر النقدي، (توفي ١٣٧٠هـ)، المكتبة الحيدرية – النجف الأشرف ١٣٨١هـ.

١٩.بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، للعلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي، دار احياء التراث العربي بيروت – لبنان.

٢٠.تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطَّبري، قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة بمطبعة «بريل» بمدينة ليدن في سنة ١٨٧٩م، راجعه وصححه وضبطه: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات – بيروت – لبنان.

٢١.وكذلك طبعة دار المعارف بمصر ١٣٨٧هـ بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٢٢.تاريخ خليفة بن خياط، لخليفة بن خياط العصفري البصري (ت ٢٤٠هـ) ت د. أكرم ضياء العمري، دار القلم, مؤسسة الرسالة – دمشق, بيروت ١٣٩٧.

٢٣.التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق محمد الدباسي ومحمود النحال، الناشر المتميز للطباعة، الرياض ١٤٤٠هـ.

٢٤.تاريخ المدينة، لعمر بن شبة النميري البصري، (ت ٢٦٢هـ) تحقيق: فهيم محمد شلتوت، طبع في جدة ١٣٩٩هـ.

٢٥.تاريخ اليعقوبي، لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (اليعقوبي) (ت ٢٨٤ هـ)، دار صادر – بيروت.

٢٦.تجارب الأمم وتعاقب الهمم، لأبي علي مسكويه الرازي (ت ٤٢١هـ)، تحقيق أبو القاسم إمامي، دار سروش للطباعة والنشر، طهران ٢٠٠٠ م.

٢٧.جمهرة أنساب العرب، لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي (توفي ٤٥٦هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف – مصر ١٩٦٢ م.

٢٨.الخصال، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصَّدوق)، مؤسسة الأعلمي - بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٠ هـ.

٢٩.دائرة المعارف الحسينية؛ معجم أنصار الحسين (الهاشميون)، للشيخ محمد صادق الكرباسي، المركز الحسيني للدراسات، لندن ١٤٣٩هـ.

٣٠.الذريعة إلى تصانيف الشيعة، للشيخ آقا بزرگ الطهراني (ت ١٣٨٩هـ) دار الأضواء – بيروت –١٤٠٣.

٣١.الرجال، لأحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤هـ)، انتشارات جامعة طهران برقم ٨٥٧.

٣٢.رجال النجاشي، للشيخ أبي العباس أحمد بن علي النجاشي

(ت ٤٥٠ هـ)، تحقيق: الحجة السيد موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ(قم المشرفة).

٣٣. الرسائل السياسية، لعمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

٣٤. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، لمحمد تقي المجلسي (الأول ت ١٠٧٠هـ) تحقيق حسين موسوى كرمانى، مؤسسهء فرهنگى اسلامى كوشانبور - قم ١٤٠٦هـ.

٣٥. سر السلسلة العلوية، لأبي نصر البخاري (ت نحو سنة ٣٤١هـ)، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، انتشارات الشريف الرضي ١٤١٣هـ.

٣٦. سفير الحسين؛ مسلم بن عقيل للشيخ عبد الواحد المظفر، مطبعة الآداب، النجف ١٣٨٨هـ.

٣٧. سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٩٧ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث- بيروت.

٣٨. شرح نهج البلاغة، لعز الدين عبد الحميد بن محمد بن هبة الله المدائني (ابن أبي الحديد)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطّبعة الثانية - ١٣٨٧ هـ.

٣٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن

حماد الجوهري (ت ٣٩٨ هـ) تحقيق: أحمد بن عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة – ١٤١٠ هـ.

٤٠. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق: محب الدين الخطيب، الناشر: المكتبة السلفية – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

٤١. الطبقات الكبير، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ) ت. د علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٢١هـ.

٤٢. العبّاس عليه السلام، للسيّد عبد الرّزاق المقرّم (ت١٣٩١هـ)، تحقيق: الشيخ محمّد الحسّون، منشورات الاجتهاد – قم، الطبعة الأولى – ١٤٢٧هـ.

٤٣. العباس بن علي رائد الكرامة والفداء في الإسلام، لباقر شريف القرشي، تحقيق مهدي باقر القرشي، دار المعروف مؤسسة الإمام الحسن النجف الاشرف ١٤٣٣هـ.

٤٤. العقد الفريد، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) تحقيق: أحمد الزين وإبراهيم الأبياري، دار الأندلس – بيروت، الطبعة الأولى –١٤٠٨هـ.

٤٥. عقيل ابن أبي طالب، لعلي الأحمدي الميانجي (ت ١٤٢١هـ)، تحقيق: مجتبى فرجي، دار الحديث للطباعة والنشر ١٤٢٥هـ.

٤٦. عوالي اللآلئ العزيزية في الأحاديث الدينيّة، محمد بن علي بن

إبراهيم الأحسائي (ابن أبي جمهور) (ت ٩٤٠ هـ)، تحقيق: آقا مجتبى العراقي، تقديم: آية الله المرعشي النّجفي، مطبعة سيد الشهداء – قم، الطبعة الأولى – ١٤٠٣ هـ.

٤٧. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، لأحمد بن علي الحسيني (ابن عنبة)، المكتبة الحيدرية – النجف الأشرف.

٤٨. الغدير في الكتاب والسنة والأدب، للشيخ عبد الحسين أحمد الأميني (ت١٣٩٠ هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة –١٣٨٧ هـ.

٤٩. الفتوح، لأحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ)،تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، الطبعة الأولى– ١٤١١هـ.

٥٠. فضائل الصحابة، للإمام الحافظ الحجة أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٥١. الفقه على المذاهب الخمسة، للشيخ محمد جواد مغنية، (ت ١٤٠٠هـ)، دار التيار الجديد – بيروت ١٤٢١هـ.

٥٢. قاموس الرجال، للشيخ محمد تقي التستري (قدس سره)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى– ١٤١٩هـ.

٥٣.الكافي، لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (رحمه الله) المتوفى (سنة ٣٢٨ / ٣٢٩هـ) صححه وقابله وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٨٩ هـ.

٥٤.كامل الزيارات، لأبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه (م ٣٦٧هـ)، تحقيق: عبد الحسين الأميني التبريزي، المطبعة المرتضوية- النجف الأشرف، الطبعة الأولى- ١٣٥٦هـ.

٥٥.الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي الجزري، ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ.

٥٦.لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، لعلي بن زيد البيهقي (ت ٥٦٥هـ)، تحقيق مهدى رجايى، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ١٤٢٨هـ.

٥٧.لواعج الأشجان، للسيد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١هـ)، منشورات مكتبة بصيرتي – قم.

٥٨.اللهوف في قتلى الطفوف، للسيد ابن طاووس (ت٦٦٤هـ)، الأنوار – قم، الطبعة الأولى- ١٤١٧هـ.

٥٩.المحبّر، لمحمد بن حبيب الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ)، ت د إيلزه ليحتن شتيتر، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن – الهند، ١٣٦١هـ.

٦٠. مثير الأحزان، للشيخ الجليل ابن نما الحلي نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلي المتوفى سنة (٦٤٥ هـ) ويليه «قرة العين في أخذ ثار الحسين عليه السلام» منشورات المطبعة الحيدرية في النجف ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م.

٦١. المزار، لمحمد بن جعفر المشهدي، (توفي قرن ٦ هـ) تحقيق جواد القيومي الاصفهاني نشر القيوم - قم ١٤١٩.

٦٢. مستدركات علم رجال الحديث، للشيخ علي النمازي الشاهرودي، المطبعة: حيدري - طهران، الطبعة الأولى - محرم الحرام ١٤١٥هـ.

٦٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل (١٦٤ توفي ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ -.

٦٤. مسند الإمام الحسين عليه السلام، للشيخ عزيز الله عطاردي، عطارد - تهران١٣٧٦ ش.

٦٥. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، لسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، محققون متعددون، دار الرسالة العالمية، دمشق، ١٤٣٤هـ.

٦٦. مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصبهاني (ت ٣٥٦ هـ)، تحقيق: أحمد صقر، انتشارات الشريف الرضي - قم، الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ.

٦٧. مقتل الحسين، للسيّد عبدالرّزاق المقرّم (ت١٣٩١هـ)، دار الكتاب الإسلامي – بيروت.

٦٨. مقتل الحسين، للمؤرخ الشهير لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي الغامدي (ت١٥٧هـ)، تحقيق: حسين الغفاري.

٦٩. معالي السبطين، لمحمّد مهدي المازندراني (ت ١٣٨٤هـ)، مؤسسة النعمان – بيروت.

٧٠. معاني الأخبار، للشيخ الصّدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، عني بتصحيحه علي أكبر الغفاري، انتشارات إسلامي – قم، ١٣٦١هـ ش.

٧١. معجم ألفاظ الفقه الجعفري، للدكتور أحمد فتح الله (معاصر)، مطابع المدوخل الدمام المملكة العربية السعودية ١٤١٥ هـ.

٧٢. معجم البلدان، لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت ٦٢٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى –١٣٩٩ هـ.

٧٣. معجم رجال الحديث، لأبي القاسم بن علي أكبر الخوئي (ت ١٤١٣ هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٣هـ.

٧٤. معجم الصحابة لعبد الله بن محمد بن شاهنشاه البغوي (ت ٣١٧هـ)، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان – الكويت، ١٤٢١هـ.

٧٥.المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٤ هـ.

٧٦.المغازي، الواقدي (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: الدكتور مارسدن جونس، الناشر: نشر دانش إسلامي رمضان ١٤٠٥هـ.

٧٧.مناقب آل أبي طالب، لابن شهرآشوب أبي عبد الله محمد بن علي بن شهرآشوب السروي المازندراني (ت ٥٨٨ هـ)، لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية – النَّجف الأشرف، ١٣٧٦ هـ.

٧٨.منتهى الآمال، للمحدّث الشّيخ عبَّاس بن محمّد رضا القمّي، دار الهجرة، قم – إيران.

٧٩.موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، إعداد: لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، النّاشر: منظمة الإعلام الإسلامي.

٨٠.منهاج الصالحين، للسيد علي الحسيني السيستاني (معاصر)، مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني – قم ١٤١٤هـ.

٨١.ميزان الحكمة، لمحمد الريشهري، دار الحديث – قم، الطبعة الأولى.

٨٢.نثر الدر في المحاضرات، لأبي سعد منصور بن الحسين الآبي (ت ٤٢١هـ)، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية – بيروت١٤٢٤هـ.

٨٣.النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، لأبي العبّاس تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق: علي عاشور.

٨٤.نسب قريش، لمصعب بن عبد الله الزبيري (توفي ٢٣٦هـ)، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٩ م.

٨٥.نفس المهموم، للمحدّث الشّيخ عبَّاس بن محمّد رضا القمّي، المكتبة الإسلاميَّة، طهران – إيران.

٨٦.نهج البلاغة، وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، شرح: الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطّباعة والنشر، بيروت – لبنان. وكذلك طبعة دار الكتاب اللبناني بتحقيق د. صبحي الصالح.

٨٧.وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، للمحدث محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرفة ١٤١٤هـ.

٨٨.ينابيع المودة لذوي القربى، لسليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤ هـ)، تحقيق: علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر – طهران، الطبعة الأولى-١٤١٦هـ.

فهرس

قنوات التواصل مع الشيخ

الايميل
fawzialsaif@gmail.com

الموقع الالكتروني
www.al-saif.net

قناة اليوتيوب
https://m.youtube.com/user/ Fawzialsaif

تطبيق آيفون
http://bit.ly/alsaifapp

تطبيق أندرويد
http://bit.ly/1z P Hw Fh

قناة التلغرام
http://bit.ly/1 M8 Lzhk

المجموعة الصوتية الكاملة على دروبوكس
https://goo.gl/ V Mm T7 X

روابط المقاطع القصيرة
goo.gl/ Xk Tvmj

قناة الساوند كلاود
https://m.soundcloud.com/fawzialsaif

تطبيق الكتب اندرويد:

https://play.google.com/store/apps/details?id=net.alsaif.books

ايفون وايباد:
https://appsto.re/us/_pt Clb.i

الموقع الرديف
https://al-saif.app

الانستغرام
https://instagram.com/fawzialsaif_shortclips?igshid=195m0v23vh9mx

قناة بودكاست الشيخ فوزي آل سيف لجوالات الايفون:
https://apple.co/31oq Gi O

تعظيمنا لهؤلاء الأصحاب وذكرنا إياهم لا ينبغي أن يبقى فـي حدود الجانب النظري من تكريمهم، وإنما له بعد تربوي وأخلاقي يمتـد إلـى حياتنا، وذلك هـو إمكانيّـة الاقتداء بأصحاب الحسـين عليه السلام، فإنه قد يكون أقـرب إلى النّفس البشريّة من الاقتداء بالمعصوم!

وتوضيـح ذلـك: أن جانـب العصمـة الموجـود في المعصوميـن عليهم السلام، قد يتخـذ ذريعة من قبـل البعض لعدم الاقتداء بهم! فإذا قيل للشـابة: لماذا لا تقتدينَ في سـلوكك بفاطمة الزَّهراء عليها السلام؟، ولماذا لا تعيشينَ كما عاشت؟ تقول لـك: فاطمة الزَّهـراء امرأة معصومة مسـدَّدة مـن قبل الله وحركاتهـا إلهيَّة ربانيَّة، فأين أنا وأيـن هي؟! فتتذرع بحاجز العصمـة، وهكذا حين يقال للرجل: لمـاذا لا تقتدي بالإمام الحسين عليه السلام؟، سـيجيبك: إنه عليه السلام إمامٌ معصومٌ مُطهّرٌ من كُلّ رجس ومسـدَّد من قبل الله، أنَّى لي أن أقتدي به وأقتفي أثره؟، فيضع حاجز العصمة.

أمَّا بالنسبة لأصحابه فإنهم ليسوا معصومين، حتى يتعلل الأشـخاص بهذه العلة في عدم الاقتداء بهم. فتكون الحجَّة على المخاطَب أكبر.

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمَال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail : almahajja@terra.net.lb
E-mail & FB: info@daralmahaja.com
www.daralmahaja.com